اللآلئ الزكية
في شرح الأدعية النبوية


بسم الله الرحمن الرحيم

اللآلئ الزكية
في شرح الأدعية النبوية

تقديم فضيلة الشيخ العلامة المحقق محدث العصر
شعيب الأرنؤوط حفظه اللّٰه تعالى

إعداد

ماهر مقدم

الطبعة الرابعة

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

مزيدة ومنقحة

مكتبة الإمام الذهبي



حولي - شارع المثنى ت: 22657800 ف: 22612004
ص.ب: 1075 ـ حولي - الرمز البريدي: 32011 الكويت
فرع حولي: حولي ـ شارع الحسن البصري: 22615046
فرع المباركية: سوق المباركية، ت: 94405559
فرع الفحاحيل: البرج الأخضر - شارع الدبوس - ت: 25456069
الخط الساخن: 94405559

مقدمة فضيلة الشيخ العلامة المحقق محدث العصر شعيب الأرنؤوط - حفظه الله تعالى

الحمد للّه رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين..

وبعد: فإن مقام الدعاء من أجلِّ العبادات وأعظمها وأعلاها في الدين، وهو أكرم شيء على اللّه سبحانه كما أخبر بذلك نبينا صلى، ثم هو من جوامع الخيرات، وأفضلها، وأنفعها، ولهذا ندبنا الشارع الحكيم إلى هذه العبودية الجليلة في عدَّة مواضع في كتابه الكريم، فقال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ (غافر).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ (البقرة).

وفي زياراتي العلمية لدولة الكويت حرسها اللّه من كل شر، أوقفني الشيخ الفاضل ماهر بن عبدالحميد بن مقدم وفقه اللّه، على كتابه «**اللآلئ الزكية في شرح الأدعية النبوية**» فرغب أن أكتب له مقدِّمة، ونزولاً عند رغبته الحثيثة، أذنت لصاحبي ورفيقي في السفر، الشيخ الدكتور أبي العالية محمد بن يوسف الجوراني العسقلاني، قراءة الكتاب - مع جملة ما يقرأ - وأنا أسمع، فوجدت المؤلِّف وفقه اللّه، قد افتتح كتابه بفضائل الدعاء، والحث على التمسك به، ثم تناول شروطه وموانعه وآدابه ومستحباته، ثم ذكر أماكن أحوال وأوقات تُجاب فيها الدعوات.

ثم ذكر دعوات نهى الشارع عنها، ثم بيَّن الأخطاء التي تقع من الناس في الدعاء، وبعد أن أحسن بيان ذلك كله في مقدماته النافعة، شرع في شرح الأدعية النبوية، فبدأ يشرح معانيها اللغوية ثم شرحها شرحاً جميلاً وسطاً لا بالطويل الممل ولا بالقليل المخل، ثم جمع مع ذلك كله الفوائد المستنبطة من هذه الأدعية المباركة.

وقد أحسن في جمعه للأدعية المطلقة غير المقيدة، والأدعية المقيدة، وما ختمه في بيان الحِكَم من تأخر إجابة الدعاء، فجاء هذا الكتاب نافعاً مفيداً في بابه، فجزى اللّه مؤلِّفه خيراً ونفع به الإسلام والمسلمين.

وإنني أوصي كل مسلم ومسلمة باقتناء هذا الكتاب النافع، والحرص على قراءته، والاستفادة العلمية منه، وصلى اللّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

شعيب الأرنؤوط

ربيع الثاني ١٤٣٤هـ



قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدا، من حفظها دخل الجنة».(١) وفي رواية: «من أحصاها دخل الجنة».(٢)

الرب	الرحمن	الرحيم	الحي	القيوم	العلي	الأعلى
المتعال	الكريم	الودود	الغفور	الغفار	العزيز	الجميل
القادر	القدير	المقتدر	العفو	الواحد	الأحد	القريب
المجيب	الملك	المليك	المالك	الصمد	الحميد	المجيد
الغني	الحكيم	العظيم	القوي	المتين	السميع	البصير
القاهر	القهار	الوهاب	المتكبر	المؤمن	البر	الولي
المولى	الجبار	الرؤوف	التواب	الحليم	الشهيد	الرزاق
الرازق	القدوس	الخالق	الخلاق	البارئ	المصور	السلام
اللطيف	الكبير	الشاكر	الشكور	العليم	الحفيظ	الأكرم
الأول	الآخر	الظاهر	الباطن	المهيمن	الحق	المبين
الفتاح	الخبير	الوكيل	المقيت	النصير	الرقيب	الوارث
الحسيب	القابض	الباسط	المقدم	المؤخر	المنان	الرفيق
الحيي	الديان	المحسن	الستير	الشافي	المعطي	الطيب
المسعر	السبوح	الحكم	الجواد	الوتر	الإله	

(١) صحيح البخاري (٦٤٠١).
(٢) البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).



قال تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾.[1]

ومعنى فادعوه بها: أي: اطلبوا منه بأسمائه، فيطلب بكل اسم ما يليق ويناسب ذلك المطلوب، فيقول الداعي: مثلاً يارحمن ارحمني، يا حكيم: احكم لي، يا رزاق: ارزقني، ألطف بي: يا لطيف ونحو ذلك. أو تدعو بالاسم الأعم الأعظم، مثل: يا الله، فهو متضمن لكل اسم[2]، أو باسم يدل في مبناه على كثرة الصفات، وسعة المعاني والدلالات، مثل الحي، القيوم، الصمد، الواسع، المجيد، العظيم وغير ذلك.

فإن الدعاء بهذه الأسماء الجليلة مناسب في كل مطلوب، ومرغوب، والاستعاذة بها من كل مرهوب، كأن يقول الداعي: يا حيّ يا قيوم: انصرني على عدوي، أو يا حيُّ يا قيوم: أعذني من كل الشرور، يا مجيد: ارزقني الفردوس الأعلى، أو يا مجيد أجرني من النار، وهكذا.

واعلم رحمني الله تعالى وإياك أن التوسل بالأسماء الحسنى إلى الرحمن، هو أعظم الوسائل وأجلها على الإطلاق في إعطاء النوال.

---

(١) سورة الأعراف الآية: ١٨٠.

(٢) انظر: (تفسير القرطبي) (٧/٢٠٧)، و(تفسير السعدي) (٣١٠).

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد للّه رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبي الرحمة محمد بن عبداللّه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فهذه الطبعة الثانية من هذا الكتاب المبارك، والذي قد مضى على طبعته الأولى حوالي سنة كاملة، وقد لاقى وللّه الحمد والمنة القبول، فكثر عليه الطلب حتى نفدت النسخ.

وهذه الطبعة جاءت بحلية جديدة، من إضافات وفوائد فريدة، في غالب الأدعية[1]، ترسيخاً للفهم وتنشيطاً للهمم، وقد أسدي إليَّ العمل في تصحيح الأخطاء الكثيرة، والألفاظ الركيكة، مع إضافات وأدعية جديدة.

وإنني أتقدم بالشكر الجزيل إلى صاحب المكتبة الغراء «الذهبي» بارك اللّه فيها وفي القائمين عليها، الأخ الشيخ الفاضل أبوعبداللّه بدر الفيلكاوي، حفظه اللّه، على حُسن ظنه بي، وعلى عنايته بنشر الكتب الشرعية النافعة على منهج أهل السنة والجماعة.

والشكر موصول إلى الأخ العزيز حسن صديق أبو عبدالرحمن، على تشجيعه وتحفيزه كذلك على نشر الكتب العلمية المفيدة، وعلى همته العالية التي لا تفتر.

وختاماً أسأل اللّه رب العالمين أن يتقبَّل منِّي هذا العمل المتواضع، وأن يرزقني، وناشره، وقارئه، مرافقة سيد الأوَّلين والآخرين نبينا محمد ﷺ في الفردوس الأعلى «اللهم آمين». وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

كتبه: ماهر مقدم

---

(١) وإضافة لعدة دعوات جليلة كما في هذه الطبعة الرابعة.

مقدمة الطبعة الأولى

إن الحمدلله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللّه من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فإن اللّه تعالى لم يخلق العبيد عبثاً، ولم يتركهم هملاً وسدى، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ (المؤمنون) وإنما خلقهم لأمر عظيم وهو عبادته ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ (الذاريات).

وبين جل وعلا السبل الموصلة إلى تحقيق هذه الغاية العظيمة، فمن هذه السبل: (الدعاء): ذلكم المقام العظيم الذي من وفق إليه نال خيري الدنيا والآخرة، إذ هو أجلُّ العبادات، وأعظم الطاعات، وأنفع القربات، هذا ما دلت عليه النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة في استعطاف قلوب العباد إليه، لما فيه من غاية التذلل والخضوع للرب العظيم والانكسار بين يديه.

فقد افتتح اللّه تعالى كتابه بالدعاء، واختتمه به، فسورة (الفاتحة) مشتملة على دعاء اللّه بأجلِّ المطالب وأكمل المقاصد، وأفضل الرغائب، وهو طلب العون من اللّه على مرضاته، وسؤال اللّه تعالى الهداية إلى صراطه المستقيم.

وسورة (الناس) التي هي خاتمة كتابه الكريم، مشتملةٌ على دعاء اللّه تعالى وذلك بالاستعاذة به من أخطر الشرور وهو شر الشيطان وشركه من الإنس والجن.

ولا ريب في افتتاح كتابه تعالى بالدعاء وختامه به، دليل على عظم شأن الدعاء وأنه روح العبادات ولبُّها وأساسها.

ولعظم شأنه سماه اللّه تعالى ديناً في غير ما آية، والدين هو الإسلام كله، قال تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ (غافر).

«وإذا تأمل العبد آيات التنزيل رأى فيها نحو ثلاثمائة آية في الدعاء، ووجد فيها من أسرار التنزيل عجباً».[1]

الدعاء جماع الخير كله:

«عن مطرف بن عبدالله بن الشخير قال: تذاكرت ما جماع الخير؟ فإذا الخير كثير: الصلاة والصيام و... وإذا هو في يد اللّه تعالى، وإذا أنت لا تقدر على ما في يد اللّه تعالى إلا أن تسأله فيعطيك، فإذا جماع الخير الدعاء».[2]

فكم من رحمة ونعمة وخيرٍ استجلب بسبب الدعاء، وكم من بلاء ونقمة وشر رُدَّ بسبب الدعاء، فما استُجلبت النعم، ودُفعت النقم بمثله، فلله ما أعظم شأن الدعاء، وما أعظم شأن أهله.

فلما كان الدعاء بهذه المنزلة الزكية، والمكانة العلية، كان على العبد أن يعتني به أشد العناية، ويتفقه في أحكامه ومسائله، ليدعو اللّه تعالى على بصيرة وهدى وعلم، بعيداً عن الخطأ والابتداع والاعتداء فإن ذلك أرجى لقبول دعائه، وإجابة سؤاله.

ولما كان هدي نبينا، محمد ﷺ خير الهدي، كان دعاؤه خير الدعاء، وكيف لا وهو الذي أوتي جوامع الكلم، فكان لابد من الاعتناء بأدعيته، وفهم مدلولاتها، ومعانيها، ومقاصدها، فإن في ذلك الأثر الكبير في نيل ثمرات الدعاء، وفضائله في الدنيا والآخرة، وكان حرصاً من اللجنة العلمية في مكتبة الإمام الذهبي على أن تقوم بهذا العمل، لإيمانها بأن نشره بين المسلمين من أفضل الاعمال، وأجلِّ القربات.

وقد قمنا بتأليف هذا الكتاب، الذي يجمع فوائد شتى عن الدعاء، وشرح أدعية النبي ﷺ. وكانت الفصول على الشكل الآتي:

١ ـ فضائل الدعاء.

(١) «تصحيح الدعاء» (٢٣١).

(٢) «الزهد» للإمام أحمد (٢٤١).

٢ ـ شروط الدعاء.

٣ ـ موانع إجابة الدعاء.

٤ ـ آداب الدعاء ومستحباته.

٥ ـ دعوات لا ترد.

٦ ـ أماكن تُجاب فيها الدعوات.

٧ ـ أوقات وأحوال تُجاب فيها الدعوات.

٨ ـ دعوات منهي عنها.

٩ ـ أخطاء في الدعاء.

١٠ ـ شرح أكثر من تسعين[١] حديثاً نبوياً في الدعاء شرحاً مبسطاً ليس بالطويل الممل، ولا القليل المخل، مبتدئين بشرح ألفاظ غريب الحديث ثم شرح الدعاء، مع ذكر بعض فوائد فيه.

١١ ـ الحِكَم والفوائد من تأخر إجابة الدعاء.

وقد قمنا بتخريج الأحاديث تخريجاً يسيراً، وتحرينا الأحاديث الضعيفة واختيار الأحاديث الصحيحة، وذكر من صححها من أهل العلم.

والملاحظ أيضاً تقليل الإحالة إلى المراجع، وتقليل الهوامش حتى لا نكثر على القارئ التشويش والشتات، ويكون جل تركيز القارئ على الفهم والفقه والبيان.

ونأمل من القارئ الكريم ألا ينسانا من خالص دعائه بالليل والنهار، وألا يبخل علينا بالنصيحة في مواضع الزلل.

---

(١) وقد زاد عدد الأدعية في هذه الطبعة أي: الثانية سبعة أدعية، فصار المجموع تسعة وتسعين حديثاً، تيمناً بأسماء الله تعالى الحسنى الواردة في الحديث.

فضائل الدعاء

١ ـ الدعاء: طاعةٌ لله عز وجل وامتثال لأمره:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ (غافر: ٦٠) وقال تعالى: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ (النساء: ٣٢).

قال رسول الله ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة».[١]

والأمر يدل على الوجوب كما هو معلوم عند الأصوليين.[٢]

٢ ـ الدعاء: أعظم العبادة وأفضلها:

كما في قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ (غافر)، فدلَّت الآية على أن الدعاء عبادة عظيمة في ذاتها، يؤجر عليها الداعي أجراً كبيراً.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة»[٣]: «هذه الصيغة المقتضية للحصر من جهة تعريف المسند إليه، ومن جهة تعريف المسند، ومن جهة ضمير الفصل، تقتضي أن الدعاء هو أعلى أنواع العباده، وأرفعها، وأشرفها».[٤]

كقول النبي ﷺ: «الحج عرفة» أي: إن معظم الحج الوقوف بعرفة[٥] «ولم يرد هذا اللفظ في أي نوع من أنواع العبادة الأخرى».[٦]

---

(١) صحيح الترمذي (٣٤٧٩)، وصحيح الجامع (٢٤٥).
(٢) انظر: روضة الناظر لابن قدامة المقدسي (٢/٧٠).
(٣) صحيح الترمذي (٢٩٦٩) وصحيح الجامع (٣٤٠٧).
(٤) تحفة الذاكرين للشوكاني (٣٣).
(٥) شأن الدعاء للخطابي (٥).
(٦) شرح الإحياء للزبيدي (٥/٤).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**أفضل العبادة الدعاء**».[1]

وهذا يدل كسابقه، على أن الدعاء هو معظم العبادة، وأفضلها، وأزكاها، وأسماها.

٣ـ الدعاء: فيه السلامة من الكِبْر:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ (غافر).

«أفاد ذلك بأن الدعاء عبادة، وأن ترك دعاء الرب سبحانه وتعالى استكبار، ولا أقبح من هذا الاستكبار، وكيف يستكبر العبد عن دعاء من هو خالق له، ورازقه، وموجده من عدم، وخالق العالم كله... فلا شك أن هذا طرف من الجنون، وشعبة من كفران النعم».[2]

٤ـ الدعاء: سبب لقرب اللّه تعالى من العبد:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ (البقرة).

أضاف سبحانه عباده إلى نفسه تشريفاً وتكريماً لهم في قوله (**عبادي**)، وقوله: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾: يدل على أن قربه تعالى من الداعي قرب خاص؛ لأن القرب وصف أخص من المعية، ويدل على عناية تامة، ولهذا لم يرد القرب موصوفاً به اللّه عز وجل إلا في حال الدعاء، وفي حال السجود، كقول الرسول ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**[3]».[4]

قال الإمام الفخر الرازي رحمه اللّه: إن الدعاء سبب القرب من اللّه تعالى؛

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٥٧٩).
(٢) تحفة الذاكرين للشوكاني (٣٣).
(٣) مسلم (٤٨٢).
(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٤٩٣/٥)، وشرح عقيدة أهل السنة والجماعة للعلامة محمد بن عثيمين رحمه الله (١٧٨).

وذلك أن كل سؤال في القرآن يأتي الجواب بـ«قل»، قال تعالى: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ (البقرة: ٢١٩)، وقال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ﴾ (البقرة: ٢٢٠)، وقال: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ ﴾ (البقرة:٢١٥).

أما في هذه الآية فلم يذكر فيها لفظ (قل): فكأنه يقول تعالى: «**يا عبدي أنت إنما تحتاج إلى الواسطة في غير الدعاء، وأما في مقام الدعاء فلا واسطة بيني وبينك**».[1]
وهذا في غاية الاستعطاف من الرب تبارك وتعالى لنا في دعائه وسؤاله.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: «**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني**»[2] أي يعامله على حسب ظنه به، فإن ظن الإجابة عند الدعاء فله مثل ما ظن، فينبغي لكل داعي أن يحسن الظن بالله تعالى حال الدعاء، لأن العبد يدعو الكريم المنان ذا الجلال والإكرام، وقوله **(وأنا معه)** أي في النصر والتأييد والإجابة، وكفى بهذه المزية للداعي.

٥- إعطاء الداعي ما سأل عاجلاً أو آجلاً:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**» قالوا: إذاً نكثر، قال: «**الله أكثر**».[3] أي: إذا كانت الإجابة لا تخرج عن أحد الأوجه الثلاثة، وأنه لا يرد من الدعاء شيء، فلابد إذن أن نكثر منه لعظيم فوائده ومنافعه.

قوله: **(الله أكثر)** «أي: أكثر إحساناً، ونوالاً، (وعطاءً) مما تطلبون».[4] فخزائنه سبحانه لا تنفد، مهما أعطى وأسبغ. وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**ما**

(١) مفاتيح الغيب (٣١/٢٢).
(٢) البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥).
(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٢٨٤) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٥٧٣).
(٤) انظر: دليل الفالحين (٣٣١/٧).

من مسلم ينصب وجهه لله عز وجل في مسألة إلا أعطاها إيَّاه، إمَّا أن يعجلها له، و إمَّا أن يدخرها له في الآخرة ما لم يعجل»، قالوا: يا رسول اللّه، وما عجلتهُ؟ قال: «يقول: قد دعوت قد دعوت فلم أر يستجيب لي فيستحسر عن ذلك ويدَعِ الدعاء».[1]

فالإجابة آتية ما لم تبطل بالملل، والاستبطاء، واليأس، والخلل.

٦ـ الدعاء: يرد القضاء:

أ ـ قبل نزوله: قال رسول اللّه ﷺ: «لا يرد القضاء إلا الدعاء».[2] وعنه ﷺ أنه قال: «ادعوا، فإن الدعاء يرد القضاء».[3]

ب ـ وبعد نزوله: عن ابن عمر رضي اللّه عنهما أن رسول اللّه ﷺ قال: «الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء».[4] وقال ﷺ: «لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان[5] إلى يوم القيامة».[6] فهو من أقوى الأسباب لجلب المصالح ودفع المفاسد، فهو يدفع البلاء والسوء والأمراض، ويؤخر الآجال، وهو أمان من شر القضاء والبلاء. فدلَّت هذه الأحاديث على أن اللّه عزَّ شأنه، يدفع بالدعاء ما قد قضاه على العبد، وهو أيضاً من قدر اللّه سبحانه «فقد يقضي على عبد قضاءً مقيداً بألا يدعوه، فإذا دعاه اندفع عنه».[7]

٧ـ الدعاء: أكرم شيء على الله عزَّ وجلَّ:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس شيء أكرم على الله عز

(١) رواه أحمد في المسند (٩٧٨٥) وحسنه الأرنؤوط (٤٨٧/١٥)، ومسلم (٩٢) بمعناه.

(٢) صحيح الترمذي (٢١٣٩)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (١٥٤).

(٣) رواه الطبراني في الدعاء برقم (٢٩)، وحسن إسناده محقق الكتاب د. محمد سعيد البخاري (٧٩٨/٢).

(٤) صحيح الترمذي (٣٥٤٨).

(٥) أي يتدافعان ويتصارعان.

(٦) صحيح الجامع (٧٧٣٩).

(٧) تحفة الذاكرين (٣٦).

وجل من الدعاء»[1] قوله: (**ليس شيء**): أي من العبادات القولية، و(**أكرم**): أي: أفضل، والمعنى أن الدعاء أفضل عند الله، وأرفع درجة، وأعلى قدراً[2]، فهو أحرى بالاستجابة والقبول، لما فيه من التذلل والانكسار، والاعتراف بقوة الله تعالى وكمال قدرته وغناه، دلَّ هذا الحديث على عظم فضل الدعاء وعلو منزلته، حيث لم توصف عبادة بأنها أكرم على الله تعالى سوى الدعاء.

٨ـ الدعاء: أمانٌ من غضب الله تعالى:

قال رسول الله ﷺ: «**من لم يدْعِ الله سبحانه غضب عليه**»[3]. وعنه ﷺ: «**من لم يسأل الله يغضب عليه**»[4] «ففي هذا دليل على أن الدعاء من العبد لربه من أهم الواجبات، وأعظم المفروضات؛ لأن تجنب ما يغضب الله تعالى منه لا خلاف في وجوبه».[5]

قال ابن القيم رحمه الله: «هذا يدل على أن رضاه في مسألته وطاعته، وإذا رضي الرب تعالى، فكل خير في رضاه، كما أن كل بلاء ومصيبة في غضبه»[6]، لأنه أيسر العبادات، وأسهلها، وألذها. قال سفيان الثوري رحمه الله: «يا من أحب عباده إليه من سأله فأكثر سؤاله، ويا من أبغض عباده إليه من لم يسأله، وليس كذلك غيرك يا رب».[7]

٩ـ الدعاء: فيه السلامة من العجز:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**أعجز الناس من عجز عن الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام**».[8]

---

(١) صحيح الترمذي (٣٣٧٠).
(٢) رش البرد شرح الأدب المفرد (٣٩٧).
(٣) حسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٨٢٧)، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٦٥٤).
(٤) صحيح الترمذي (٣٣٧٣).
(٥) تحفة الذاكرين للشوكاني (٣٧).
(٦) بواسطة: فيض القدير (١٢/٣).
(٧) تفسير ابن كثير (٨٥/٤).
(٨) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦٠١).

١٠ ـ عظم حياء الله وكرمه للداعي:

عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن ربكم تبارك وتعالى حييٌّ**[١] **كريمٌ، يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردَّهما صفرا**[٢] **خائبتين**».[٣] وفي لفظ «**حتى يضع فيهما خيراً**».[٤] أي: إن من كمال حيائه[٥] أنه يستحيي أن يرد من رفع يديه إليه متذللاً منكسراً راجياً من فضله، لأنه لا يتناسب مع سعة رحمته تعالى وجوده، وعطائه، الذي لا ينفد.

١١ ـ الدعاء: مفزع المظلومين وملجأ المستضعفين:

هذه سُنة الله تعالى في عباده أنه من سأله ولاذ ببابه ألا يرده ولا يخيبه، لأنه الجواد الكريم، وخاصة أنه تعالى يجيب دعوة المظلومين والمستضعفين، لأنهم انقطعت بهم الأسباب، وأغلقت في وجوههم الأبواب، إلا بابه الذي لا يُغلق على الإطلاق، قال تعالى: ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ** ﴿٦٢﴾ ﴾ (النمل).

وأخبر أن دعوة المظلوم لا ترد لكمال رحمته، وعدله جل وعلا، قال رسول الله ﷺ لمعاذ ابن جبل: «... **واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»[٦]، وقد قص الله تعالى لنا من نصرته لعباده المرسلين، حينما سألوه، ولاذوا ببابه، فهذا نوح يقول: ﴿ **فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ** ﴿١٠﴾ ﴾ فأجابه، وانتصر له ﴿ **فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ** ﴿١١﴾ ﴾ (القمر).

---

(١) أي: كثير الحياء، لأن (حييّ) على وزن فعيل من صيغ المبالغة.

(٢) أي خاليتين.

(٣) صحيح الترمذي (٣٥٥٦).

(٤) حسنه ابن حجر في الفتح (١١/١٢١)، وصححه الألباني بنحوه في صحيح الجامع (١٧٦٨).

(٥) حياء الله تعالى وهي صفة كمال وجلال تليق به، ليس كحياء المخلوقين الذي فيه تغيير وانكسار، أما حياؤه تعالى، فإنه حياء كرم، وبر، وجود، وجلال، انظر: مدارج السالكين (٢/٢٧٢) شرح النونية للهراس (٢/٨٠).

(٦) البخاري (٢٤٤٨) ومسلم (١٢١).

ومؤمن آل فرعون: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ فحفظه الله من كيدهم، وانقلب مكرهم وكيدهم على أنفسهم: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ (غافر).

والنبي ﷺ في (بدر) يدعو ويستغيث بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني»[1]، فأنجز الله تعالى ما وعده فنصره على قريش، لأن ربنا جل وعلا لا يخلف الميعاد، لكمال صدقه، وقدرته على كل العباد.

وحين تكالب الأحزاب من كل جانب على النبي ﷺ والأصحاب، دعا فقال: «اللهم مُنزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم، وانصرنا عليهم».

وفي لفظ: «... اللهم اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم»[2] فأرسل الله تعالى الريح عليهم وهزمهم، وكفى الله المؤمنين القتال، لأن الداعي يركن إلى ركن شديد عظيم، وهو الله رب العالمين.

ورحم الله الشافعي حين قال:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه ... وما تدري بما صنع الدعاءُ

سهام الليل لا تخطي ولكن ... لها أمدٌ وللأمد انقضاءُ[3]

١٢ ـ الدعاء: وسيلة إلى علو الهمة ولكبَر النفس:

فبالدعاء تكبر النفس، وتعلو الهمة وتتسامى إلى العلى، لأن الداعي يسأل من

(١) صحيح مسلم (١٧٦٣).
(٢) البخاري (٢٩٦٦) ومسلم (١٧٤١).
(٣) ديوان الشافعي (٧٥) نقلاً من الدعاء محمد الحمد (٢٥).

بيده ملكوت الأرض، والسموات العلا، الذي بيده خزائن الآخرة والأولى، فينبغي أن ينزل به حاجاته وخيراته، ويستدفع مضاره وشروره.

فيزداد إيمانه وتعلقه بربه، ويقطع الطمع مما في أيدي خلقه، لأنهم لا يملكون له شيئاً إلا بإذن من اللّه تعالى ومشيئته سبحانه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه: «وكلما قوي طمع العبد في فضل اللّه ورحمته لقضاء حاجته ودفع ضرورته، قويت عبوديته له، وحريته مما سواه».[(١)]

والنبي ﷺ حثنا على تعظيم ما نسأله، لأنه تعالى لا تتعاظم عليه المسائل، مهما كثرت، وكبرت، لكمال غناه، وسعة فضله، قال ﷺ: «**إذا دعا أحدكم، فليعظم الرغبة، فإنه لا يتعاظم على الله شيء**»[(٢)] وفي لفظ: «**إذ دعا أحدكم فلا يقولن: اللهم! اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزم المسألة، وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**»[(٣)]. وبين كتاب ربنا الحكيم سؤال الأنبياء والمرسلين من خيري الدنيا والدين، فموسى يدعو: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ (القصص).

وسليمان عليه السلام يدعو ملكاً عظيماً: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ (ص).

ونبينا ﷺ يدعونا إلى كبر وعلو الهمة فيقول ﷺ: «**إذا سألتم الله فاسلوه الفردوس الأعلى**»[(٤)] لأنها أعظم الجنان وأفضلها عند الكريم المنان قال ﷺ: «**في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة، ومن فوقها يكون العرش، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس**».[(٥)]

---

(١) العبودية (٩٤).

(٢) صحيح موارد الظمآن (٢/٤٤٢) (٢٠٣٧).

(٣) مسلم (٢٦٧٩).

(٤) صحيح موارد الظمآن (٢/٤٥٢) (٢٠٦٣)، والبخاري (٢٧٩٠)، (٧٤٢٣).

(٥) صحيح سنن النسائي (٢٥٣١) والبخاري (٢٧٩٠).

وعلو الهمة هو دأب خير أصحاب النبي ﷺ، فهذا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول: إن لي دعاء لا أدعه: «اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد، ونعيماً لا ينفد، ومرافقة نبينا محمد ﷺ في أعلى درجة[1] الجنة فقال له النبي ﷺ: «سل تعطه»[2] ويقول رضي الله عنه: قد صليت منذ كذا وكذا، ما صليت فريضة ولا تطوعاً، إلا دعوت الله في دبر كل صلاة.[3] ومن دعاء علي رضي الله عنه: «اللهم إني أسألك نعيماً لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد وإبراهيم، في أعلى جنة الخلد».[4]

١٣ ـ الدعاء: سبب لانشراح الصدر وطمأنينة القلب:

من عاجل استجابة الله تعالى لدعاء عبده، ما يحصل لنفس الداعي، من انشراح في صدره، وبهجةٍ في قلبه، وراحةٍ لباله، وسكينةٍ في بدنه، فالدعاء فيه تفريج للهموم والغموم، وتيسير للأمور، وتحمّل لقوام الحياة، وما فيها من غرور، لأن الداعي يفزع إلى خالقه ومليكه، فيبث له الشكوى والهم والحزن، كما قال الله تعالى عن يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨٦﴾ (يوسف).

وقد أحسن من قال:

«وإني لأدعو الله والأمرُ ضيِّق
عليَّ فما ينفكُّ أن يتفرجا
وربَّ فتىً ضاقت عليه وجوهُه
أصاب له في دعوة الله مخرجا»[5]

(١) أي: الفردوس الأعلى كما في الرواية السابقة (الفردوس أعلاها درجة).

(٢) رواه النسائي بإسناد حسن في عمل اليوم والليلة (٨٦٩)، وصححه الألباني في صحيح موارد الظمآن (٢/٤٥٣)، (٢٠٦٥)، وشعيب الأرناؤوط في تعليقه على مسند أحمد (٦/١٧٨)، برقم (٣٦٦٢).

(٣) تاريخ ابن عساكر (٣٣/٩٦).

(٤) المصنف لابن أبي شيبة (١٠/٣٢٨).

(٥) الدعاء لمحمد الحمد (١٨).

١٤ ـ الدعاء: يفتح للعبد لذة المناجاة:

«فإن العبد، حينما يقوم لمناجاة ربه، رب الأرض والسموات، وإنزال حاجاته ببابه، فيفتح على قلبه حال السؤال والدعاء، من محبة اللّٰه تعالى، ومعرفته، والذل والخضوع له، والتملق بين يديه، ما ينسيه حاجته، ويكون ما فتح له من ذلك أحبَّ إليه من حاجته، بحيث تدوم له تلك الحال، وتكون آثر عنده من حاجته، ويكون فرحه بها أعظم من فرحه بحاجته.

قال بعض العُبَّاد: إنه تكون لي حاجة إلى اللّٰه تعالى، فأسأله إياها، فيفتح عليَّ من مناجاته، ومعرفته، والتذلل له، والتملق بين يديه، ما أحبُّ معه أن يؤخر عني قضاءها، وتدوم لي تلك الحال».[١]

نعم يا عبداللّٰه إن لذة مناجاة رب العالمين، لا تعدلها أي لذة، إنها من أعظم نعيم الدنيا، الموصل إلى نعيم الآخرة، إنها بستان العابدين، وروض السائلين، فهي الباب الأعظم المفتوح بينه وبين عبده، ما لم يغلقه العبد، فالمحروم من أغلقه فعزل، والسعيد من أعطيه فاتصل.

١٥ ـ الدعاء: فيه حقيقة التوكل على اللّٰه عزوجل:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ﴾ (الطلاق: ٣).

فالتوكل هو: اعتماد قلب العبد على اللّٰه وحده في جلب ما ينفع، ودفع ما يضر، وهذا متحقق غاية التحقق في حال الدعاء، وذلك أن الداعي حال دعائه مستعين باللّٰه في قضاء ما يسأله ويرجوه، مفوض أمره إلى اللّٰه وحده، دون غيره في إعطاء ما يأمله، على الكيفية والصورة التي يعطيه اللّٰه إياها، «ثم إن التوكل لا يتحقق إلا بالقيام بالأسباب المأمور بها، فمن عطلها لم يصح توكله، والدعاء من أعظم هذه الأسباب، إن لم يكن أعظمها».[٢]

---

(١) مدارج السالكين (٢/٢٢٩) بتصرف يسير.

(٢) الدعاء محمد الحمد (١٩).

١٦ ـ الدعاء: سبب لحصول المودة بين المسلمين:

بين ﷺ أن دعوة المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب مستجابة لا ترد، قال ﷺ: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل»[١] فإذا قام كل عبد بالدعاء لأخيه وانتشر ذلك فيما بينهم، فإنك ترى الود والتراحم والتعاطف بينهم كالجسد الواحد، أمة قوية لا تتجزأ ولا تتفرق.

١٧ ـ الدعاء: يتحقق فيه كمال التوحيد والإيمان:

إن أنواع التوحيد التي جاءت بها رسل اللّه تعالى ثلاثة[٢]، التي لا يصح إيمان العبد حتى يتحقق إيمانه بها كلها، وهي: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات العلية، فتوحيد الربوبية: هو الإقرار بأن اللّه تعالى رب كل شيء، ومالكه، وخالقه، فهو سبحانه، «الذي يربي عبده فيعطيه خلقه، ثم يهديه إلى جميع أحواله من العبادة وغيرها».[٣]

ومن هذه التربية: إسعافه دعوات عباده، وإعطاء سؤالاتهم، وأمانيهم، فـ«هذا الاسم أحق بالاستعانة، والمسألة».[٤] من غيره.

ولهذا فإن غالب أدعية الكتاب، مصدرة بهذا الاسم الجليل. (**الرب**)[٥]، لما يدل هذا الوصف من الصلة بين الرب والمربوب، على ما يتضمنه من العطف، والرحمة، والافتقار في كل حال.[٦]

لأن إجابة الدعاء من مقتضى الربوبية، وهي شاملة لجميع الخليقة مؤمنهم

---

(١) مسلم (٢٧٣٣).
(٢) انظر: الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة: (١/٣٦٥).
(٣) مجموع الفتاوى (١/٢٢).
(٤) المصدر السابق.
(٥) انظر: تفسير السعدي (١/٣٩).
(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/١٣٧).

وكافرهم، إنسهم وجنهم، وهي الربوبية العامة، والخاصة: لأوليائه فيخصهم بالإجابة، والعناية، والولاية.[1]

ولهذا فإن الداعي ما قام ولجأ إلى اللّه تعالى بالدعاء، إلا وهو محقق لهذا النوع من التوحيد الجليل.

وتوحيد الألوهية: وهو إفراد اللّه بالعبادة، وإخلاصه له بها كلها: والدعاء كما تقدم هو أفضل العبادة، فمن أفرد اللّه تعالى بالدعاء، فقد وحّد وأخلص في عبادته لربه سبحانه، وهذا هو الدين الخاص، الذي أمرنا به رب العالمين: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١﴾ (الزمر).

وتوحيد الأسماء والصفات: وهو إثبات ما وصف اللّه به نفسه، وما أثبته به رسوله من الأسماء الحسنى والصفات العلى دون تمثيل، ولا تشبيه، ولا تحريف، ولا تأويل، ولا تكييف.[2]

ولا يخفى أن الداعي ما دعا اللّه تعالى إلا وهو مؤمن باتصافه سبحانه وتعالى، بالأسماء الحسنى والصفات العلا، حال كل دعاء يدعوه، فهو مصدق وموقن بأن الله هو السميع، البصير، العليم، القريب، المجيب، والرزاق، والقادر، المقتدر، ومتصف تعالى بالمشيئة الكاملة، التي لا تتخلف عن مراداته سبحانه، ويؤمن بمعية اللّه تعالى لكل الخلق، وللداعي خاصة كما تقدم[3] ويتحقق فيه إيمانه بعلو اللّه تعالى من كل الوجوه: علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر، فالداعي قد أتى بأنواع التوحيد الثلاثة، الواجبة على كل مسلم.

فالإكثار من الدعاء يزيد من الإيمان ويحقق التوحيد بكل أنواعه العظيمة، فيزيد في الفطرة قوة، ويجليها من كل شائبة، ويجعلها نقية صافية كما خُلقت، ولهذا وصف النبي ﷺ الدعاء فقال: «**الدعاء هو العبادة**».

(١) انظر: فتح الرحيم الملك (٤٠)، والقواعد الحسان (١٤٢)، وتفسير السعدي (٥/٤٨٥).
(٢) العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٧).
(٣) الحديث القدسي (وأنا معه إذا دعاني) انظر (١٥).

١٨ ـ الدعاء: يجتمع فيه من أنواع العبادات ما لا يجتمع في غيره:

من ذلك: من توجه القلب إلى اللّه عزوجل، وقصده بالكلية، ورجاء إجابة دعوته والرغبة إليه والتوكل عليه، والخوف منه وخشيته، ومحبته، والابتهال إليه والتذلل له والتملق، والانطراح بين يديه تعالى، والتبري من الحول والقوة إلا به، وذكره باللسان من اللهج بالحمد والتقديس والثناء باسمه، والتمجيد، والتعظيم له، والاستعانة به»[١] وغير ذلك من العبادات التي لا تعد ولا تحصى، فإنك ترى أن معظم مقامات العبودية تداخلت فيه، بل كل جزئيات الجسم الباطنة والظاهرة تنبئ به، «فلله ما أعظم شأن الدعاء، وأعظم فضل الله ونعمته على عباده به»[٢] وفضائل الدعاء وثمراته في الدنيا والآخرة لا تحصى في هذا المقام، فشد ساعد الجد في الاجتهاد بالدعاء في كل حال وحين واغتنم ساعات عمرك، وسابق لنيل ما عند اللّه تعالى قبل مجيء الأجل، وينقطع هذا الحبل العظيم من ربنا الكريم، فيا لها من نعمة إذا اغتنمت، ويا لها من حسرة إذا أهملت.

وختاماً: «كفى بالدعاء شرفاً أنه تعالى جعل قلبه (أي: الداعي) بالرغبة إليه، ولسانه بالثناء عليه، وجوارحه بالمسؤول بين يديه، فلو أعطي الملك كله، كان ما أعطى من الدعاء أكثر».[٣] يا اللّه.

(١) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية (٢/٩٤٧) بتصرف يسير.
(٢) تصحيح الدعاء (٢٠).
(٣) فيض القدير (٦/٣٦٧٩).

شروط الدعاء

أمر اللّه تعالى بالدعاء ووعد بالاستجابة تكرماً منه وتفضلاً: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠) فهو وعدٌ متحقق، صادق، لا يتخلف منه تعالى البتة ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ (النساء). وقال جل شأنه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ (الأنعام)، إلا أنه سبحانه وتعالى قضى بحكمته أن جعل شروطاً، وأركاناً، وآداباً لقبول هذه العبادة العظيمة.

قال ابن القيم رحمه اللّه: «فإنه (الدعاء) من أقوى الأسباب في دفع المكروه، وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف عنه أثره، إما لضعف في نفسه، بأن يكون دعاءً لا يحبه اللّه تعالى لما فيه من العدوان، وإما لضعف القلب، وعدم إقباله على اللّه تعالى وجمعيته عليه وقت الدعاء، فيكون بمنزلة القوس الرخو جداً، فإن السهم يخرج منه خروجاً ضعيفاً، وإما لحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام، والظلم، ورين القلوب، واستيلاء الغفلة، والشهوة، واللهو، وغلبتها عليه...».(١)

الشرط الأول: الإخلاص: وهو أعظم وأهم شروط قبول الدعاء، وهو الذي تدور عليه دوائر الإجابة، «والإخلاص معناه: تخليص القصد للّه تعالى في جميع العبادات الواجبة، والمستحبة، وحقوق اللّه، وحقوق عباده».(٢) وهو: تصفية الدعاء من كل ما يشوبه، وصرفه ذلك كله للّه تعالى وحده. قال تعالى: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ (غافر). «وقد دلت الآية أن الإجابة مشترطة بالإخلاص».(٣)

وقال النبي ﷺ لعبداللّه بن عباس: «**يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ اللّه**

---

(١) الجواب الكافي (١٠٠٩).

(٢) تفسير السعدي (٧٤٣).

(٣) فتح الباري (٩٥/١١).




يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله...».[١]

الشرط الثاني: حضور القلب حال الدعاء: قال رسول الله ﷺ: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب من قلبٍ غافلٍ لاه**».[٢]

الشرط الثالث: العزم والجزم وحسن الظن حال الدعاء: كما في الحديث السابق: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة». وقال رسول الله ﷺ: «**إذا دعا أحدكم، فليعزم في الدعاء، ولا يقل اللهم إن شئت فأعطني، فإن الله لا مُسْتكره له**».[٣]

---

(١) صحيح الترمذي (٢٥١٦).

(٢) صحيح الترمذي (٢٧٦٦).

(٣) البخاري (٦٣٣٨)، ومسلم (٢٦٧٨).

موانع إجابة الدعاء

المانع الأول: التوسع في الحرام: مأكلاً، ومشرباً، وملبساً:

قال رسول اللّه ﷺ: «إن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ (المؤمنون)، وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ (البقرة)، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء، يا ربّ! يا ربّ! ومطعمه حرام ومشربُهُ حرام، وملبسه حرامٌ، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك».[١]

قال ابن رجب رحمه الله: «إن اللّه لا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيباً طاهراً من المفسدات كلها: كالرياء، والعجب، ولا من الأموال إلا ما كان طيباً حلالاً، فإن الطيب توصف به الأعمال، والأقوال، والاعتقادات».[٢]

فهذا الداعي قد أتى بأربعة أسباب من أسباب إجابة الدعاء، الأول: إطالة السفر، الثاني: أن يكون متواضعاً متذللاً مستكيناً، فهذا أيضاً من مقتضيات الإجابة، كما في الحديث عن النبي ﷺ: «رُبَّ أشعث أغبر مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبرّه»[٣]. الثالث: مدُّ اليدين إلى السماء كما في الحديث المتقدم آنفاً: «إن اللّه حيّيٌّ كريم، يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه، أن يردَّهما صفراً خائبتين». الرابع: الإلحاح على اللّه بتكرير ذكر ربوبيته (رب) وهو من أعظم ما يطلب به إجابة الدعاء[٤] مع كل هذه الأسباب العظيمة، استبعد النبي ﷺ إجابة دعائه، دلالة على أهمية التوقي من الحرام بكل أنواعه، وأحواله.

---

(١) مسلم (١٠١٥).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/٢٥٩).

(٣) صحيح مسلم (٢٦٢٢).

(٤) جامع العلوم والحكم (٩٨. ١٠١).



المانع الثاني: الاستعجال وترك الدعاء:

قال رسول الله ﷺ: «**يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول: قد دعوت فلم يُستجب لي**».[1]

وعنه ﷺ أنه قال: «**لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدْعُ بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل**»، قيل: يا رسول الله! ما الاستعجال؟ قال: «**يقول قد دعوت، وقد دعوت فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند الله ويدَعُ الدعاء**».[2]

ومعنى يستحسر: أي ينقطع عن الدعاء.

فقوله: (**قد دعوت**): أي مرة بعد مرة يعني مرات كثيرة، فهذا يدل على الاضجار والسآمة، وكلها من موانع إجابة الدعاء، فليحذر من أراد الإجابة، أن لا يستبطئها، ولا يستعجلها، فالله جل شأنه يجيب في الوقت الذي يريده، لما له من الحكمة البالغة، والحجة الباهرة.

وقوله: «لا يزال يُستجاب» فيه دلالة على استمرارية، وتحقق الإجابة الواسعة العظيمة التي يشير إليها (الفعل المضارع)، و(السين)، و(التاء)، والتي تفيد المبالغة، في تحقيق إجابة الدعوة.

المانع الثالث: الدعاء بالإثم والعدوان:

كما في الحديث السابق: «**لا يزال يُستجاب للعبد ما لم يدْعُ بإثم أو قطيعة رحم...**».

المانع الرابع: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لتأمُرنَّ بالمعروف، ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه، فلا يُستجاب لكم**».[3] وفي هذا

(١) صحيح البخاري (٦٣٤٠) وصحيح مسلم (٢٧٣٥).
(٢) مسلم (٢٧٣٥).
(٣) صحيح الجامع (٦٩٤٧).

الحديث: «دليل على وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فإن لا عقوبة إلا على ترك الواجب، وفيه أن ترك إجابة دعاء الأخيار، من العقوبة أيضاً».[1]

المانع الخامس: ترك الواجبات وارتكاب المعاصي والمحرمات:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١﴾ (الرعد).

فإن مما لا شك فيه ولا ريب أن ترك ما أمر الله به والوقوع في ما نهى عنه سببٌ في تغير النعم، وحصول النقم، ولا يخفى أن رد الدعاء من أشد البلاءات والمحن وإزالة الآلاء والنعم، لذا ينبغي أن يُعلم: أن القيام بالواجبات، والطاعات، من آكد الأسباب لاستجابة الدعاء، والعكس بالعكس.

المانع السادس: الاعتداء في الدعاء:

قال تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعٗا وَخُفْيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ٥٥﴾ (الأعراف).

وقال ﷺ: «**سيكون قوم يعتدون في الدعاء**»[2] وفي لفظ: «**إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء**»[3] وأصل هذه المادة: «تجاوز ما ينبغي أن يقتصر عليه»[4]، وبالجملة: «إن العدوان في الدعاء يدور على أمرين:

١ – ما لا يمكن شرعاً.

٢ – أو يسأل ما لا يمكن قدراً».[5]

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير (٢٧١٩).
(٢) صحيح الجامع (٣٥٦٥).
(٣) صحيح أبي داود (٩٦).
(٤) الدعاء ومنزلته من العقيدة (١/١٧٢).
(٥) شرح صحيح مسلم للعلامة ابن عثيمين (١/١٢٤).

وصور الاعتداء كثيرة جداً نذكر منها:

١ ـ الشرك بالله في الدعاء، وهو أعظم الاعتداء.

٢ ـ أن يشتمل على شيء من التوسلات البدعية.

٣ ـ سؤال الله منازل الأنبياء.

٤ ـ سؤال الله المعونة على الحرام.

٥ ـ الابتداع في الدعاء.

٦ ـ الدعاء بدون تضرع.

٧ ـ رفع الصوت بالدعاء.

٨ ـ تكلف السجع في الدعاء.

٩ ـ الدعاء على الأهل والأموال والنفس.

١٠ ـ الدعاء على وجه التجربة والاختبار لله عزَّ وجلَّ.

١١ ـ الدعاء على النفس بالموت.

١٢ ـ تعليق الدعاء على المشيئة.[١]

---

(١) انظر: الاعتداء في الدعاء سعود العقيلي (١٥ – ٩٩)، والدعاء ومنزلته من العقيدة (١/١٧٢ . ١٨٢)، الدعاء محمد الحمد (٦٩، ٨٤).

آداب الدعاء ومستحباته

١ ـ أن يبدأ بحمد الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله والصلاة على رسول الله ﷺ:

إن من الآداب الجليلة أن يقدم العبد بين يدي دعائه من نعوت الجلال والكمال، ليكون وسيلة لقبول الدعاء، ومفتاحاً للإجابة. عن فضالة بن عبيدالله رضي الله عنه قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته، لم يمجد الله تعالى، ولم يصل على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**عجَّل هذا**» ثم دعاه فقال له أو لغيره: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله **والثناء عليه، ثم يُصلي على النبي، ثم يدعو بعد بما شاء**».[1]

ورأى رسول الله ﷺ رجلاً آخر يصلي فمجّد الله، وحمده وصلى على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**أيها المصلي ادعُ تُجب، وسل تُعط**».[2] وقال رسول الله ﷺ: «**كل الدعاء محجوب حتى يُصلى على النبي**».[3]

٢ ـ رفع اليدين حال الدعاء:

«ذلكم الأدب الرفيع من المخلوق الفقير المحتاج إلى ربه الغني الجواد الكريم، حيث يظهر المخلوق برفعه يديه احتياجه لربه، وافتقاره إليه، وذُلَّه، وخضوعه وانكساره بين يدي ربه، ففي مد اليدين إلى الله تعالى، إقرار بأن الله كريمٌ جوادٌ محسنٌ، يجيب الداعين، ويغيث الملهوفين، ويعطي السائلين»[4] وهذا الأدب العظيم من أعظم أسباب قبول الدعاء، ودلالته في السنة أكثر من أن تحصى، فقد ذكر السيوطي رحمه الله: «أنه ورد نحو مائة حديث فيها رفع اليدين في الدعاء».[5]

---

(١) صحيح الترمذي (٣٤٧٧).
(٢) المصدر السابق (٣٤٧٦).
(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٠٣٥).
(٤) فقه الأدعية د. عبدالرزاق البدر (٣/١٧٢ ـ ١٧٤).
(٥) تدريب الراوي (٢/١٨٠).

وهذا الأدب الجليل كما ثبت عن الأنبياء، والمرسلين، والمؤمنين، فقد ثبت حتى عن بعض مخلوقات الله البديعية، والتي جبلت عليه، وهي من غير المكلفين، وهي «النملة»، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خرج نبي من الأنبياء**[1] **يستسقي، فإذا هو بنملة رافعة بعض قوائمها إلى السماء، فقال: ارجعوا فقد استجيب لكم، من أجل شأن نملة**».

قيل: إنها وقعت على ظهرها، ورفعت يديها، وقالت: «اللهم أنت خلقتنا، فإن رزقتنا، وإلا فأهلكنا»[2].

فانظر يا رعاك الله تعالى، إلى سعة رحمة الله تعالى، وسمو كرمه، مع نملة، وهي لا ترجو عقاباً ولا ثواباً، يعطيها ما تسأله، ولا يخيب رجاؤها، فكيف بعبده المؤمن الذي يشهد له بالوحدانية، ولمحمد ﷺ بالرسالة، ويمد إليه يديه بالدعاء، آناء الليل، وأطراف النهار، يرجو خيره، ويخاف عقابه؟

وقد تقدم في فضائل الدعاء عند رقم (١٠) الحديث الجليل الذي يدل على جلال كرم ربنا جل شأنه، وعظيم حيائه، قال ﷺ: «**إن ربكم تبارك وتعالى، حييٌّ، كريم، يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين**»، وفي لفظ: «**حتى يضع فيهما خيراً**».

ورفع اليدين حال الدعاء يدل دلالة جلية على علو الله تعالى على خلقه علواً كاملاً مطلقاً من كل وجه، وهو: علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر، ورفع اليدين وسيلةٌ إلى خشوع القلب، والجوارح.

صفة رفع الأيدي حال الدعاء:

دلت السنة الشريفة على أن رفع اليدين حال الدعاء له صفات ثلاث، ترجع إلى نوع الدعاء: المقام الأول: الابتهال: وهو شدة المبالغة في الدعاء والطلب، ويسمى أيضاً: دعاء الرهب، وذلك أنه كلما عظمت حاجة المخلوق، واشتدت رغبته،

---

(١) سليمان عليه السلام كما في الرواية الأخرى.

(٢) رواه الدارقطني في السنن: (١٨٨)، والحاكم بسند صحيح (١/٣٢٥).

وزاد إلحاحه، بالغ في رفع يديه، وزاد في مدهما إلى الله تعالى، متذللاً متوسلاً، كما في دعاء الاستسقاء، والجدب، وفي حال الشدة والرهبة، والنازلة بتسلط العدو، ونحو ذلك.

وصفته: رفع اليدين مدًّاً نحو السماء، حتى ترى عفرة إبطيه، أي بياضهما، وهي أخص أنواع الرفع.

المقام الثاني: مقام الدعاء: ويُسمى المسألة، ويقال: الدعاء، وهو رفع اليدين إلى المنكبين، أو نحوهما، ضامَّاً لهما، باسطاً لبطونهما نحو السماء، وظهورهما إلى الأرض، وهذه الصفة العامة لرفع اليدين عند الدعاء مطلقاً، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**كان النبي ﷺ إذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه**».[1]

المقام الثالث: الاستغفار، ويقال: الإخلاص، وهو رفع إصبع واحدة، وهي السبابة من اليد اليمنى، وهذه الصفة خاصة بمقام الذكر والدعاء حال الخطبة على المنبر، وحال التشهد في الصلاة، وحال الذكر والتمجيد والهيللة، خارج الصلاة.

والدليل على هذه الأنواع ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً عليه، ومرفوعاً إلى النبي ﷺ: «**المسألة ترفع يديك حذو منكبيك أو نحوهما، والاستغفار أن تشير بإصبع واحدة، والابتهال أن تمدَّ يديك جميعاً**»، وفي لفظ: «**هكذا الإخلاص يشير بإصبعه التي تلي الإبهام، وهذا الدعاء فرفع يديه حذو منكبيه، وهذا الابتهال، فرفع يديه مدا**[2]».[3]

ولا يخفى ما في إظهار السبابة من تحقيق التوحيد والإخلاص في إفراد الله تعالى بالألوهية، والربوبيّة الجليلة، والصفات العليّة.

---

(١) صحيح الجامع (٤٧٢١).

(٢) صحيح سنن أبي داود (١٣٢١ . ١٣٢٢ . ١٣٢٤).

(٣) انظر: فقه الأدعية (٣/١٧٢ . ١٧٨)، وتصحيح الدعاء (ص١١٦ . ١١٧).

٣ـ الدعاء بتضرع وخشوع ورغبة ورهبة:

الضراعة: الذل والخضوع.[١] قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ (الأعراف).

وهي صفة الأنبياء قبلنا، فقد ذكر لنا ربنا تعالى في سياق الثناء والتبجيل للنبي زكريا عليه السلام وأهله، فقال عز شأنه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ (الأنبياء).

يدعوننا: فعل مضارع يفيد الاستمرارية، أي إنهم كانوا في حال مستمرة في الدعاء، رغبةً فيما عندنا، ورهبة من عذابنا.

٤ـ الدعاء حال استقبال القبلة:

إن قبلة المسلمين في الدعاء كما هي قبلتهم في الصلاة. فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «استقبل النبي ﷺ الكعبة فدعا على نفر من قريش».[٢]

وفي يوم بدر: «استقبل النبي ﷺ القبلة ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: **اللهم انجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني...**».[٣]

وفي حديث الاستسقاء: «خرج النبي ﷺ إلى هذا المصلى يستسقي فدعا واستسقى، ثم استقبل القبلة، وقلب رداءه».[٤]

واستقبال القبلة حال الدعاء ليس عاماً في أدعية النبي ﷺ، فأدعيته غير مستقبل القبلة أكثر من أن تحصى، ولكن استقبالها وقت الدعاء هي من الأكمل والأولى والأرجى، في قبول الدعاء.

---

(١) مفردات القرآن (٥٠٦).
(٢) البخاري (٣٩٦٠)، ومسلم (١٤٢٠).
(٣) صحيح مسلم (١٧٦٣).
(٤) صحيح البخاري (٦٣٤٣)، ومسلم (٨٩٤).

٥ـ الدعاء في حال الرخاء وحال الشدة:

وهذا حال المؤمن الصادق فهو يدعو ربه ويلجأ إليه في كل أحواله، فهو ملازم لهذا المقام الجليل حال الصحة والعافية والفراغ، وقبل الاضطرار فعند ذلك يجيبه تعالى عند الشدائد والأخطار، كما أخبر تعالى، عن يونس ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ (الصافات). قال رسول اللّه ﷺ: «**من سرَّه أن يستجيب اللّه له عند الشدائد والكرب، فليكثر الدُّعاء في الرخاء**».[١]

٦ـ الإلحاح في الدعاء:

هذا هو أدب المؤمن الداعي الراغب فيما عند اللّه تعالى، فهو يدل على حسن ظن العبد بربه، بماله من أوصاف الكمال، والجلال: كالكرم، والجود، والمنن، فإن الإلحاح سمة من سمات العبودية، الدالة على ذلة الداعي، وافتقاره إلى المولى عز وجل.

والإلحاح: الإقبال على الشيء ولزومه، والمواظبة عليه[٢]، فالعبد الصادق يكثر من الدعاء، ويلح على اللّه تعالى، بتكرير لفظ الربوبية، والألوهية، والأسماء الحسنى، والأوصاف العلا، وذلك من أعظم ما يطلب به إجابة الدعاء، لدلالته على صدق توجه العبد إلى ربه، والإخلاص له بالعبادة، والاستكانة، والتذلل. ففي الإلحاح يلج الداعي إلى باب الملك العظيم، قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من يكثر قرع باب الملك، يوشك أن يُستجاب له».[٣]

ويحصل الإلحاح بتكرار الدعاء مرتين، وثلاثاً. والسنة أن يلحَّ ثلاثاً، فعن عبداللّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللّه ﷺ: «**كان إذا دعا، دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً**».[٤] وعنه أيضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «**كان يعجبه أن يدعو ثلاثاً، ويستغفر ثلاثاً**»[٥].

---

(١) صحيح الترمذي (٣٣٨٢)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (٥٩٣).

(٢) النهاية (٤/٢٣٦).

(٣) السنة للبغوي (٥/١٩١).

(٤) مسلم (١٣٩٤).

(٥) أخرجه أبو داود (١٥٢٤).

وفي حديث قصة سحره ﷺ عن عائشة رضي الله عنها: «فدعا ثم دعا ثم دعا»[1]. ولا يكره الزيادة على ثلاث، لأن النبي ﷺ «دعا لجند أحمس ورجالها، خمساً»[2]، لكن كان هديه ﷺ في أغلب أدعيته (ثلاثاً).

قال ابن القيم رحمه الله: «وأحب خلقه إليه أكثرهم وأفضلهم له سؤالاً، وهو يحب الملحين في الدعاء، وكلما ألحَّ العبد عليه في السؤال، أحبَّه وأعطاه»[3]. قال الإمام الجليل الأوزاعي رحمه الله: «كان يقال: أفضل الدعاء: الإلحاح على الله، والتضرع».[4]

٧ـ التوسل إلى الله تعالى بأنواع التوسل المشروعة بين يدي الدعاء:

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥﴾ (المائدة).

الوسيلة في اللغة: القربة والطاعة، وما يتوصل به إلى الشيء، ويتقرب به إليه.[5] ويقال: وسَّل فلان إلى الله وسيلة: إذا عمل عملاً تقرب به إليه.[6]

وشرعاً: هو التقرب إلى الله تعالى بأنواع من القرب المشروعة، بين يدي الدعاء.

وهناك عدة أنواع من التوسل المشروع، وهي مستحبة بين يدي الدعاء، حتى يكون أرجى في القبول والعطاء.

النوع الأول: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلا، إما في

---

(١) البخاري (٦٣٩١) ومسلم (٢١٨٩).
(٢) البخاري (٤٣٥٥) ومسلم (٢٤٧٦).
(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (١/١٨١).
(٤) شعب الإيمان للبيهقي (٢/٣٨).
(٥) النهاية في غريب الحديث (٥/١٨٥).
(٦) لسان العرب (١١/٧٢٤).

أول الدعاء، أو آخره: وهذا النوع أعظم أنواع التوسل، وأفضلها، وهو أرجى في قبول الدعاء من غيره، لأن الداعي يتوسل إلى اللّه تعالى بذاته العظيمة، وأسمائه السنية، وصفاته الكمالية، ولا أجل ولا أعظم من ذلك.

ودليله قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ (الأعراف).

والدعاء بالأسماء الحسنى له مرتبتان:

أحدهما: دعاء ثناء وعبادة، والثاني: دعاء طلب ومسألة، فلا يُثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا، وكذلك لا يسأل إلا بها، فيدعي في كل مطلوب باسم يناسب، ذلك المطلوب، مثل: يا غفور اغفر لي، يا تواب تب علي، يا رحمن ارحمني وهكذا.

أو يدعو بالاسم الأعظم، والاسم الأعم، فالأعظم، مثل (اللّه): لأنه جامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العُلا، فلك أن تقول: يا اللّه[1] ارزقني، يا اللّه عافني، أو: اشفني يا اللّه، أو يسأل بأسمائه كلها، كأن يقول: «اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا كلها، أن تعطيني كذا وكذا...».[2]

وبالاسم الأعم، وهي كذلك الأسماء العظيمة، الدالة على معان كثيرة مثل: الرب، والصمد، والعظيم، والحي، والقيوم، والمجيد، فيسن الدعاء بها في أي سؤال وطلب، وقد تقدم بيانه أن غالب أدعية القرآن جاءت مصدَّرة بـ (رب) لأنه جامع لمعاني صفات الكمال الكثيرة، مثل الملك، والتدبير، والتربية، والعناية، والجود، وغيرها الكثير من صفات الأفعال، وكذلك لأن من لوازم الربوبية إجابة الدعاء، والمتتبع لأدعية الكتاب يجد أن التوسل باسم من هذه الأسماء الحسنى، إما أن يكون مصدراً بالدعاء به، أو مختوماً به، أو بين ثناياه، نحو: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا

(١) أو: «اللهم ارزقني» لأن معنى اللهم: يا الله.

(٢) كما في الحديث: (أسألك بكل اسم هو لك...)، انظر شرحه عند رقم (٨٢).

﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ (آل عمران)، وكقوله تعالى: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ (البقرة).

ويشرع كذلك التوسل بصفاته العلا، بنوعيها: الثبوتية، والمنفية[1]، فمن الأول: «**اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما كانت الحياة لي...**»[2].

وكذلك يستعاذ بها، كما في الحديث: «**اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني...**»[3].

والثاني: أنه يتوسل كذلك بالصفات المنفية: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ (آل عمران).

فهنا توسل بصفتين من صفاته سبحانه المنفية، الأولى: نفي خاص وهو: «نفي العبث» كما في قوله: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾، والثانية: نفي عام ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾، ومن أسمائه تعالى: (**السبوح**). وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ (آل عمران).

فاسألوا الله تعالى أن يعطيهم ما وعدهم على ألسنة رسله، وعللوا ذلك بنفي صفة من صفاته سبحانه المنفية، وهي: (**عدم إخلاف الوعد**)، أي: لأنك يا ربنا لا تخلف الميعاد، فأعطني المراد.

وينبغي الحرص على الأدعية التي أخبر النبي ﷺ بأنها مظنة للإجابة، أو هي متضمنه للاسم الأعظم[4] مثل: «**اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد**» فقال الرسول ﷺ لمن قالها: «**لقد سألت الله بالاسم الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دُعي به أجاب**»[5].

---

(١) كما تقدم.

(٢) انظر: شرحه عند رقم (١٩).

(٣) مسلم (٢٧١٧).

(٤) انظر: الجواب الكافي (١٠).

(٥) صحيح الترمذي (٣٤٧٥).

وكذلك التوسل بالأسماء المضافة: وهي كذلك من أجل ما يتوسل به إلى اللّه سبحانه، مثل: (ذو الجلال والإكرام): كما في الحديث: «الّظوا بياذا الجلال والإكرام».[1]

ومعنى (ألّظوا): «أي: الزموه، واثبتوا عليه، وأكثروا من قوله، والتلفظ به في دعائكم».[2] ففي حثه ﷺ دليل على أن الإجابة متحققة به.

ومن الأسماء المضافة كذلك: «بديع السموات الأرض».[3]

وكذلك: (نور السموات والأرض)، (ومصرف القلوب).

و(أرحم الراحمين) و(خير الغافرين). **كما في دعاء موسى - عليه السلام:**

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٥١﴾ (الأعراف).

وقوله: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَاۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ١٥٥﴾ (الأعراف). وكذلك: (**سميع الدعاء**)، كما في دعاء زكريا عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨﴾ (آل عمران). وغيرها الكثير.

الثاني: التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به الداعي: سواء كان هذا العمل في الماضي أو الحاضر:

وشواهده في القرآن والسنة كثيرة. وهو أن يذكر الداعي عملاً صالحاً عمل به خالصاً للّه تعالى، فيقدمه بين دعائه، ليكون سبباً في حصول مطلوبه، كأن يقول الداعي: «اللهم بإيماني بك، ومحبتي لك، واتباعي لرسولك اغفر لي... أو يقول: اللهم إني أسألك بحبيبي لمحمد ﷺ ، وإيماني به، أن تفرج عني...، ومنه: أن يذكر

(١) صحيح الترمذي (٣٥٢٤).

(٢) النهاية (٨٣٦).

(٣) وقد جاء ضمن الأسماء مظنة اسم الله الأعظم كما في الحديث.

الداعي عملاً صالحاً ذا بال، فيه خوفه من الله سبحانه، وتقواه إياه، وإيثاره رضاه على كل شيء، وطاعته له جل شأنه، ثم يتوسل به إلى ربه في دعائه، ليكون أرجى لقوله، وإجابته».[1]

وهنا ينبغي أن يتفطن له، أن التوسل بالعمل الصالح يتفاوت على قدر منزلة العمل، فأعظمه وأجله على الإطلاق: التوسل بالإيمان به سبحانه، وبأسمائه وصفاته، وباليوم الآخر وغير ذلك، وشواهده كثيرة جداً، منها: قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦﴾ (آل عمران).

ومن الأدلة ما جمع فيه بين أنواع التوسل بالعمل الصالح، هو: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣﴾ (آل عمران)، فتوسلوا بعملين صالحين، فقدموا الأهم والأجل فيهما وهو: **(الإيمان)** ثم **(اتباع الرسول)**.

وسورة الفاتحة والتي هي أعظم سورة في القرآن يتضح هذا المقصد أجل وضوح في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥﴾ فقدموا توسلهم إليه تعالى في حال قيامهم بالصلاة بإخلاص العبودية له، قبل الاستعانة به، لأن حق الله أولى وأعظم من حق غيره، ثم شرعوا بالسؤال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ٦﴾، وقولنا في الماضي: ما تقدم من الأدلة شاهد عليه، وكما سيأتي حديث أصحاب الغار.

وقولنا أو في **(الحاضر)**: من أصرح الأدلة عليه، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨﴾ (البقرة).

ونختم بقصة أصحاب الغار، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «**انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم، حتى أووا المبيت**

(١) **التوسل أنواعه وأحكامه للعلامة الألباني (٣٤).**

إلى غار، فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم. فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم» وفي رواية لمسلم: فقال بعضهم: انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله، فادعوا الله بها، لعل الله يفرجها عنكم»، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق[1] قبلهما أهلاً، ولا مالاً، فنأى بي في طلب شيء ما، فلم أرج[2] عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، وكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يديّ أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، ثم قال النبي ﷺ: وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إليّ، فأردتها عن نفسها، فامتنعت مني حتى ألمّت بها سنة[3] من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومئة دينار، على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تنفض (وفي رواية لمسلم): «يا عبدالله، اتق الله ولا تفتح» الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها، وهي أحبُّ الناس إليّ، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء، فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبدالله! أدّ إليَّ أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك، من الإبل، والبقر، والغنم، والرقيق، فقال يا عبدالله لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله، فاستاقه، فلم يترك منه شيئاً، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون».[4]

(١) الغبوق: هو الذي يشرب بالعشي، ومعناه: كنت لا أقدم عليهما في شرب اللبن أهلاً ولا مالاً. نقلا من (التوسل أنواعه) للألباني (٣٦).

(٢) المراح: موضع مبيت الماشية، والمعنى: لم أرد الماشية من المرعى إلى حظائرها.

(٣) السنة: العام القحط التي لم تنبت به الأرض سواء نزل غيث أم لم ينزل، المصدر السابق.

(٤) البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣).

الثالث: التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح الحي الحاضر:

كأن يقع المسلم في ضيق شديد، أو تحل به مصيبة كبيرة، ويعلم من نفسه التفريط في جنب الله تبارك وتعالى، فيحب أن يأخذ بسبب قوي إلى الله فيذهب إلى رجل يعتقد فيه الصلاح والتقوى، أو الفضل والعلم بالكتاب والسنة، فيطلب منه أن يدعو له ربه، ليفرج عنه كربه ويزيل عنه همه.[١]

وهذا النوع ثابت بالكتاب والسنة ففي الكتاب: كما قال تعالى حكاية عن أبناء يعقوب عليه السلام: ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ (يوسف: ٩٧ - ٩٨).

وفي السنة: أنه قد ثبت من فعل الصحابة رضي الله عنهم مع النبي ﷺ في حياته، حيث كان بعضهم يأتيه ويطلب منه الدعاء له، أو لعموم المسلمين، ففي الصحيحين أن النبي ﷺ كان يخطب في يوم الجمعة فقام أعرابي فقال: يا رسول الله! هلك المال وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع يديه ثم قال: «**اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا....**» الحديث[٢]، ومن ذلك سؤال أبي هريرة رضي الله عنه، للنبي ﷺ: أن يدعو لأمه بالهداية إلى الإسلام، فدعا لها، فهداها الله سبحانه.[٣] ومثله كذلك توسل الصحابة رضي الله عنهم بدعاء العباس رضي الله عنه: ففي صحيح البخاري: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب، فقال: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون»[٤] والمراد بقوله «إنا نتوسل إليك بعم نبينا» أي: نتقرب إلى الله تعالى بدعائه.[٥]

وأخبر المصطفى ﷺ أن دعاء المسلم بظهر الغيب مستجاب: «**ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: آمين، ولك بمثل**».[٦]

---

(١) انظر: التوسل أنواعه وأحكامه، محمد ناصر الدين الألباني (٤٠).

(٢) البخاري (٩٣٣)، ومسلم (٨٩٧).

(٣) مسلم (٢٤٩١).

(٤) صحيح البخاري (١٠١٠).

(٥) انظر: التوسل للألباني (٤٤).

(٦) صحيح مسلم (٢٧٣٢).

الرابع: التوسل إلى الله تعالى بسابق الإحسان والفضل والإنعام:

وهو توسله سبحانه إليه بجميل أفعاله، وعوائده الجليلة، من النعم، والأفضال، كما قص الله تعالى لنا عن دعاء زكريا عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ ﴾ (مريم) فقد توسل إلى الله تعالى بسابق إحسانه: من إجابته لدعائه، وعدم رده وحرمانه.

«فكأنه يقول: يا رب يا دائم العطاء، يا من تكرمت عليّ، ولم ترد دعواتي ولم تجعلني من قبل محروماً».[1] وكذلك دعاء أولي الألباب الراسخين في العلم: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ (آل عمران)، توسلوا إلى الله تعالى بسابق هدايته لهم.

ودعاء يوسف عليه السلام: ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ (يوسف) فقدم من الثناء على الله تعالى بذكر سابق إحسانه إليه، من إعطائه الملك، وعلم تأويل الأحلام، وكذلك توسله بأسمائه، وصفاته، مقدمة لسؤاله التوفي على الإسلام، وإلحاقه بالصالحين، من الأنبياء والمرسلين.

وقول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾ (إبراهيم). فقدم الحمد وذكر الإحسان له، بإرزاقه الولد في حال الكبر، ثم سأل ربه بقوله: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ ﴾ (إبراهيم).

وكذلك دعاء القنوت في الوتر اشتمل على هذا التوسل الجليل: «**اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت**»[2] فهذا توسلٌ أيضاً إلى الله تعالى بإحسانه على من منَّ عليهم من الهداية، والعافية، والولاية.

(١) فقه الدعاء مصطفى العدوي (٣٢).

(٢) صحيح أبي داود (١٢٦٣)، وانظر: شرحه عند الرقم (٩٤).

الخامس: التوسل إلى الله تعالى بضعف العبد وعجزه:

وهذا من أحب الوسائل إلى الله تعالى، لما في ذلك من إظهار التضرع، والمسكنة، والافتقار لله تعالى، والتبري من الحول والقوة إلا بحول الله وقوته[1]، وهذا من أعظم مقاصد الدعاء، من الشارع الحكيم، وهذا هو حقيقة كل عبد، يدل على ذلك دعاء زكريا: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ (مريم: ١ - ٦)، ودعاء موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤﴾ (القصص).

يقول ابن السعدي رحمه الله: إن الله تعالى كما يحب من الداعي أن يتوسل إليه بأسمائه، وصفاته، ونعمه العامة، والخاصة، فإنه يحب منه أن يتوسل إليه بضعفه، وعجزه، وفقره، وعدم قدرته على تحصيل مصالحه، ودفع الأضرار عن نفسه».[2]

٨ـ الاستنصار بدعاء الصالحين والضعفاء:

قال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «**يا سعد وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم**»[3] وقال ﷺ: «**إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم، وصلاتهم، وإخلاصهم**»[4] وقال ﷺ: «**أبغوني ضعفائكم فإنما ترزقون، وتنصرون بضعفائكم**».[5]

قوله: «هل تنصرون إلا بضعفائكم»: أي: بدعوتهم لله، وإخلاصهم، أي: ليس النصر بالأقوياء وأهل الشدة، بل بالضعفاء، لأنهم أشد إخلاصاً، وأكثر تفرغاً لرقة قلوبهم».[6]

---

(١) تفسير ابن السعدي (٥٦٩) بتصرف يسير.
(٢) تيسير اللطيف المنان (١٣٢).
(٣) البخاري (٢٨٩٦).
(٤) صحيح النسائي (٣١٧٩).
(٥) صحيح الترمذي (١٧٠٢).
(٦) التنوير شرح الجامع الصغير، للعلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني (٢١/١١).

٩ ـ التأمين على الدعاء:

التأمين من آداب الدعاء ومستحباته، وهو قول الداعي بعد دعائه (آمين) أي: بمعنى استجب. قال الشوكاني رحمه الله: والتأمين: طلب الإجابة من الرب سبحانه واستنجازها، فهو تأكيد لما تقدم من الدعاء، وتكرير له[١]، والتأمين بعد الدعاء، هو في الحقيقة دعاء مجمل، بعد دعاء مفصل.

فيستحب للداعي إن كان منفرداً، أن يُؤمِّن بعد دعائه، أو إذا كان يدعو لقوم، أمَّنوا بعد كل دعوة، كما حكى الله تعالى عن دعاء موسى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ (يونس).

فذكر الدعاء في موسى وحده، وثنى بالإجابة لهما، فمن سياق الكلام ما يدل على أن هارون أمَّن، فعن أبي العالية[٢] أنه قال: «دعا موسى وأمَّن هارون»[٣] فنزَّل تأمين هارون منزلة من دعا، ولا يخفى في فضل التأمين ومشروعيته، ما جاء في آخر الفاتحة بعد قوله: (ولا الضالين)، يسن للقارئ أن يقول (آمين).

وقد ثبت عن النبي ﷺ وهو الأسوة والقدوة الحسنة لنا، في تأمينه بعد الدعاء، فمن ذلك، ما جاء في حديث أم سلمة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ دعا بدعاء طويل عظيم جامع لكل خيرات الدنيا والآخرة، فكان يقول في آخر كل دعاء: «**وأسألك الدرجات العُلا من الجنة آمين**»[٤] خمس مرات. وكذلك في حديث آخر، دعا النبي ﷺ فقال: «**اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب. إله الحق (آمين)**».[٥]

---

(١) تحفة الذاكرين (٣٨).

(٢) وهو من كبار التابعين.

(٣) التفسير الصحيح (٣/٣١) بسند جيد.

(٤) صححه الحاكم في المستدرك (١/٥٢٠) ووافقه الذهبي، وانظر شرح هذا الدعاء عند الرقم (٣٣).

(٥) صحيح الأدب المفرد (٥٣٨). وانظر شرحه رقم (١٩).

١٠ ـ التوبة ورد المظالم:

إن من الآداب العظيمة أن يقدم الداعي بين يدي دعائه، التوبة إلى الله عزوجل من كل الذنوب، والمعاصي، والمظالم، فإن تراكم الذنوب واجتماعها، قد يكون سبباً في عدم إجابة الدعاء. قال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ (النساء). وقال جل وعلا: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ (الشورى) ولا يخفى أن من الحسنات المرجوة قبول الدعاء، ومن المصائب والسيئات المكروهة، رد الدعاء وعدم قبوله، فليحذر العبد أشد الحذر من الذنوب والمعاصي.

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رُفع إلا بتوبة».[١]

قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله: «لا تستبطئ الإجابة إذا دعوت، وقد سددت طرقها بالذنوب»[٢]. ومما يدل على أن التوبة والإقرار بالذنب والخطيئة موجب لقبول الدعاء، دعاء يونس: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ (الأنبياء). قال رسول الله ﷺ: «**لم يدعُ بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له**».[٣]

١١ ـ الدعاء ثلاثاً:

هذا شأن المفتقر إلى الله تعالى، المستكين له، الحريص على إجابة دعائه، ففي حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في دعاء الرسول ﷺ على قريش: «وكان إذا دعا، دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً، ثم قال: «**اللهم عليك بقريش**» ثلاث مرات.[٤] وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ: «**كان يعجبه أن يدعو ثلاثاً، ويستغفر ثلاثاً**».[٥]

(١) الجواب الكافي (٨٥).
(٢) شعب الإيمان للبيهقي (٢/٥٤).
(٣) صحيح الترمذي (٣٥٠٥).
(٤) مسلم (١٧٩٤).
(٥) أبو داود (١٥٢٤) وابن حبان في موارد الظمآن (٢٤١٠).

١٢ـ خفض الصوت في الدعاء:

قال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾ (الأعراف).

ولخفض الصوت والإسرار بالدعاء، فوائد جليلة، وأسرار بديعة، ذكرها الإمام ابن القيم رحمه الله.[1]

١٣ـ أن يكون غرض الداعي جميلاً وحسناً:

كأن يتوسل الداعي في دعائه إلى الله تعالى، فيما إذا أجاب دعوته، أنه سيترتب على تلك الإجابة عمل صالح، كأن يقول الداعي: اللهم ارزقني مالاً، لأنفقه في سبيلك، ولنصرة دينك، وعلى الفقراء والمحتاجين من عبادك، وكأن يسأل: اللهم ارزقني علماً كي أعلم العباد دينك الحق. أو: اللهم ارزقني زوجة، لأتعفف بها عن المحارم، وهذا الأمر ثابتٌ في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فكان من دعاء موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨﴾ ثم بين علة السؤال: ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥﴾ فعلل سؤاله: الإكثار من ذكره، وتسبيحه، وتعظيمه، فأعطاه الله تعالى ما سأل: ﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦﴾ (طه).

ومن السنة ما يشير إلى ذلك، قال رسول الله ﷺ: «**إذا جاء الرجل يعود مريضاً فليقل: اللهم اشفِ عبدك فلاناً، ينكأ لك عدواً، أو يمش لك إلى الصلاة**[2]».[3]

١٤ـ تعظيم الرغبة والإكثار من الدعاء:

أمرنا الشارع الحكيم أن نعظم الرغبة، وأن نكثر منها ما أمكننا، قال تعالى: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ (النساء: ٣٢).

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (٣/٦٠٠ ـ ١٠) وهي فوائد نفيسة جداً فليرجع إليها.

(٢) صحيح الجامع (٤٦٦).

(٣) الدعاء لمحمد الحمد (ص٤٣) بتصرف يسير.

لأنه تعالى عنده خزائن السموات والأرض، لا ينقص من عطائه وخيره وفضله مهما أعطى وأفضل، ففي الحديث القدسي الذي يقول فيه تبارك وتعالى: «... **يا عبادي لو أن أوَّلكم وآخركم، وإنسكم، وجنكم، قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر**»[1]، فينبغي للعبد أن يتدارس هذا الحديث بين الحين والآخر، حتى يعلو رجاؤه بمولاه جل وعلا. وتأمَّل رعاك اللّه هذا الحديث العظيم: قال ﷺ: «**يدُ اللّه[2] ملأى لا يغيضها[3] نفقةٌ سحَّاء[4] الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغض ما في يده، وكان عرشه على الماء، وبيده الميزان يخفض ويرفع**»[5].

وقد تقدم حديث حديث أبي سعيد الخدري، أن الصحابة رضي اللّه عنهم أجمعين «قالوا: يا رسول اللّه إذاً نكثر، قال: «**اللّه أكثر**».

وقال رسول اللّه ﷺ: «**إذا سأل أحدكم فليكثر، فإنما يسأله ربه**»[6]. وقال ﷺ: «**إذا دعا أحدكم فليعظم رغبته، فإن اللّه عزوجل لا يتعاظم عليه شيء أعطاه**»[7].

١٥ ـ الطموح وعلو الهمم في الدعاء:

من الآداب الحسنة، والخصال الحميدة، التي ينبغي أن يتحلى بها الداعي، أن يكون طموحاً ذا نفس كبيرة، وهمة تواقة عالية، راغباً وطامعاً فيما عند اللّه من خيرات الدنيا والآخرة، وقد سبق في بيان حث الشارع الحكيم على تعظيم الرغبة والإكثار من الدعاء، مع ذكر الأدلة، وقد ذكر اللّه تعالى لنا شيئاً من هذه الهمم من

---

(١) مسلم (٢٥٧٧).
(٢) وفي رواية مسلم (٩٩٣) يمين اللّه.
(٣) أي لا ينقصها.
(٤) أي دائمة العطاء تصب العطاء صباً.
(٥) البخاري (٧٤١١)، ومسلم (٩٩٣).
(٦) صحيح مواد الظمآن برقم (٢٠٣٨).
(٧) صحيح موارد الظمآن برقم (٢٠٣٧) وبنحوه عند مسلم (٢٦٧٨).

الأنبياء والصالحين، لتكون لنا نبراساً وصراطاً نتبعه في سؤال ربنا الكريم، فكان من دعاء سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾﴾ ثم قال الكريم المنان: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ (ص).

وعيسى عليه السلام: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ فاستجاب الله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ (المائدة).

وامرأة فرعون المؤمنة: ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ (التحريم:١١) «فكشف لها عن بيتها في الجنة»، وفي رواية: «**كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس، فإذا انصرفوا أظلتها الملائكة بأجنحتها وكانت ترى بيتها في الجنة**»[١] وهكذا يا عبدالله يكرم الله تعالى أولياءه الداعين السائلين له وحده، المعظّمين رغباتهم له، لحسن ظنهم به سبحانه.

وقد حثنا ﷺ أن تعلو هممنا في الدعاء، وأن ترغب نفوسنا في أعلى الكمالات، في سؤالنا لربنا، أعالي الجنات الخالدات، فقد كان هديه سؤال الله أعلى الدرجات كما في الحديث الجليل الجامع لكل الخيرات الدنيوية والأخروية «**وأسألك الدرجات العُلا من الجنة**» فقد سأل الله الكريم هذه المنزلة العليّة خمس مرات.[٢]

بعد أن أعلمنا رفعة الدرجات العُلا فقال: «إن أهل الدرجات العُلا ليراهم من هو أسفل منهم، كما تراءون الكوكب الدُريَّ في أفق السماء، وإن أبابكر وعمر منهم وأنعما».[٣]

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٥٠٨).
(٢) انظر شرح هذا الحديث عند رقم (٧٨).
(٣) صحيح الترمذي (٣٦٥٨).

وأخبرنا الصادق المصدوق أن: «من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها»، فقالوا: يا رسول الله، أفلا نبشر الناس؟

وفي رواية عن معاذ أنه قال: ألا أخبر الناس؟ فقال رسول الله ﷺ: «ذر الناس يعملون فإن في الجنة مائة درجة، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة، ومن فوقها يكون العرش، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى»[1] فأنت ترى أن الرسول ﷺ بشَّر بأن في الجنة «مائة درجة» تعليل لترك البشارة في قوله: «ذر الناس يعملون»: «أي لا تبشر الناس بما ذكرته من دخول الجنة لمن آمن وعمل الأعمال المفروضة عليه فيقفوا عند ذلك، ولا يتجاوزوه إلى ما هو أفضل منه الدرجات التي تحصل بالجهاد».[2]

ولا شك أن الدعاء من العمل الذي أمر الرسول ﷺ به بل هو من أفضل العمل وأعلاه، كما تقدم في فضائل الدعاء قول الرسول ﷺ: «أفضل العبادة الدعاء»، فلنعمل بما وصى به الرسول ﷺ، في سؤال الله أعالي الجنان، الفردوس الأعلى عروس الجنان، ولنكن ذوي طموح، وهمم عالية، نسأل الله تعالى من كل خيري الدنيا والآخرة، مهما كان كبيراً، فإنه عند الله صغير، وليكن جُلُّ دعائنا في أمور الآخرة، كما مر علينا همة عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه كان يدعو في كل فرض ونفل، ومنذ أن صلى: «اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد، ونعيماً لا ينفد، ومرافقة محمد ﷺ في أعلى درجة الجنة».[3]

١٦ ـ أن يتخير جوامع الدعاء عند دعائه:

فقد كان ﷺ: «يستحب جوامع الدعاء، ويدع ما سوى ذلك».[4]

لاشتمالها على المعاني الجليلة، والمقاصد العظيمة، من خيرات الدنيوية والأخروية، في ألفاظ قليلة.

---

(١) صحيح البخاري (٢٧٩٠)، صحيح موارد الظمآن (٢/٤٥٢)، صحيح النسائي (٢٥٣٠) (٢٥٣١).

(٢) فتح الباري (٦/١٦).

(٣) صحيح موارد الظمآن (٢/٤٥).

(٤) صحيح أبي داود (١٤٨٢).

قال الخطابي رحمه الله: وليتخير لدعائه، والثناء على ربه أحسن الألفاظ، وأنبلها وأجمعها للمعاني، لأنه مناجاة من العبد لسيد السادات، الذي ليس له مثل، ولا نظير».[1]

١٧ ـ تجنب الدعاء على الأهل والنفس والمال:

«لأن مقصود الدعاء منه جلب النفع، ودفع الضر، فإن الدعاء على هؤلاء لا مصلحة وراءه بل هو الضرر المحض على الداعي نفسه، فماذا سيجني من فساد أهله، وماله، ونفسه».[2] إلا الندم والخسران. قال رسول الله ﷺ: «**لا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة، يسأل فيها عطاء، فيستجيب لكم**».[3]

١٨ ـ الوضوء ـ إن تيسر ـ عند الدعاء:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: لما فرغ النبي ﷺ من حنين، وفيه قوله: «فدعا بماء، فتوضأ، ثم رفع يديه، فقال: «**اللهم اغفر لعبيد بن عامر، ورأيت بياض إبطيه**».[4]

١٩ ـ أن يبدأ الداعي بنفسه:

عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «**كان إذا ذكر أحداً فدعا له بدأ بنفسه**».[5] وفي لفظ: عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنه قال: «كان إذا دعا بدأ بنفسه».[6]

وقد جاء في القرآن ما يدل على ذلك، كما في قوله: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ (الحشر: ٩).

(١) شأن الدعاء (١٥).
(٢) الدعاء لمحمد الحمد (٤٠).
(٣) مسلم (٣٠٠٩).
(٤) البخاري (٤٣٢٣) ومسلم (٤٩٨).
(٥) صحيح الترمذي (٣٣٨٥)، وصحيح الجامع (٤٧٢٣).
(٦) صحيح الجامع (٤٧٢٠).



إلا أن هذا ليس بلازم، فقد ثبت عن النبي ﷺ، أنه دعا لغيره، ولم يبدأ بنفسه، كدعائه لأنس، وابن عباس، وأم إسماعيل وغيرهم.

«وقد يقال: إذا أراد الدعاء لنفسه ولغيره، فليبدأ بنفسه، ثم يثني بغيره، وإذا أراد الدعاء لغيره فحسب، فلا يلزم أن يبدأ بنفسه، كما مر في دعاء النبي ﷺ لعبيد بن عامر، حيث دعا لعبيد، دون أن يدعو لنفسه».[1]

٢٠ - أن يدعو الداعي بكل صغير وكبير:

هذا هو دأب العبد الصالح، الملازم باب ربه تعالى الأعظم، في كل أحواله، وشؤونه، فهو لا يستغني عن الله تعالى في طلب أي شيء، مهما دقَّ، وجلّ، لأنه في مقام العبودية، كلما ازداد فيه، زادت عبوديته، المقتضية لقبوله عند ربه سبحانه.

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليسأل أحدكم ربَّه حاجته كلها، حتى يسأل شسع[2] نعله إذاانقطع**». وفي رواية عن ثابت البناني، أن رسول الله ﷺ قال: «**ليسأل أحدكم ربه حاجته، حتى يسأله الملح، وحتى يسأله نعله إذا انقطع**».[3]

قوله: «**حتى يسأل شسع نعله إذا انقطع**»: أي: «فلا يتعاظم شيئاً يطلبه من مولاه، ولا يستحي من طلب شيء ولو حقر، والمراد: الحث على طلب الحاجات من الله تعالى قليلها، وكثيرها، فخزائنه بالخيرات مملوءة، ويده بالهبات، والعطايا مبسوطة، فليستبشر السائل بنواله».[4]

٢١ - سؤال الله قبول الدعاء:

من الآداب المهمة والعظيمة الشأن سؤال الله قبول الدعاء، لأن المحروم من

---

(١) الدعاء: محمد الحمد (٤٦).

(٢) أي: سير من سيورها التي تكون على وجهها يدخل فيها الأصبع (جامع الأصول) (١٦٦/٤).

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٣٦٠٧)، (٣٦٠٨) وحسنه، ووافقه الشيخ عبدالقادر الأرنؤوط (١٦٦/٤)، في جامع الأصول.

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير (٢١٩/٩ - ٢٢٠).



حرم إجابة دعائه، لذا ينبغي أن يُعتنى به العناية الشديدة، حتى يكون مقبولاً عنده سبحانه، ويعطى الداعي ما سأل من خير الدنيا والآخرة.

فإبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل يرفعان قواعد البيت وهما يقولون: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ (البقرة)، وحكى الله لنا من سؤاله قبول الدعاء: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ (إبراهيم) وقال: ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ (مريم) فالشقي من حرم قبول دعائه، وأغلق أجل الأبواب أمامه، والعياذ بالله.

والنبي ﷺ كان يدعو ربه أن يجيب دعاءه: «... وأجب دعوتي»[١]، وكان يستعيذ من دعاء لا يقبل ولا يسمع «... ومن دعوةٍ لا يستجاب لها»[٢] «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن دعاء لا يُسمع»[٣].

وبالجملة فإن التقوى هي أعظم أسباب قبول الدعاء، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ (المائدة) فليدعُ العبد بحسن ظن بقبول الله دعوته، فإن الله سبحانه، سوف يعامله على حسب ظنه به، كما في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني»[٤].

---

(١) انظر شرح هذا الدعاء عند رقم (٢٢).
(٢) انظر شرح هذا الدعاء عند رقم (٧٤).
(٣) انظر شرح هذا الدعاء عند رقم (١١).
(٤) البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

الدعوات التي لا تُرد

إن من فضل اللّه تعالى وسعة كرمه على عباده، أن حباهم بدعوات لا ترد، حتى ينالوا ما يتمنون، ويعطوا ما يسألون، في أمور دينهم، معاشهم، ومعادهم، وجعلت هذه الدعوات مستجابة، لما فيها من أعمال، وأحوال، وأوقات، وأزمان، يحبها اللّه تعالى، ولما يحصل فيها للعبد من صدق الملجأ والانكسار له تعالى.

١ ـ دبر الصلوات المكتوبة:

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قيل يا رسول اللّه! أي الدعاء أسمع؟ قال: «**جوف الليل الآخر، ودبر**[١] **الصلوات المكتوبات**».[٢]

وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو بعد المكتوبات، فعن علي رضي الله عنه، أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم كان إذا سلم وفي لفظ: «وإذا فرغ من الصلاة والسلام»، وفي رواية: ويقول عند انصرافه: «**اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت**».[٣]

ووصى بها معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه فقال له: «**يا معاذ واللّه إني لأحبك، لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»[٤] قال ابن تيمية رحمه اللّه: وحديث معاذ، يتناول ما قبل السلام، ويتناول ما بعده أيضاً[٥] وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا صلى الصبح حين يسلم: «**اللهم إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً طيباً، وعملاً متقبلاً**»[٦].

---

(١) الدبر قد يراد به آخر جزء من الشيء، وقد يراد به ما يلي آخر جزء منه، انظر: لسان العرب (٤/٢٦٨)، والقاموس المحيط (٣٨٩).

(٢) صحيح الترمذي (٣٤٩٩).

(٣) انظر: هذه الروايات في مسلم (٧٧١)، وفي صحيح الترمذي (٣٤٢٣)، وصحيح أبي داود (٧٦٠)، (١٥٠٩).

(٤) صحيح أبي داود (١٥٢٢).

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٢/٥٠).

(٦) صحيح ابن ماجه (٧٥٣).

وغيرها من الأحاديث، تدل على أن الدعاء بعد الصلاة المكتوبة، موطن من مواطن إجابة الدعاء[1]، ينبغي الحرص عليه دائماً.

٢ ـ عند النداء للصلوات المكتوبات:

قال رسول اللّه ﷺ: «ثنتان لا تُردان، أو قلما تُردان، الدعاء عند النداء، وعند البأس[2] حين يلحم بعضهم بعضاً»[3].

٣ ـ عند إقامة الصلاة:

قال رسول اللّه ﷺ: «ساعتان لا تُرد على داع دعوته: حين تقام الصلاة، وفي الصف في سبيل الله»[4].

٤ ـ بين الأذان والإقامة:

قال رسول اللّه ﷺ: «الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة، فادعوا»[5].

٥ ـ ساعة من كل ليلة:

قال رسول اللّه ﷺ: «إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم، يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة، إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة»[6].

٦ ـ في السجود:

قال رسول اللّه ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»[7].

---

(١) وقد فصلت في كتابي «شرح الدعاء للقحطاني» (٥٧ – ٥٩) أن الدعاء قبل السلام وبعد السلام مشروع وموطن عظيم من مواطن إجابة الدعاء، وأن الأدعية التي تقدمت محتملة للأمرين، ولهذا قال ابن القيم – رحمه الله –: «ودبر الصلاة يحتمل قبل السلام أو بعده». زاد المعاد (١/٧٨)، وقال شيخ الإسلام في بيانه لهذه المسألة: «إن من دعا ببعض هذه الأدعية بعد السلام منفرداً، فإنه لا يخالف السنة». مجموع الفتاوى (٢٢/٥٠٠).

(٢) أي عند القتال في سبيل الله تعالى.

(٣) صحيح الجامع (٣٠٧٩).

(٤) صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٦).

(٥) صحيح الجامع (٣٤٠٨).

(٦) مسلم (٧٥٧).

(٧) مسلم (٤٨٢).

٧ـ عند الدعاء بدعوة (ذي النون):

قال رسول اللّه ﷺ: «دعوة ذي النون، إذ دعا بها وهو في بطن الحوت ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ لم يدعُ بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب اللّه له».[1]

٨ـ ساعة من ساعات يوم الجمعة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول اللّه ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم، وهو قائم يصلي، يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه» وأشار بيده يقللها.[2]

وقد اختلف العلماء في تحديد وقتها: فقيل إنها وقت دخول الخطيب[3]، وقيل: إنها بعد صلاة العصر، ورجح هذا القول ابن القيم رحمه اللّه[4] فليحرص العبد في هذين الوقتين على الدعاء، وخاصة بعد صلاة العصر. قال رسول اللّه ﷺ: «يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة لا يوجد فيها عبد مسلم يسأل الله شيئاً إلا آتاه إيّاه، فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر»[5].

٩ـ الدعاء في جوف الليل ووقت السحر:

قال رسول اللّه ﷺ: «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن».[6]

وقال رسول اللّه ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه،

---

(١) صحيح الترمذي (٣٥٠٥).

(٢) البخاري (٩٣٥) مسلم (٨٥٢).

(٣) كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة» مسلم (٨٥٣).

(٤) زاد المعاد (١/٣٧٨) (١/٣٩٦).

(٥) صحيح النسائي (١٣٨٩)، وصحيح أبي داود (١٠٤٨).

(٦) إسناده جيد، انظر: زاد المعاد تحقيق الأرنؤوط (٢/٣٩١).

من يستغفرني فأغفر له»[1] فانظر رعاك الله تعالى، إلى سعة كرم ربنا الذي ليس لكرمه حدود، ولا مقيد بقيود، ينزل كل ليلة نزولاً يليق به ليس كمثله شيء، فيدعونا ويرغبنا في دعائه وسؤاله ليفيض علينا من خيراته، وبركاته، ورحمته، وفضله، وجوده، فكيف يغفل العبد عن هذا الوقت العظيم.

١٠ ـ عند نزول الغيث وتحت المطر:

قال رسول الله ﷺ: «ثنتان ما تردان: الدعاء عند النداء، وتحت المطر»[٢]. وقال رسول الله ﷺ: «اطلبوا إجابة الدعاء عند التقاء الجيوش، وإقامة الصلاة، ونزول المطر»[٣].

١١ ـ عند الاستيقاظ من النوم ليلاً والدعاء بالمأثور:

قال رسول الله ﷺ: «من تعارَّ[٤] من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمدلله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا، استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته»[٥].

١٢ ـ دعوة من بات طاهراً على ذكر الله تعالى:

قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يبيت على ذكر الله طاهراً، فيتعار من الليل، فيسأل الله خيراً من الدنيا والآخرة، إلا أعطاه الله إياه»[٦].

١٣ ـ دعوة المسافر:

قال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر»[٧].

---

(١) البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٧).
(٢) صحيح الجامع (٣٠٧٨).
(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٤٦٩).
(٤) أي هب من نومه مع صوت، النهاية (١/٥٠٥).
(٥) البخاري (١١٥٤).
(٦) صحيح أبي داود (٥٠٤٢).
(٧) صحيح أبي داود (١٥٣٦).

١٤ ـ دعوة الذاكر الله كثيراً:

قال رسول اللّه ﷺ: «ثلاثة لا يرد الله دعاؤهم: الذاكر الله كثيراً...»[١].

١٥ ـ دعوة المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب:

قال رسول اللّه ﷺ: «دعوة المرء المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثله»[٢].

١٦ ـ دعوة الحاج والمعتمر والغازي في سبيل الله:

قال رسول اللّه ﷺ: «الغازي في سبيل الله، والحاج، والمعتمر، وفد الله، دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم»[٣].

١٧ ـ الدعاء باسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب:

ثبت عن المصطفى ﷺ أن للّه تعالى اسماً هو أعظم الأسماء. يعطي من سأل اللّه به تفضلاً منه وتكرماً، فينبغي الحرص عليه، والعناية به العناية الكبرى، وقد ثبت عنه ﷺ في إيراد هذا الاسم العظيم في أكثر من حديث:

الحديث الأول: «اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد، الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد» قال ﷺ لرجل سمعه يدعو بهذا الدعاء: «لقد سألت اللّه عزوجل باسمه الأعظم» وفي لفظ «لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سُئل به أعطى وإذا دعي به أجاب»[٤].

والحديث الثاني: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، المنان يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حيُّ يا قيوم» قال النبي ﷺ عندما سمع

---

(١) صحيح الجامع (٣٠٦٤).

(٢) مسلم (٢٧٣٣).

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٨٢).

(٤) صحيح الترمذي (٣٤٩٩) انظر شرحه عند رقم (٣٣).

رجلاً يصلي يدعو بهذا الدعاء: «**لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى**».[1]

فاستمسك بهما، وعض عليهما بالنواجذ في دعائك وسؤالك لربك، مع حسن ظن ويقين، تعطى ما تسأل في العاجل أو في الآجل، وعدٌ صادق متحقق، لا يتخلف من رب العالمين.

١٨ ـ عند التشهد الأخير:

وهو موطن من مواطن الإجابة، لهذا كان ﷺ يدعو ويستعيذ في هذا المقام، بالأمور المهمة العظام. فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما صلى نبي الله أربعاً أو اثنين، إلا سمعته يدعو: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار، ومن عذاب القبر، ومن فتنة القبر، وسوء المحيا والممات**».[2] وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال**».[3] وفي رواية أنه كان ﷺ يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن.[4]

وعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت أصلي والنبي ﷺ وأبوبكر وعمر معه فلما جلست بدأت بالثناء على الله تعالى، ثم الصلاة على النبي ﷺ ثم دعوت لنفسي فقلت: «اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد، ونعيماً لا ينفد، ومرافقة نبينا محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد» فقال رسول الله: «**سل تُعطه، سَلْ تُعطه**».[5]

١٩ ـ دعوة المظلوم:

قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما بعثه إلى اليمن: «**واتق دعوة**

(١) صحيح النسائي (١٢٩٩)، انظر شرحه عند رقم (٣٤).
(٢) صحح إسناده الأرنؤوط في الإحسان لابن حبان (٣/٨٣).
(٣) البخاري (٨٣٥)، ومسلم (٤٠٢).
(٤) مسلم (٥٩٠).
(٥) صحيح الترمذي (٥٩٣). وسيأتي شرحه وتخريجه عند الرقم (٤٧).

المظلوم، فإنه ليس بينها وبينه حجاب».[1] وقال ﷺ: «**اتقوا دعوة المظلوم فإنها تحمل على الغمام يقول الله جل جلاله: وعزتي وجلالي، لأنصرك ولو بعد حين»**.[2]

وقال ﷺ: «**دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان كافراً، ففجوره على نفسه»**.[3]

وهذا من كمال عدل الله تعالى وحكمته بين عباده، لأنه تعالى حرم الظلم على نفسه وعلى عباده، فكان من كمال عدله أن ينصر المظلوم على الظالم حتى ولو كان كافراً، فمن مظاهر ذلك: إجابة دعوته.

٢٠ ـ دعوة المضطر:

قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ (النمل) «المضطر: المكروب المجهود»[4] «الذي أحوجه مرض، أو فقر، أو نازلة من نوازل الدهر، إلى اللجوء، والتضرع إلى الله تعالى».[5]

قال القرطبي رحمه الله تعالى: «ضمن الله تعالى إجابة المضطر إذا دعاه وأخبر بذلك عن نفسه، والسبب في ذلك أن الضرورة إليه باللجوء تنشأ عن إخلاص، وقطع القلب عما سواه، وللإخلاص عنده سبحانه وتعالى موقع وذمة، وجد من مؤمن، أو كافر، طائع أو فاجر، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ (يونس) وقوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى

---

(١) البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٩).
(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٨٧٠).
(٣) صحيح الجامع (٣٣٨٢).
(٤) تفسير البغوي (٦/١٧٣).
(٥) الكشاف للزمخشري (٣/١٤٩).

﴿ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ٦٥﴾ (العنكبوت) فيجيب المضطر لموضع اضطراره، وإخلاصه»[1] فإذا كان تعالى من سعة رحمته يجيب الكافر والفاجر، فما بالك بالمؤمن المخلص الموحد فمن باب أولى.

٢١ـ دعوة الوالد على ولده:

قال رسول ﷺ: «**ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده**»[2] وفي رواية في صحيح الأدب المفرد: «**... ودعوة الوالدين على ولدهما**»[3]. أي: في الشر.

٢٢ـ دعاء الوالد لولده:

قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد لولده، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر**»[4]. وهذه في الخير.

٢٣ـ دعوة الصائم: عند إفطاره، وحال صومه:

قال رسول الله ﷺ: «**إن للصائم عند فطره دعوة ما تُرد**»[5].

وقال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا تُرد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم**»[6].

وقوله: «**والصائم حتى يفطر**»: أي في حال صيامه، والحديث الذي قبله «عند فطره» فهذه مزية ومنقبة كبيرة أخرى للصائم، فينبغي أن يعتني بالدعاء في حال صومه، قال النووي رحمه الله: «يستحب للصائم أن يدعو في حال صومه بمهمات

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٣/٢٢٣).
(٢) صحيح الترمذي (٣٠٥)، صحيح الأدب المفرد (٣٧٢).
(٣) وصحيح الأدب المفرد (٤٢).
(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٧٩٧).
(٥) رواه ابن ماجه (١٧٥٣)، وصحح إسناده البويصري في مصباح الزجاجة ٢/٢٤٨)، وحسّنه الحافظ ابن حجر كما في الفتوحات الربانية (٤/٣٤٢).
(٦) صحيح الترمذي (٣٥٩٨).



الآخرة[1]، والدنيا له، وللمسلمين»[2]، والصوم هنا يعم الفرض والنفل، وقد جعل اللّٰه تعالى آية الدعاء وسط آيات الصيام، إرشاداً إلى الاجتهاد في الدعاء، وأنه لا يرد، ولعل السبب في ذلك: أن الصوم من أخلص العبادات للّٰه تعالى وهو سر بين العبد والرب، وللإخلاص عند اللّٰه تعالى، منزلة عظيمة كما سبق، لا تعدلها أي منزلة، فكان جزاء ذلك أن تقبل دعوته.

٢٤ ـ دعوة من أحبه اللّٰه:

كما في الحديث القدسي العظيم الذي يقول فيه الرب تبارك وتعالى: «... وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»[3].

فيا لها من كرامة من نال هذه المحبة العظمى التي هي أعظم المحاب، فقد نال الكرامة، والعُلا في الدنيا، والأخرى، فاسع إلى تحصيلها يا أخي الحبيب، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

---

(١) كسؤال الله النجاة من النار، والدرجات العلا، والفردوس الأعلى في الجنان.
(٢) المجموع (٦/٢٧٥).
(٣) البخاري (٦٥٠٢).

أماكن تجاب فيها الدعوات

١. الدعاء في مكة: فهي أشرف الأمكنه على وجه الأرض، وأطهرها، وأزكاها، وأفضلها على الإطلاق، فلذلك كان الدعاء فيها مستجاباً، حتى أن المشركين يعلمون ذلك.

فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يُصلي عند البيت وأبو جهل وأصحابٌ له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض، أيكم يجيءُ بسلى جزور بني فلان، فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم فجاء به فنظر، حتى إذا سجد النبي ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه...، فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض، ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة فطرحت عن ظهره، فرفع رأسه ثم قال: «اللهم عليك بقريش» ثلاث مرات، فشق عليهم إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سمى النبي ﷺ من دعا عليهم...

فيقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: فوالذي نفسي بيده، لقد رأيت الذين عدَّ رسول الله ﷺ صرعى في القليب، قليب بدر.[١]

٢. في المساجد: قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ (الجن)، «أمر الله تعالى نبيه والمؤمنين أن يخلصوا لله الدعوة إذا دخلوا المساجد كلها».[٢]

فـ«تخصيص الدعاء بالمساجد، يدل على أن الدعاء فيها أفضل، وأوجب من الدعاء في غيرها، وكلما فضل المسجد ـ كالمساجد الثلاثة ـ كانت الصلاة، والدعاء فيه أفضل».[٣]

---

(١) البخاري (٢٤٠)، ومسلم (١٧٩٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٦/١٩).

(٣) الفتاوى (١٣٠/٢٧).

٣. **الدعاء يوم عرفة:** قال رسول الله ﷺ: «**خير الدعاء دعاء يوم عرفة...**».[(١)]

٤. **الدعاء عند رمي الجمرة الصغرى، والوسطى، أيام التشريق.**

٥. **الدعاء على الصفا، والمروة، للمعتمر والحاج.**

٦. **الدعاء عند المشعر الحرام يوم النحر للحاج،** لفعله ﷺ في هذه الأماكن المباركة.

٧. **الدعاء داخل الكعبة، أو داخل الحِجْر:** عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ: لما دخل البيت «دعا في نواحيها كلها».[(٢)]

(١) صحيح الترمذي (٣٥٨٥).

(٢) البخاري (١٥٩٨)، ومسلم (١٣٢٩).

أوقات وأحوال تجاب فيها الدعوات

١ ـ الدعاء عند شرب ماء زمزم مع النية الصالحة:

قال رسول اللّه ﷺ: «**ماء زمزم لما شُرب له**».[١]

٢ ـ الدعاء عقب الوضوء والذكر المأثور:

قال رسول اللّه ﷺ: «**ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**».[٢]

٣ ـ عند صياح الديكة:

قال رسول اللّه ﷺ: «**إذا سمعتم صياح الديكة، فاسألوا اللّه من فضله، فإنها رأت ملكاً**».[٣]

٤ ـ الدعاء عند المريض:

قال رسول اللّه ﷺ: «**إذا حضرتم المريض فقولوا خيراً، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون**».[٤]

٥ ـ عند قولك في دعاء الاستفتاح:

«اللّه أكبر كبيراً، والحمدللّه كثيراً، وسبحان اللّه بكرةً وأصيلاً» استفتح به رجل من الصحابة فقال رسول اللّه ﷺ: «**عجبت لها فتحت لها أبواب السماء**».[٥] قال عبداللّه بن عمر رضي اللّه عنهما، ما تركتها منذ أن سمعتها.

---

(١) صحيح الجامع (٥٥٠٢).
(٢) مسلم (٢٣٤).
(٣) البخاري (٣٣٠٤)، ومسلم (٢٧٢٩).
(٤) مسلم (٩١٩).
(٥) مسلم (١٣٥٨).

٦ـ الدعاء بعد زوال الشمس قبل الظهر:

عن عبدالله بن السائب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ كان يُصلي أربعاً بعد أن تزول الشمس قبل الظهر، وقال: «**إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء، وأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح**»[1] وعن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أبواب السماء تفتح إذا زالت الشمس، فلا ترتج**»[2]، حتى يُصلى الظهر، فأحب أن يصعد لي إلى السماء خير».[3] وقوله كان يصلى يدل على المداومة والاستمرارية، كما يدل على ذلك الفعل المضارع، أي كان ﷺ يداوم على هذه الركعات الأربع، ولا يتركها.

وعن أبي أيوب عن النبي ﷺ قال: «**أربعُ قبل الظهر.. تُفتح لهن أبواب السماء**».[4]

٧ـ الدعاء عند الاجتماع في مجالس الذكر:

كما في حديث الملائكة الطوافين لمجالس الذكر وفيه: «... فماذا يسألون؟ أي: (الرب) قال: يقولون: يسألونك الجنة.. فيقول: **قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا**».[5]

٨ـ الدعاء في الأيام العشر ذي الحجة:

قال رسول الله ﷺ: «**ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالى من هذه الأيام» يعني أيام العشر، فقالوا: يا رسول الله! ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله....**»[6]. فدل على أن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة من غيرها.

---

(١) صحيح الجامع (٤٩٦٧).
(٢) تغلق.
(٣) صحيح الجامع (١٥٢٩).
(٤) صحيح الترغيب والترهيب (٥٨٤).
(٥) البخاري (٦٤٠٨) ومسلم (٢٦٨٩).
(٦) البخاري (٩٦٩).

٩ـ ليلة القدر:

عن عائشة رضي اللّٰه عنها قالت: قلت يا رسول اللّٰه ﷺ: أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: قولي: «**اللهم إنك عفو كريمُ، تحب العفو، فاعف عني**».[1]

١٠ـ الدعاء عند وفاة الميت:

قال رسول اللّٰه ﷺ: «**إن الروح إذا قبض تبعه البصر، فضج ناس من أهله، فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون**».[2]

(١) صحيح الترمذي (٣٥١٣).

(٢) مسلم (٩٢٠).

دعوات منهي عنها

١ ـ الدعاء على النفس:

قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ (الإسراء)

فمن رحمته تعالى بنا، أنه لا يستجيب دعاءنا بالشر، كدعائنا بالخير، وإلا فقد يهلك معظمنا ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾ (يونس).

قال رسول اللّه ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من اللّه ساعة، يسأل فيها عطاء، فيستجيب لكم».[١]

فبين ﷺ علة النهي عن الدعاء، أن تكون ساعة الاستجابة وقت دعائه، فيقع ما سأل، والعياذ باللّه.

٢ ـ الدعاء بإثم وقطيعة رحم:

قال رسول اللّه ﷺ: «لا يزال يستجاب للعبد مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم».[٢]

٣ ـ الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا:

عن أنس أن رسول اللّه ﷺ، عاد رجلاً من المسلمين قد خفت[٣] فصار مثل الفرخ، فقال رسول اللّه ﷺ: «هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه؟» قال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة، فعجله لي في الدنيا، فقال رسول اللّه ﷺ: «سبحان اللّه لا تطيقه! أو لا تستطيعه، أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار» قال: فدعا اللّه فشفاه.[٤]

---

(١) مسلم (٣٠١٤).
(٢) مسلم (٢٧٣٥).
(٣) ضعف.
(٤) مسلم (٢٦٨٨).

٤ـ تمني الموت والدعاء به:

نهى رسول الله ﷺ عند تمني الموت فقال: «**لا يتمنى أحدكم الموت، ولا يدعُ به من قبل أن يأتيه**» ثم بين ﷺ العلة في ذلك بقوله: «إنه إذا مات انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً»[١] وذكر علة أخرى «**لا يتمنين أحدكم الموت، إما محسناً فلعله أن يزداد، وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب**»[٢] أي يعاتب نفسه، ويتوب من الذنوب، وذكر علة أخرى ﷺ: «**لا تمنوا الموت، فإن هول المطلع شديد، وإن من السعادة أن يطول عمر العبد، ويرزقه الإنابة**»[٣] فالعلة الأخرى هي: «**هول المطلع**»: لما يرى من الأمور التي لم يرها من قبل، من نزول الملائكة، وخروج الروح، إلى عالم الملكوت، وسؤال منكر ونكير.

وهذا النهي إذا كان في أمر دنيوي، لما في ذلك من التسخط، وعدم الرضى، بما قدره الله تعالى، وأما إذا كان في أمر أخروي في أمور دينه، كظهور الفتن المضلات، والمهلكات، ويخشى على دينه فيجوز له أن يدعو به.[٤] وقد قص الله علينا في كتابه في سؤال مريم به، فقالت: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣﴾ (مريم). فتمنت الموت من جهة الدين، حتى لا ترمى بالفاحشة والبهتان، ومن دعاء الحبيب المصطفى ﷺ: «**وإذا أردت فتنة في قوم، فتوفني غير مفتون**».[٥]

قال ابن العربي: إنه إذا رأى تقصيراً في الدين، وضعفاً عن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، جاز له أن يتمنى الموت، ولقد سأل الموت جماعة من السلف، منهم عمر رضي الله عنه فكان مما سأل: «ضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني غير مفرط».[٦]

---

(١) مسلم (٢٦٨٢).
(٢) البخاري (٥٦٧٣).
(٣) رواه أحمد (٣/٣٣٢)، قال الهيثمي في المجمع (١٠/٢٠٣)، إسناده حسن.
(٤) انظر: القرطبي (١٠/٢٧٧)، وابن كثير (٣/١٣٠).
(٥) صحيح الترمذي (٣٢٣٥).
(٦) عارضة الأحوذي (٤/١٩٤).

ومنهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللهم اقبضني إليك، فقد سئمتهم، وسئموني».[١]

فإن غلبت الإنسان نفسه لشدة ما نزل من الضر من أمور الدنيا، وضاق صدره، ونفد صبره، فليدع بما أمر به المصطفى ﷺ: **«اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي»**[٢]، فإن هذا الدعاء الجليل فيه كمال التفويض للخالق جل وعلا، الذي يعلم خافية الأمور، وما يصلح للعبد من الخير. في كل الأمور.

(١) رواه عبدالرزاق في المصنف (٢٠٦٣٧).

(٢) البخاري (٥٦٧١)، ومسلم (٢٦٨٠).

أخطاء في الدعاء

١ ـ أن يشتمل الدعاء على شيء من التوسلات الشركية:

كأن يدعو غير اللّه تعالى، من بشر، أو حجر، أو شجر، أو جن، أو غير ذلك.

٢ ـ أن يشتمل على شيء من التوسلات البدعية:

كالتوسل بذات النبي ﷺ، أو بجاهه.[١]

٣ ـ الدعاء على وجه التجربة والاختبار:

كأن يقول: سأجرب وأدعو، لأرى هل يُستجاب لي أم لا.

٤ ـ أن يكون غرض الداعي فاسداً:

كأن يسأل اللّه تعالى مالاً ليتكاثر به ويفتخر به على الناس، أو ليستعين به على المعاصي، وغير ذلك من المفاسد.

٥ ـ كأن لا يدعو لكثرة ذنوبه وتقصيره:

وهذا من تزيين الشيطان، فاللّه تعالى كريم جواد غافر الذنب، وقابل التوب، مجيب الدعاء.

٦ ـ كثرة اللحن في الدعاء:

إذا كان يحيل المعنى ويصرفه عن حقيقته اللغوية، هذا إذا كان ناتجاً عن قلة المبالاة وعدم الاكتراث، أما إذا كان الداعي غير قادر على الإعراب، كما هو حال غالب العباد، فلا شيء عليه، لأن اللّه تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها.

٧ ـ اليأس وقلة اليقين من إجابة الدعاء:

فمن الناس من إذا أصابته فاجعة شديدة على اختلاف صورها من المصائب، والبلاءات، ومن فساد في الدين، أو الدنيا، كحال كثير من الناس من الظن الخاطئ

---

(١) الدعاء: محمد الحمد (٦٩).

والسوء، في ما إذا أصيب العبد بمرض عضال كالسرطان وغيره مثلاً، من الأمراض الخطيرة، التي يقل فيها الشفاء عادة، فيلقي الشيطان في روع هؤلاء، أنه لا شفاء منها، وأن المرء مصيره إلى الموت غالباً.

فهذا جهل كبير في حق الله، فالله سبحانه شرع من الأسباب في رد ما نزل من القضاء، التي من أعظمها الدعاء، فقد تقدم في فضائل الدعاء قول النبي ﷺ : «لا يرد القضاء إلا الدعاء»، وقوله ﷺ: «**وإن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة**» فما استجلبت النعم، ودفعت النقم، بمثل الدعاء.

أما علموا أن الله تعالى على كل شيء قدير، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السموات، وأنه يحيي العظام وهي رميم، أفلم يتدبروا معاني أسمائه الحسنى وصفاته العُلا، وأثارها في الخلق، ألم يعلموا أن الله تعالى خالق كل شيء، ومنها الأمراض، والخالق والقادر يستطيع أن يوجد الشيء ثم يزيله متى شاء. ومن ذلك الأمراض.

فالحذر الحذر من دخول شيء من هذه الخيالات الباطلة، التي يلقيها الشيطان في روع العبد، وما توسوس به النفس من سوء الظنون، قال تعالى: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (فصلت).

وكذلك من الأمور الخطيرة في هذا الزمان، من تسلط الأعداء من كل مكان، وكثرة الفساد والفتن، وتمزق قوة المسلمين، فترى البعض لا يدعو ليأس من هذه الحال، فينبغي لنا أن ندعو الله تعالى في كل أمورنا وأحوالنا، مع حسن ظن كبير في إجابة دعائنا من ربنا الكريم القدير، ولنطرد ما يدخل قلوبنا وعقولنا من شبهات وزيغ، التي يلقيها شياطين الإنس والجن، والعياذ بالله، والله الهادي إلى سواء السبيل.

٨ـ الدعاء بـ «اللهم إني لا أسألك رد القضاء، ولكن أسألك اللطف فيه»:

فهذا الدعاء يكثر على الألسنة، وهو خطأ وجهل، وذلك: لأنه شُرع لنا أن نسأل



الله تعالى رد القضاء[1] والاستعاذة من شره، فإن القضاء، قضاءان، قضاء خير، وقضاء شر[2]، فقضاء الشر أمرنا الشارع الحكيم، بالاستعاذة منه، كما في حديث دعاء القنوت «**وقني شر ما قضيت**»[3].

ومن دعائه ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء، وسوء القضاء**»[4] وفي دعاء النبي ﷺ كذلك: «**وما قضيت لي من قضاء فاجعل عاقبته رشداً**» وفي لفظ «**وأسألك أن تجعل كل قضاء، قضيته لي خيراً**».[5] وهناك أوجه عديدة من الأخطاء في الدعاء يرجع إلى مظانها.[6]

---

(١) المصدر السابق (٨١).

(٢) وقد بيَّنا سابقاً أن الشر في مفعولات الله تعالى أي مخلوقاته، أما قضاء الله الذي هو فعله فكله خير، لأن الله لا يخلق شراً محضاً، فلا بد فيه من الخير، وهذا من كمال حكمته سبحانه.

(٣) صحيح أبي داود (١٢٦٣).

(٤) البخاري (٦٣٤٧)، ومسلم (٢٧٠٧).

(٥) صحيح ابن ماجه (٣٨٤٦)، صحيح الأدب المفرد (٤٩٧).

(٦) انظر: الدعاء ومنزلته في العقيدة (١٧٢ - ١٨٢)، والاعتداء في الدعاء لسعود العقيلي (٤٩ - ١٠٥) والدعاء مفهومه، أحكامه، أخطاء تقع فيه لمحمد بن الحمد (٦٩ - ٨٤).

أهمية الأدعية النبوية

لقد أوتي نبينا ﷺ جوامع الكلم، كما قال عن نفسه عليه الصلاة والسلام: «**بُعثت بجوامع الكلم**»[١]، وقد فسر ابن مسعود رضي الله عنه، بعض معانيه، فقال: «إن رسول الله ﷺ عُلِّمَ فواتح الخير، وجوامعه»، وفي لفظ: «**أوتي رسول الله ﷺ جوامع الخير وخواتمه**»، أو قال: «**فواتح الخير**»[٢]، قالت أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، إن رسول الله ﷺ: «**كان يُعجبه الجوامع من الدعاء، ويدع ما بين ذلك**».[٣]

قال الإمام الزهري رحمه الله: «جوامع الكلم فيما بلغنا، أن الله تعالى يجمع له الأمور الكثيرة، التي كانت تكتب قبله في الأمر الواحد، والأمرين، ونحو ذلك»[٤]، يعني أنه ﷺ يتكلم بالكلمة، أو الجملة، تعادل صفحات، بل ربما تعادل أسفاراً[٥]، وحاصله أنه ﷺ يتكلم بالكلام الموجز القليل الفظ، الكثير المعاني، وهكذا الشأن في أذكاره وأدعيته.[٦]

قال القاضي عياض رحمه الله: «أذن الله تعالى في دعائه، وعلم الدعاء في كتابه لخليقته، وعلم النبي ﷺ الدعاء لأمته، واجتمعت فيه ثلاثة أشياء: العلم بالتوحيد، والعلم باللغة، والنصيحة للأمة، فلا ينبغي لأحد أن يعدل عن دعائه ﷺ».[٧]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ينبغي للخلق أن يدعو بالأدعية الشرعية، التي جاء بها الكتاب والسنة، فإن ذلك لا ريب في فضله وحسنه، وإنه الصراط المستقيم، الذي أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً».[٨]

---

(١) البخاري (٢٩٧٧)، مسلم (٥٢٣).
(٢) مسند الإمام أحمد (٤٠٨/١)، وصحيح ابن ماجه (١٨٩٢).
(٣) صحيح أبي داود (١٤٨٢).
(٤) ذكره البخاري في صحيحه بعد رقم (٧٠١٣).
(٥) شرح صحيح مسلم للعلامة ابن عثيمين رحمه الله (٣٠٧/٢).
(٦) فقه الأدعية (٥٩/٢).
(٧) الفتوحات الربانية (١٧/١).
(٨) مجموع الفتاوى (٣٤٦/١).

وإذا تقرر هذا فإن الواجب على كل مسلم أن يعرف عظم قدر الأدعية النبوية، ورفيع مكانتها، وأنها مشتملة على جوامع الخير، وأبواب السعادة، ومفاتيح الفلاح في الدنيا والآخرة، فخير السؤال أن يسأل المسلم ربه من خير ما سأله منه عبده ورسوله ﷺ، وأفضل الاستعاذة أن يستعيذ بالله تعالى، من شر ما استعاذ منه عبدالله ورسوله ﷺ، فإن في ذلك فواتح الخير، وخواتمه، وجوامعه، وأوله، وظاهره، وباطنه.

ومن يتأمل جميع الأدعية الواردة في الكتاب والسنة، يجد فيها الجمال، والكمال، والوفاء بتحقيق المطالب العالية، والأمان من الوقوع في الخطأ والزلل، فهي معصومة من ذلك، لأنها وحي الله تعالى، وتنزيله[1]، فكل ما يتمناه العبد من خيري الدنيا والآخرة يجده في دعائه ﷺ، ولهذا قال ﷺ إلى عائشة رضي الله عنها: «**يا عائشة عليك بالجوامع الكوامل**»، وفي لفظ: «**عليك بجمل الدعاء وجوامعه** ثم ذكر الدعاء الجليل: **(اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله)**»[2].

(١) فقه الأدعية (٢/٦٠.٦١).

(٢) صحيح الأدب المفرد (٢/٢٩٢)، صحيح ابن ماجه (٣٨٤٦)، انظر شرح هذا الدعاء عند رقم (٥).

شرح الأدعية النبوية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان على خاتم الأنبياء والمرسلين.

(١) «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

عن أنس رضي الله عنه قال: «كان أكثر دعوةٍ يدعو بها رسول الله ﷺ...».[١]

المفردات:

«اللهم»: معناه: يا الله: ولا تستعمل هذه الكلمة إلا في الطلب، فلا يقال اللهم غفور رحيم، وإنما يقال: اللهم اغفر لي وارحمني.. ونحو ذلك. فهذه اللفظة يسأل فيها الله تعالى في كل حاجة كما في غالب الأدعية النبوية، فهي تجمع كل الأسماء الحسنى والصفات العلا، كما قال الحسن البصري رحمه الله: «اللهم مجمع الدعاء».

وقال النضر بن شميل: «من قال: «اللهم»، فقد دعا الله تعالى بجميع أسمائه»، فإذا قال السائل: «اللهم إني أسألك: كأنه قال: أدعو الله الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا بأسمائه وصفاته».[٢]

و«**الله**» هو الاسم الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى.[٣]

«ربنا»: معنى الرب: هو المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والمنعم، والمعبود، والمتصرف للإصلاح، ولا يستعمل الرب لغير الله إلا بالإضافة، نحو: رب الدار، ورب البيت.[٤]

الحسنة: النعمة، سميت بذلك لأنها تبهج صاحبها، ويرغب فيها، والحسنة يعبر عنها عن كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه، وبدنه، وأحواله.[٥]

---

(١) البخاري (٤٥٢٢، ٦٣٨٩)، ومسلم (٢٩٠)

(٢) بدائع التفسير (١/٤٩١ – ٤٩٣).

(٣) هذا قول معظم أهل العلم، انظر «الاسم الأعظم» للدكتور الدميجي (١٣٠).

(٤) المفردات (٣٣٦) النهاية (٨٣٣)، بدائع الفوائد (١/١٨٧).

(٥) المفردات (٢٣٥)، وعمدة الحفاظ (١/٤١٠).

الشرح:

جاءت هذه الدعوة في كتاب الله بلفظ ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ (البقرة: ٢٠١). وجاءت في السنة بزيادة «اللهم» فصار اللفظ «اللهم ربنا» ولم تأت دعوة أخرى في القرآن مركبة بهذين الوصفين الجليلين إلا في دعوة عيسى عليه السلام ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١٤﴾ (المائدة) «فنادى الله تعالى مرتين مرة بوصف الألوهية «اللهم» الجامعة لجميع الكمالات، من الأسماء، والصفات، ومرةً بوصف الربوبية «ربنا»، المنبئة عن التربية والإنعام، ومن ذلك، إجابة السؤال، إظهاراً لغاية التضرع، ومبالغة في الاستدعاء[1]»، استعطافاً لله تعالى ليجيب الدعاء.[2]

فجمع في تصدير هذه الدعوة العظيمة الاسم الاعظم (الله)، والاسم (الرب) الذي يجمع صفات أفعاله تعالى، وذلك لعظم هذه الدعوة على إيجازها، لما فيها من جزيل المعاني وعظيم المطالب، فقد جمعت هذه الدعوة على اختصارها، معاني الدعاء كله، من خيري الدنيا والآخرة، وصرف عن كل شر فيهما، بأوجز لفظ، وأشمل معنى، وهذا من جوامع الكلم، التي جاءت بها الشريعة العظيمة المطهرة.

قوله: **«ربنا آتنا في الدنيا حسنة»:** هذه الدعوة تشمل كل مطلوب دنيوي: من عافية، ودار رحبة، وزوجة حسنة، وذرية صالحة، ورزق طيب واسع. وعلم نافع، وعمل صالح، ومركب ومسكن هنيء، وثناء جميل، فجمعت كل حسنات الدنيا مما يتمناه العبد، مما يلائم طبعه، ومما تشتهيه نفسه، وتلذ أعينه من الحلال.

قوله: **«وفي الآخرة حسنة»:** تشمل كل حسنات الآخرة، فأعلاها: دخول الجنة، والسلامة من العقوبات قبلها، من خروج الروح براحة، والبشارة من الملائكة، والثبات عند سؤال الملكين، والنعيم في القبر، والأمان من الفزع الأكبر في العرصات، وتيسير

(١) تفسير ابن السعود (٢/٣٤٠)، والضوء المنير لابن القيم (٢/٢٧٤)، وروح المعاني للألوسي (٥/٨٧).
(٢) تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٤/١٠٨).

الحساب، وهون الموقف، والمرور على الصراط بنور وأمان، وشرب من حوض الرسول ﷺ، خير الأنام، وغير ذلك من المعاني الجلال.[1]

قوله: «**وقنا عذاب النار**»: تضمن هذا السؤال الوقاية من الذنوب والمعاصي والآثام من الشهوات، والشبهات الحرام، التي تستوجب دخول النار، فسأل الله تعالى الحفظ من هذه الأسباب في الدنيا، والمراد من قوله: «**وقنا عذاب النار**» تضمن هذا السؤال ألا يدخلها بمعاصيه، ثم تخرجه الشفاعة.[2]

فانظر رعاك الله إلى عظيم هذه الدعوة المباركة لما حوته، من المعاني الجميلة والمقاصد الجليلة، فأكثر منها اقتداءً بنبيك محمد ﷺ، كما كان يفعل أنس بن مالك رضي الله عنه كما جاء في صحيح مسلم «أنه كان إذا أراد أن يدعو بدعوة، دعا بها، فإذا أراد أن يدعو بدعاء.. دعا بها فيه»[3] أي إنه كان رضي الله عنه دائماً يدعو بها، وإذا دعا بأدعية غيرها جعلها أيضاً مع دعائه، فكان رضي الله عنه لا يتركها أبداً، في جميع أحوال دعائه. وهذا من فقهه رضي الله عنه.

تضمنت هذه الدعوة المباركة جملاً من الفوائد:

أن أكمل الدعاء أن يجمع فيه مطالب الدنيا والآخرة. ينبغي للداعي أن يكون جُلّ دعائه في أمور الآخرة، فقد تضمن هذا الدعاء سؤال الله مطلبين من مطالب الآخرة، «**وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**»، ومطلباً واحداً من أمور الدنيا، «**اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة**». «أن الإنسان لا يذم إذا طلب حسنة الدنيا مع الآخرة».[4]

ينبغي للداعي أن يكون من أصحاب الهمم العالية، فيعظم رغبته وحاجته، فإنه يدعو رباً عظيماً كريماً، لا تتعاظم عليه المسائل، مهما كثرت، وكبرت.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: ابن كثير (١/٢٤٣)، وتفسير السعدي (٩٣)، وفضل الله الصمد في توضيح الأدب للمفرد للعلامة فضل الله الجيلاني (٢/٣٠).

(٢) تفسير القرطبي (١/٦٨٧).

(٣) مسلم (٢٦٩٠).

(٤) تفسير سورة البقرة للعلامة ابن عثيمين رحمه الله (٢/٤٣٤).

(٢) «اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحوُّل عافيتك، وفُجاءة نقمتك، وجميع سخطك».

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان من دعاء الرسول ﷺ:......[1]

المفردات:

«**زوال نعمتك**»: النعمة: كل ملائم تحمد عاقبته، وهي تعم النعم الظاهرة والباطنة، الدنيوية، والشرعية، النافعة في الأمور الأخروية، لأنه مفرد مضاف يفيد العموم.

«**تحول عافيتك**»: التحول: إبدال الشيء بالشيء كإبدال الصحة بالمرض، والغنى بالفقر، والفرق بين الزوال والتحول، أن الزوال: ذهاب الشيء من غير بدل، والتحول: تغير الشيء وانفصاله عن غيره، والمقصود تبدل العافية بضدها من عافية إلى مرض وبلاء، (العافية): هي السلامة من الأسقام، والبلايا، وهي الصحة ضد المرض.

«**فجأة نقمتك**»: الفجأة: البغتة، وهي: مجيء الشيء من غير سبب تقدم، والنقمة: العقوبة.

«**سخطك**»: السخط: الكراهية للشيء وعدم الرضا به[2]، وهذه الصفة من صفات اللّه الفعلية العظيمة، والتي تتعلق بمشيئته وقدرته كما تليق بكماله.

الشرح:

قوله: «**اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك**»: يا اللّه الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، إني ألتجئ إليك خوفاً من ذهاب جميع نعمك الظاهرة والباطنة، الدنيوية والأخروية، ما علمتها وما لم أعلمها، لأن نعمك لا تحصى، تضمنت هذه الاستعاذة التوفيق لشكر النعم، والحفظ من الوقوع في المعاصي والإثم، لأنها تزيل النعم، ويحل مكانها المحن والنقم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ (إبراهيم).

---

(١) رواه مسلم (٢٧٣٩).

(٢) انظر النهاية (٣٢٢)، (٤٢٢)، (٦٢٧)، وشرح النووي لمسلم (٦٥/٩) وعون المعبود (٢٨٣/٤) والفتوحات الربانية (٦٣١/٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ (الرعد ١١).

وقال جل شأنه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ (الشورى).

قوله: «**وتحول عافيتك**»: أي: وأعوذ بك يا اللّه من تبدل العافية التي أعطيتني إياها، وهي: السلامة من الأسقام والآلام، والبلاء، والمصائب، بإبدالها بضدها، من الأوصاب، والأسواء، والأوباء، والسلامة من كل الفتن، والشبهات المضلة، والشهوات المفسدة، فتضمنت هذه الاستعاذة من كل المكاره الدنيوية، والشرعية، والأخروية، لأن (**عافيتك**) مفرد مضاف يفيد العموم، استعاذ من تحول العافية لأن فيها صلاح أمور الدنيا والآخرة، فتضمنت أيضاً هذه الاستعاذة سؤال اللّه دوام العافية وثباتها.

قوله: «**وفجأة نقمتك**»: أعوذ بك من العقوبة والانتقام بالعذاب مباغتة، دون توقع وتحسب، وخصَّ فجاءة النقمة بالاستعاذه: لأنها أشد وأصعب من أن تأتي تدرجاً، بحيث لا تكون فرصة للتوبة، ويدخل في هذه الاستعاذة كذلك موت الفجأة، بحيث يأتيه الموت مباغتة دون الأوبة، فإن اللّه تعالى إذا انتقم من العبد فقد حل به من البلاء والعقاب، ما لا يقدر على دفعه أحد، ولو اجتمع كل الخلق.

قوله: «**وجميع سخطك**»: أي: ألتجأ وأعتصم بك، أن تعذني من جميع الأسباب الموجبة لسخطك جل شأنك، فإن من سخطت عليه فقد خاب وخسر. ولو كان في أدنى أمر، وبأيسر سبب، ولهذا قال ﷺ: «**وجميع سخطك**» فهي استعاذة من جميع أسباب سخطه جل جلاله من الأقوال، والأفعال، والأعمال، من ارتكاب المناهي، وترك الأوامر، والاستعاذة من سخط اللّه تتضمن كذلك: سؤال اللّه تعالى حصول أضدادها من الأقوال، والأفعال، الموجبة لرضاه، كما في دعائه ﷺ: «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك**».[1] وفي هذه الاستعاذة تعميم شامل ما سلف وغيره، وهذا من جوامع الكلم.[2]

(١) مسلم (٤٨٦).

(٢) انظر: فيض القدير (٢/١١٠)، الفتوحات الربانية (٣/٦٣٠)، تحفة الذاكرين (٤٢١). بتصرف.

الفوائد:

ينبغي للداعي أن يختار أجمل الألفاظ، وأنبل المعاني في دعائه لربه تعالى. إثبات صفة (السخط) وهي صفة فعلية، تتعلق بمشيئته وإرادته، وكل صفة تعلقت بسبب فهي فعلية[1]. أنه يجوز الاستعاذة بصفاته تعالى ومنها الفعلية. أنه ينبغي للداعي أن يعظم الرغبة في دعائه، كما يظهر في قوله: «نعمتك»، «عافيتك»، «جميع سخطك»، أنه كما يشرع تعظيم الرغبة في المطالب، كذلك يشرع تعظيم الرهبة في الشدائد.

❃ ❃ ❃ ❃ ❃

(٣) «اللهم» اصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كُل شر».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول:...............[2]

وفي لفظ: **«اللهم بارك لي في ديني الذي هو عصمة أمري وفي آخرتي التي إليها مصيري، وفي دنياي التي فيها بلاغي...»**.

أن صهيباً رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان يقول بهن عند انصرافه من الصلاة......[3]

المفردات:

عصمة أمري: أي: رباطه، وعماده، والعصمة هي: المنع والحفظ، أي ما يعتصم ويستمسك به.

أمري: الشأن والحال، وجمعه الأمور، وهو لفظ شامل للأفعال، والأقوال كلها.

معاشي: أي عيشي في الدنيا.

وبارك: البركة هي: الزيادة والنمو، وثبوت الخير الإلهي.[4]

---

(١) شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين (١/١٨٤).

(٢) صحيح مسلم (٢٧٢٠).

(٣) رواه البزار في «كشف الأستار» (٤/٥٧)، وصححه ابن حجر في مختصر زوائد البزار (٢/٤٤٣)، وقال في نتائج الأفكار (٢/٣١٨) حديث صحيح، وصححه الوادعي، في صحيح المسند (١/٢٨٦) برقم (٣٣٨).

(٤) المفردات (١١٩، ٥٦٩)، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي (٧/٣٨)، والفتوحات الربانية (٣/٦٣٥).



الشرح:

هذا الدعاء الجليل في غاية الأهمية، ولهذا كان ﷺ يداوم عليه ويلازمه، كما دل على ذلك قول الصحابي: «كان رسول اللّٰه يقول»، «لأن الفعل المضارع بعد كان يدل على كثرة التكرار، والمداومة على ذلك الفعل».[1]

وكذلك أنه ﷺ: «كان يقول بهن عند انصرافه من الصلاة»، فيحتمل أن يكون قبل التسليم، أو بعده، كما تقدم، وكذلك: أنه قد اشتمل على سؤال صلاح الدين، والدنيا، والآخرة، فهو من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ.

قوله: «اللهم أصلح لي ديني»: دعا بإصلاح الدين أولاً، لأنه أعظم المقاصد، وأهم المطالب، وعليه الفلاح، يوم المعاد، فإن من فسد دينه والعياذ باللّٰه، خسر الدنيا والآخرة، وكان مآله إلى سوء الموارد، وفي سؤال اللّٰه تعالى إصلاح الدين: بأن يوفق للقيام بواجباته، وآدابه، ومقتضياته على الوجه الأكمل والأتم[2]، ولا يكون ذلك إلا بالقيام بالتمسك بالكتاب والسنة، وفق هدي سلف الأمة، من الصحابة والتابعين، والأئمة الصالحين، في كل أمور الدين، وذلك يقوم على ركنين أساسيين:

الأول: الإخلاص للّٰه تعالى وحده في كل عبادة.

الثاني: المتابعة للرسول ﷺ، بأن يكون «خالصاً صواباً».

وقوله: «الذي هو عصمة أمري»: أي: ما أعتصم به في جميع أموري وأحوالي، كما قال سبحانه: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ (آل عمران:١٠٣).

فإن التمسك بهذين الأصلين عصمة للعبد من الشرور كلها أسبابها، ونتائجها، ونهاياتها، ومن مضلات الفتن، والضلالات، والمحن، التي تضيع الدين والدنيا. فنسأل اللّٰه أن يصلح لنا ديننا الذي يحفظ لنا لجميع أمورنا.

وقوله: «الذي هو عصمة أمري»: «يعني أن اللّٰه تعالى جعل الدين مانعاً يمنع

---

(١) أضواء البيان (٢/٢٤٣ . ٢٩٩).

(٢) انظر: دليل الفالحين (٧/٦٠٣).

العبد عن الوقوع في أسباب الهلاك في الدنيا والآخرة، ويحميه عن وصول المضرة إليه، فلا يقع في مخالفة يحصل له بسببها عقاب في الدنيا، بإقامة الحد عليه (مثلاً)، وفي الآخرة بدخول النار».[1]

وقوله: «**اللهم بارك لي في ديني**»[2]: سأل اللّٰه تبارك وتعالى البركة في دينه، لأن البركة هي الثبات، والدوام على الخير، ولزومه، ففيه سؤال اللّٰه تعالى أن يبارك له في أعماله الظاهرة والباطنة، وينميها له، بالأعمال الصالحة على الدوام، والثبات، حتى يكون منها في الازدياد، إلى أن يرجع إليه تعالى يوم المعاد.

وقوله: «**وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي**»: أي: أصلح لي عيشي في هذه الدار الفانية القصيرة، بأن أُعطى الكفاف والصلاح فيما أحتاج إليه، وأن يكون حلالاً معيناً على طاعتك وعبادتك، على الوجه الذي ترضاه عني، وأسألك صلاح الأهل من الزوجة الصالحة، والذرية الطيبة، والمسكن الهنيء والحياة الآمنة الطيبة، قال جل شأنه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ (النحل). «فلنحيينه حياة طيبة»: أي: في الدنيا بالقناعة، وراحة البال، والرزق الحلال، والتوفيق لصالح الأعمال، «فالحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت».[3]

قوله: «**وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي**»: أي: وفقني للعمل الصالح، الذي يرضيك عني، وملازمة طاعتك، والتوفيق إلى حسن الخاتمة، حتى رجوعي إليك يوم القيامة، فأفوز بالجنان العالية، وتضمن هذا السؤال أن يصلح له كل أحواله الشرعية الأخروية، والتي منها: الوفاة بحسن ختام، والثبات في القبر عند سؤال الملكين، والأمن يوم الفزع، والثبات على الصراط، وتيسير الحساب، والفوز بالجنان، التي هي مطمع كل الأنام.

---

(١) شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى» لمحمد ابن الشيخ العلامة علي بن آدم بن موسى الأيتوبي (١٥/٣٧٦).

(٢) كما في حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) تفسير ابن كثير (٢/٧٩٠).

قوله: «**واجعل الحياة زيادةً لي في كل خير**»: أي: اجعل يا الله الحياة سبباً لي في زيادة كل خير، يرضيك عني، من العبادة والطاعة، القولية، والفعلية.

ويفهم من ذلك أن طول عمر المسلم، مدعاةٌ للزيادة من الأعمال الصالحة، الرافعة للدرجات العالية، في الدار الآخرة، كما سُئل ﷺ من خير الناس. فقال: «**من طال عُمره وحسن عمله**».[1]

قوله: «**واجعل الموت راحةً لي من كل شر**»: أي اجعل الموت راحة لي من كل هموم الدنيا وغمومها، من الفتن والمحن، والابتلاءات بالمعصية والغفلة، ويفهم من ذلك أن المؤمن يستريح غاية الراحة، ويسلم السلامة الكاملة عند خروجه من هذه الدار، كما جاء في الصحيحين: أن رسول الله ﷺ مُرَّ عليه بجنازة، فقال: «**مُستريح أو مُستراح منه**، فقالوا: يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه؟ قال: **العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والشجر والدواب**».[2] [3]

الفوائد:

ينبغي للداعي أن يقدم الأهم فالأهم في مطالبه، كما في تقديمه سؤال الله إصلاح الدين، لأن «الدين إن فسد لم يصلح للإنسان دنيا، ولا آخرة».[4] مشروعية ذكر سبب الدعوة وبعض بيانها، وأنه من المقاصد المهمة عند الشارع، لأنه يدخل في بسط الدعاء وتطويله، الذي سوف يأتي لاحقاً في بيان أهميته. أن مسائل الدين والآخرة ينبغي للداعي أن يعتني بها في دعواته أكثر من غيرها. أنه كما يسأل الله سبحانه البركة في الأمور الدنيوية، كذلك يسأله في الأمور الشرعية والأخروية، أن أجمع الدعاء وأكمله، ما كان جامعاً للمطالب الدارين. فاحرص يا رعاك الله على هذا الدعاء العظيم الذي «جمع خير الدنيا والآخرة، والدين والدنيا، فحق على كل

(١) صحيح الترمذي (٢٣٢٩).

(٢) البخاري (٦٥١٢)، ومسلم (٩٥٠).

(٣) ينظر: تحفة الذاكرين (٤٢٦)، وفيض القدير (١٣٧/٢)، وفقه الأدعية (٤٩٣/٤) بتصرف.

(٤) المفهم (٩٣/٧).

سامع أن يحفظه، ويدعو به آناء الليل، وآناء النهار، لعل الإنسان يوافق ساعة إجابة، فيحصل على خير الدنيا والآخرة».[1]

❦ ❦ ❦ ❦ ❦

(٤) «اللهم إني أعوذ بك من الهمّ والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضَلَع الدَّيْن، وغلبة الرِّجال».

عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ كلما نزل، فكنت أسمعه يكثر أن يقول:...............[2]

المفردات:

الهم: المكروه المؤلم على القلب على أمر مستقبل يتوقعه.

الحزن: المكروه المؤلم على القلب على أمر قد مضى.

العجز: هو تخلف العبد عن أسباب الخير لعدم القدرة.

الكسل: هو عدم انبعاث النفس للخير وقلة الرغبة فيه، مع وجود الاستطاعة، إيثاراً لراحة البدن.

البخل: إمساك النفس عن الإنفاق بالمال.

الجبن: هو المهابة من الأشياء والتأخر عن فعلها.

وضَلَع الدَّين: الضلع الاعوجاج، وهو ثقل الدين وشدته، حتى يميل صاحبه عن الاستواء.

وغلبة الرجال: شدة تسلط الرجال، وقهرهم بغير حق.[3]

الشرح:

هذا الدعاء المبارك جامع لعدة استعاذات عظيمة، التي تضر العبد في دنياه، ودينه، ومعاده، ولهذا كان ﷺ يكثر من الاستعاذة من هذه الشرور.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) البخاري (٦٣٦٣).

(٣) انظر: فتح الباري (١١/٢٠٧)، ومفتاح دار السعادة (١/٣٧٦)، الفتوحات الربانية (١/٧٠٦).

قوله: «**اللهم إني أعوذ بك من الهمِّ والحزن**». استعاذ النبي ﷺ منهما تعليماً لأمته كما في كل الأدعية لأنه هو قدوتهم وأسوتهم ﷺ، لما فيهما من الضرر للبدن، وإذابة قواه، وتشويش الفكر، والانشغال بهما يفوت كثيراً من الخير، ويشغل كذلك عن الطاعات، والواجبات، هذا إن كان الهم والحزن في أمر من أمور الدنيا، أما هم الآخرة فهو محمود ويزيد في الطاعة والعبادة.

قال رسول اللّه ﷺ: «**من جعل الهموم هما واحداً، همَّ المعاد، كفاه الله سائر همومه، ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا، لم يبال الله في أي أوديتها هلك**».[1]

وقال ﷺ: «**من كانت الآخرةُ همَّه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدُّنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همَّهُ، جعل الله فقره بين عينيه، وفرَّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدر له**»[2]. فينبغي أن يكون هم الآخرة هو الهم الأكبر.

وتضمنت الاستعاذة من هاتين الخصلتين الذميمتين حصول أضدادهما من انشراح النفس، وطمأنتها، والسكون، وراحة البال.

قوله: «**اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل**»: استعاذ النبي ﷺ منهما لأنهما يمنعان العبد من أداء الحقوق الواجبة عليه، وتحصيل المنافع له، فالكسل خصلة ذميمة، تمنع صاحبها الانبعاث للخير، وتمنع من أداء الأعمال الصالحة، وتُغلب داعي الشر على داعي الخير، فيتثاقل عن الطاعات والواجبات، إيثاراً لراحة البدن، فيحرم صاحبها خيري الدنيا والآخرة، ويفوت عليه المنافع ما اللّه أعلم به، وتضمنت هذه الاستعاذة كذلك، حصول ما يضادها من الهمة، والنشاط، والقوة، والعزيمة على منافع الدنيا والآخرة.

ومن الخير الذي يفوته العجز كذلك: الدعاء، قال ﷺ: «**أعجز الناس من عجز عن الدعاء**» لسهولته وتيسره، فلا يعجز عنه إلا ضعيف الإيمان.

---

(١) صحيح ابن ماجه (٤١٠٦)، وصحيح الجامع (٦١٨٩).

(٢) صحيح الترمذي (٢٤٦٥)، وصحيح الجامع (٦٥١٠).

قوله: «**اللهم إني أعوذ بك من البخل والجبن**»: استعاذ ﷺ من البخل لأنه يؤدي إلى ترك الواجبات المالية، كالزكاة، وإكرام الضيف، والإنفاق في وجوه الخير، وترك الواجبات القولية، كترك الصلاة على النبي ﷺ عنده ذكره. قال ﷺ: «**البخيل من ذُكرت عنده فلم يُصل عليَّ**».[1]

وكذلك عدم الرد على السلام قال ﷺ: «**أعجز الناس من عجز عن الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام**»[2]. واستعاذته ﷺ من الجبن: وهو المهابة من الأشياء سواء كان الخوف من العدو الخارجي كالكافر، والباغي، أو خوف العدو الداخلي من النفس، والشيطان، فإنه يؤدي إلى عدم الوفاء بكثير من الواجبات، كفرض الجهاد، والصدع بالحق، وعدم الجرأة على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وكذلك عدم الإقدام على مخالفة النفس وهواها، والشياطين ونزغاتها، وكذلك تضمنت هذه الدعوة حصول السلامة، فالسلامة من البخل تكون بالقيام بحقوق المال بجميع أنواعه. والانبعاث للإنفاق والجود، ومكارم الأخلاق، والسلامة من الجبن، هو شجاعة النفس التي ينصر بها المظلوم، وينصر الحق وأهله.

قوله: «**وضَلَع الدِّين**»: استعاذ ﷺ من شدة الدين وثقله، حتى يميل صاحبه عن الاستواء والاعتدال، لما فيه من شغل العبد عن القيام بالعبادة على الوجه الأكمل والوقوع في المحذورات من الإخلاف في الوعد والوقوع في الكذب، ففي الصحيحين، قال رجل يا رسول اللّه ما أكثر ما تستعيذ من المغرم «أي الدين» فقال: «**إن الرجل إذا غرم حدّث فكذب، ووعد فأخلف**».[3]

قوله: «**وغلبة الرجال**» واستعاذ من غلبة الرجال، وهو تسلطهم، وظلمهم، وغلبتهم، بغير حق، تغلباً وجدلاً، يؤدي إلى وهن النفس، وضعفها، وإلى الذلة، والهوان،

---

(١) صحيح الترمذي (٣٥٤٦).

(٢) صحيح الأدب المفرد (٧٩٥).

(٣) صحيح البخاري (٢٣٩٧)، ومسلم (٩٨٥).

والحزن، فيفتر عن الطاعة، والعبادة. فقد يورد على القلب الحقد والضغينة، مع حب الانتقام، وغير ذلك من الخصال الذميمة، والتي تورث أشد الذنوب والآثام الجسيمة، فالسلامة تكون منهما بالغنى من اللّه تعالى عن الاستدانة، وقوة النفس، وعزتها أمام الظلم، وجوره، فتضمنت هذه الاستعاذة من أن يكون ظالماً، أو ظلوماً، وفيه إيماء إلى العوذ من الجاه المفرط، والذل المهين.(١)

فاعتن - رحمك اللّه تعالى - بهذا الحديث كثيراً، ولازمه اتباعاً واقتداءً بأسوتك نبيك ﷺ، فنحن في أشد الحاجة إليه في زمننا هذا، وقد تكالبت علينا الهموم، والغموم، والأعداء من كل مكان، واستحضر معانيه حال دعائك، فإن في ذلك النفع الكثير، فيما يعود عليك في دنياك وأخراك.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(٥) «اللهم إني أسألك من الخير كله، عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله، عاجله وآجله، ما علمتُ منه وما لم أعلم، اللهم إني أسألك من خير ما سألك عبدك ونبيك وأعوذ بك من شر ما عاذ به عبدك ونبيك، اللهم إني أسألك الجنة وما قرَّب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيراً».

عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: يا عائشة «عليك بجمل الدعاء وجوامعه»، قالت: يا رسول الله وما جمل الدعاء وجوامعه؟

وفي رواية أخرى عنها، قال لها رسول الله ﷺ: «عليك من الدعاء بالكوامل الجوامع» قال: قولي.............................:(٢)

(١) انظر المعاني السابقة: الفتح (١١/٢٠٨)، وشرح صحيح مسلم للقاضي عياض (٨/٢٠٢.٢٠٤)، والتنوير شرح الجامع الصغير (٢/٢٠٣)، ودليل الفالحين (٧/٣٠٨)، والفتوحات الربانية (١/٧٠٦) بتصرف.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٥٠١٩)، (٢٥١٣٧) وصححهما الأرنؤوط، في تعليقه على المسند (٤١/٤٧٤)، (٤٢/٦٧)، والألباني في صحيح ابن ماجه (٣٨٤٦)، وفي صحيح الأدب المفرد (٤٩٧)، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٥٤٢).

الشرح:

هذا الدعاء العظيم الذي بين يديك يا عبدالله هو: أجمع أدعية النبي ﷺ، وأعظمها، وأفضلها، وآكدها، فهي من جوامع الكلم التي أوتيها، فهي تجمع المعاني الوفيرة، الجزيلة، والمقاصد العظيمة الكبيرة، بألفاظ يسيرة، فما من خير من أمور الدنيا والآخرة إلا وقد دخل فيه، وما من شر من شرور الدنيا والآخرة، إلا وقد دخل فيه.

ولهذا وصفه ﷺ بأوصاف جلال وكمال، فوصى به إلى أحب أزواجه رضي الله عنها، فقال لها: «**عليك من الدعاء بالكوامل الجوامع**»: أي: عليك بملازمة الدعاء الذي يجمع لك كل المطالب والمقاصد، التي يرجوها العبد ويتمناها، في معاشه، ومعاده.

قوله: «**اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم**»: أي: يا الله أعطني جميع أنواع الخير، من جميع وجوهه، وأفراده التي لا تحصى في الدنيا والآخرة، الظاهرة والباطنة، الحسية والمعنوية، التي لا سبيل لاكتسابها بنفسي إلا منك، فأنت تعلم أصلح الخير لي في العاجل والآجل. وفي تقديم سؤال الخير على الاستعاذة من الشر، لأن النفوس مولعة إلى طلب الخير والإفضال في السؤال.

قوله: «**وأعوذ بك من الشر كله، عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم**»: اللهم أجرني واعصمني من جميع الشرور من كل أنواعها، العاجلة والآجلة، الظاهرة منها والباطنة، في الدنيا والآخرة، والتي أعلم منها والتي لا أعلمها، فإن الشرور إذا تكالبت على العبد أهلكته.

قوله: «**اللهم إني أسألك من خير ما سألك عبدك ونبيك**»: تأكيد لما قبله، وتفضيل لاختيار الرسول ﷺ على اختيار الداعي، لكمال نصحه، وحرصه على المؤمنين من أنفسهم، وفي هذا الدعاء الجليل، يتضمن كل ما فات الإنسان من أدعية

عن النبي ﷺ لم تبلغه، أو لم يسمع بها، فهو يسأل كل ما سأله النبي ﷺ بأوجز لفظ، وبأشمل معنى.

قوله: «**وأعوذ بك من شر ما عاذ به عبدك ونبيُّك**»: وهذا كسابقه فذاك في الخير، وهذا في الاستعاذة من الشر، ويدخل كذلك كل شر استعاذ منه الرسول ﷺ.

وهذا المطلب والذي قبله هما أجمع الدعاء، وأفضله، لأن ما من خير إلا وسأله ﷺ، وما من شر إلا واستعاذه، لأنه ﷺ أعبد البشر، وأتقاهم لله، فمن لازم هذه الدعوة فقد حاز خيري الدنيا والآخرة.[1]

قوله: «**اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قولٍ أو عمل**»: أي: وفقني يا الله إلى الأسباب القولية، والفعلية، والعلمية، والإيمانية، الموصلة إلى الجنة، وهذا الدعاء فيه تخصيص الخير الذي سأله من قبل، فهذا الخير هو أعظمه، وأكمله، وهو الجنة، فلا خير أعظم منه.

قوله: «**وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قولٍ أو عمل**»: أي: قني واعصمني من الوقوع في الأسباب الموجبة لدخول النار، سواء كانت قولية، أو فعلية، أو اعتقادية وغير ذلك، وهذا الدعاء تخصيص من الشر المستعاذ منه من قبل وهو النار، والعياذ بالله، فهي أشد الشر وأخطره، فما من شر أشد منه.

قوله: «**وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيراً**»: وفي رواية وهي مفسرة للرواية الأخرى «**وما قضيت لي من قضاء فاجعل عاقبته رشداً**»: أي: أسألك يا الله أن تكون عواقب كل قضاء تقضيه لي خيراً، سواء كان في السراء أو في الضراء، وافق النفس أو خالفها، لأن كل الفوز والغنيمة في الرضا بقضائك، فإنك لا تقضي للمؤمن إلا خيراً، قال ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**».[2]

---

(١) انظر: فيض القدير (٢/١٠٣، ١٢٨)، وتحفة الذاكرين (٤٥٣).

(٢) مسلم (٢٩٩٩).



الفوائد:

فاحرص رعاك اللّه تعالى على ملازمة هذه الدعوة الكاملة الجامعة، في ليلك ونهارك، في سفرك، وحضرك، في منشطك ومكرهك، وفي كل أحوالك، فإن هذا الدعاء العظيم الجليل، ليس له مثيل، قال الإمام الشوكاني - رحمه اللّه -: «لا شيء أجمع، ولا أنفع من هذا الدعاء، فإن رسول اللّه ﷺ قد صحَّ عنه من الأدعية الكثير الطيب، وصحَّ عنه من التعوذ مما ينبغي التعوذ منه الكثير الطيب...، فمن سأل اللّه عز وجل من خير ما سأله منه نبيه واستعاذ من شر ما استعاذ منه نبيه ﷺ، فقد جاء في دعائه بما لا يحتاج بعد إلى غيره، وسأله الخير على اختلاف أنواعه، واستعاذ من الشر على اختلاف أنواعه، وحظي بالعمل وإرشاده ﷺ إلى القول الجامع، والدعاء النافع».

أهمية تعليم الأهل الدعاء وحثهم عليه، وإرشادهم إلى أفضل الأدعية «لأن كل خير ينالونه فهو له، وكل شر يصيبهم فهو مضرةٌ له»[1]. أهمية البسط في الدعاء وتنويعه، لأنه مقام عبودية فكلما بسط فيه، زادت عبودية الداعي لربه والشوق إليه، وهذا من مقاصد الشارع الحكيم. ينبغي للداعي أن يعظم الرغبة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، لأن اللّه تعالى كريم عظيم لا تتعاظم عليه المطالب مهما كانت. «أن الدعاء الذي أمر به ﷺ أفضل مما فعله ولم يأمر به»[2]. ينبغي للداعي أن يعتني بالأدعية المهمة الجامعة، وأن يطلبها من الكتاب والسنة، وسؤال أهل العلم كما في قول عائشة رضي اللّه عنها: «ما جمل الدعاء وجوامعه».



(١) سبل السلام (٤/٤٣٨).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/٢٦٦).

(٦) «اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء».

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «كان النبي ﷺ يتعوذ من جهد البلاء...».[١]

وفي رواية: أن النبي ﷺ قال: «تعوذوا بالله».......................[٢]

المفردات:

«جهد البلاء»: الجهد بالفتح هو كل ما يصيب المرء من شدة ومشقة، وبالضم ما لا طاقة له بحمله، ولا قدرة له على دفعه.

«درك الشقاء» الدَرَك: اللحوق والوصول إلى الشيء، والشقاء: هو الهلاك، أو ما يؤدي إلى الهلاك، وهو نقيض السعادة.

«سوء القضاء»: ما يسوء الإنسان ويحزنه ويوقعه في المكروه، من الأقضية المُقدرة عليه.

«شماتة الأعداء»: فرحة الأعداء ببلية تُصيب العبد.[٣]

الشرح:

كان النبي ﷺ يكثر من هذا الدعاء ويداوم عليه[٤]، بل وأمر به أيضاً لأهميته، وشدة العناية به، لما احتواه من عظيم الاستعاذات وشمولها، في أهم المهمات في أمور الدين، والدنيا، والأخرى.

قوله: «اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء»: يا الله أجرني من شدة البلاء ومشقته والذي ما لا طاقة لي بحمله، ولا أقدر على دفعه، سواء كان هذا البلاء جسدياً، كالأمراض وغيرها، أو سواء كان بلاء معنوياً ذكرياً، كأن يُسلط عليَّ من يؤذيني بالسب، والشتم، والغيبة، والنميمة، والبهتان، وغير ذلك، فهذه استعاذة من

---

(١) البخاري (٦٦١٦).

(٢) البخاري (٦٣٤٧) (٦٦١٦)، ومسلم (٢٧٠٧).

(٣) النهاية (١٧٥)، الفتح (١١/١٧٨).

(٤) لأن صيغة المضارع بعد لفظة (كان) تدل على كثرة التكرار والمداومة على الفعل، كما سبق.

جميع البلاءات بشتى أنواعها، وأصنافها، وأشكالها، الظاهرة، والباطنة، الحسية، والمعنوية، والروحية، استعاذ من «**جهد البلاء**» لأن البلاء مجهد للنفس، والبدن، والقلب، فقد يورد العبد شر الموارد، فيقع في عظام الأمور والشرور، في دين العبد ودنياه، وفي استعاذته منه مع ما فيه من الأجر العظيم، مخافة ألا يصبر عليه، فيقع في السخط والضجر، المنافي للرضا والصبر.

قوله: «**ودَرَك الشقاء**»: وأجرني من أن يلحقني مشقة وهلكة، في دنياي، في نفسي، وأهلي، ومالي، وكذلك من سوء الخاتمة[1]، وفي آخرتي، من عقوبة وعذاب بما اقترفته من الذنوب والآثام، استعاذ منه ﷺ كذلك لأنه النهاية في البلاء، والغاية في المحنة، وقد لا يصبر من امتحنه الله تعالى، فيجمع من التعب عاجلاً، والعقوبة آجلاً.[2]

قوله: «**وسوء القضاء**»: أي: المقضى، إذ حكم الله تعالى كلها حسن، والمعنى: هو ما يسوء الإنسان ويحزنه، أو يوقعه في المكروه من الأقضية المقدرة عليه، وهو شامل في الدين والدنيا في النفس، والأهل، والمال، والولد، والخاتمة، وهذه الاستعاذة تتضمن الحفظ في كل الأمور المذكورة.[3]

والاستعاذة من سوء القضاء لا تخالف الأمر بالرضا بالقضاء، فإن الاستعاذة منه هي من قضاء الله سبحانه وتعالى وقدره، والتي شرعها لنا وجعلها سنة لعباده، لهذا يجب أن يعلم أن القضاء باعتبار العباد ينقسم إلى قسمين: خير وشر، فشرع لهم سبحانه الدعاء بالوقاية من شره والاستعاذة منه[4]، فهذا في القضاء المقضي المخلوق، أما قضاء الله الذي هو حكمه وفعله، فكله خير لا شر فيه أبداً. كما قال ﷺ: «**والشر ليس إليك**»[5]. لكماله سبحانه من جميع الوجوه.

---

(١) حاشية السيوطي على النسائي (٨/٦٦٣).

(٢) تحفة الذاكرين (٤٤٣).

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم (٩/٣٨)، الفتح: (١١/١٧٨)، والتنوير (٥/٦٩)، وفيض القدير (٣/٣٠٢) (٥/٢٠١).

(٤) تحفة الذاكرين (٤٤٣).

(٥) مسلم (٧٧١).

قوله: «**شماتة الاعداء**»: فرح الأعداء بما ينزل على الشخص من مكروه، وسوء، ومحنة، فينكأ القلب عندها ويحزن، ويبلغ من النفس أشد مبلغ[1]، وقد يؤدي إلى العداوة والبغضاء والحقد، وقد يفضي إلى استحلال ما حرمه اللّه تعالى من القتال، والانتقام، والتعدي والظلم، والخصام، ولهذا استعيذ منها: «لعظم موقعها، وشدة تأثيرها في الأنفس البشرية، ونفور الطباع عنها»[2]. فاعتن بهذا الدعاء العظيم والزمه اقتداء بنبيك ﷺ الذي كان يداوم عليه، حتى تكون في حفظ اللّه، وعصمته من شرور الدنيا والآخرة.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(٧) «اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحُب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وتتوب عليَّ، وإذا أردت بعبادك فتنة، فاقبضني إليك غير مفتون، وأسألك حُبَّك، وحُبَّ من يُحبُّك، وحُبَّ عملٍ يقربني إلى حُبِّك».

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ: «أتاني ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، (أي في المنام) وقال: «يا محمد! إذا صليت فقل...» ثم قال ﷺ: «إنها حقٌ، فادرسوها ثم تعلموها».[3]

الشرح:

هذا الدعاء الذي بين يديك يا عبداللّه جليل القدر والشأن، لتضمنه سؤال اللّه تبارك وتعالى أن يرزقه أعظم المطالب، وأغلى الأماني، وأسمى المعالي، وهو محبته تعالى، والتوفيق إلى أحب الأعمال إليه، والاستعاذة من جميع الشرور، والفتن المضلة في دينك، ودنياك، وآخرتك، ويدلك على أهميته كذلك: أن اللّه تعالى أمر نبيه ﷺ في المنام أن يدعو به، والأمر الآخر: أنه ﷺ أمر بتعلمه، ومدارسته، والعمل به، فجمع بين خطابين ساميين.

---

(١) الفتح (١١/١٧٨).

(٢) تحفة الذاكرين (٤٤٤).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣٤٨٤)، وصححه العلامة أحمد شاكر (٣/٤٥٨)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٢٣٥)، وفي ظلال الجنة في تخريج السنة (٣٨٨)، وفي صحيح الجامع (٥٩).



قوله: «**اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات**»: تضمن هذا السؤال طلب كل خير وترك كل شر، فإن الخيرات: تجمع كل ما يحبه اللّٰه جل جلاله، ويُقرب إليه من الأعمال، والأقوال، ومن الواجبات والمستحبات، والمنكرات: تشمل كل ما يكرهه اللّٰه تعالى ويباعد عنه من الأقوال والأعمال، فمن تحصَّل له هذا المطلوب، حصل له خيري الدنيا والآخرة، وهذا من جوامع الكلم، وقد تقدم إنه ﷺ يحب مثل هذه الأدعية الجامعة، كما في حديث عائشة أنها قالت: «كان النبي ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك».(١)

قوله: «**وحُبَّ المساكين**»: حب المساكين يدخل في جملة فعل الخيرات، وإنما أفرده بالذكر وهو ما يسمى بعطف الخاص على العام، لشرفه وقوة العناية والاهتمام به، فقد سأل النبي ﷺ اللّٰه أن يجعله منهم، ويرزقه الحشر والوفاة معهم «**اللهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين**».(٢)

وحب المساكين هو أصل الحب في اللّٰه تعالى، لأنه ليس عندهم من الدنيا ما يوجب محبتهم لأجله، فلا يُحَبُّون إلا للّٰه عز وجل، والحب في اللّٰه من أوثق عُرى الإيمان قال ﷺ «**من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان**»(٣) ووصَّى أمَّنا أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق عائشة رضي اللّٰه عنها وعن أبيها، فقال لها: «**يا عائشة أحبِّي المساكين وقربيهم، فإن اللّٰه يُقربك يوم القيامة**».(٤) (٥)

وقوله: «**وأن تغفر لي، وترحمني، وتتوب عليّ**»: سأل المغفرة، والرحمة، والتوبة، فهذه المطالب العالية تجمع الخير كله، وزوال الشر كله، فبالمغفرة وبالتوبة، يأمن العبد من شر الذنوب، وشؤمها، وتبعاتها، وبالرحمة يحوز العبد من كل خير مطلوب، من إحسان ونعمة، والمعنى: أسألك يا اللّٰه: أن تستر ذنوبي وتمحها، وأن ترحمني

(١) صحيح أبي داود (١٤٨٢).
(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٠٨).
(٣) صحيح الجامع (٥٩٦٥).
(٤) صحيح الترمذي (٢٣٥٢).
(٥) انظر: اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى لابن رجب الحنبلي (١٠٨ - ١٢٢).

بتوالي نعمك عليَّ في الدنيا والعقبى، وأن توفقني إلى التوبة، بعد كل حوبة، وتقبلها مني، فبذلك تدوم المغفرة والرحمة.

وقوله: «**وإذا أردت بعبادك فتنة، فاقبضني إليك غير مفتون**»: وإذا أردت أن توقع بقوم فتنة وعقوبة في الدين، أو عقوبة في الدنيا من البلايا والمحن والعذاب، فتوفني إليك قبل وقوعها ،وافتتان الناس بها، فإن المقصود من هذا الدعاء العظيم السلامة من الفتن طول الحياة، والنجاة من الشر كله قبل حلوله، ووقوعه، وأن يتوفاه اللّه تعالى سالماً معافىً قبل حلول النقم والفتن.

وفيه جواز الدعاء بالموت خشية الفتنة في الدين، كما جاء عن النبي ﷺ قال: «**اثنتان يكرهمها ابن آدم: يكره الموت، والموتُ خيرٌ للمؤمن من الفتن، ويكره قلةَ المال، وقلَّةُ المال، أقلُّ للحساب**»[1].

ثم شرع في سؤال أجلّ المطالب، وأسمى الأماني والمراتب، فقال:

«**وأسألك حُبك**»: أي: أسألك حبك إياي، وهذا أعظم مطلوب أن يكون العبد محبوباً عند اللّه عز وجل، وتضمن سؤال حبه تعالى، سؤال كذلك محبة العبد لربه تعالى، أي: وأسألك حبي إياك، فلا يكون شيء أحب إليَّ منك يا اللّه، فمن رزق هذه المحبة كانت كل أعماله، وأقواله، وأفعاله، مسددة، على مراد اللّه تعالى، فيجعل له الحب والقبول في الأرض وفي السماء، كما في الصحيح[2].

وقوله: «**وحب من يحبك**» أي: أسألك حب من يحبك من الأنبياء، وأعظمهم نبينا محمد ﷺ، والعلماء، والأصفياء، وقوله: «**وحب عمل يقربني إلى حبك**» أي: أسألك أن توفقني إلى أحب الأعمال الصالحة التي تقربني إلى حبك، فمن رزق هذه المحاب فاز في الدنيا ويوم المعاد[3].

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٣٦٢٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٩)، وفي السلسلة الصحيحة (٨١٣).

(٢) البخاري (٣٢٠٩)، ومسلم (٢٦٣٧).

(٣) انظر (اختيار الأولى في شرح اختصام الملأ الأعلى) لابن رجب (٩٣ . ١٢٩) بتصرف.



ثم أمر ﷺ بحفظها: «**إنها حق فادرسوها**»، أي: «فاحفظوا ألفاظها التي ذكرتها لكم في ضمنها»[1] ثم بفهمها والعمل بمقتضاها، فقال: (**ثم تعلموها**) وذلك لعظم شأنها لما حوته من مطالب ومقاصد جليلة في الدنيا والآخرة، وأنه ينبغي العناية بفهم الألفاظ واستحضار المعاني عند السؤال، فإن ذلك أرجى في قبول الدعاء، وأكثر أثراً في النفس، وتذوق حلاوة، ولذة المناجاة.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(٨) «اللهم أغفر لي خطيئتي، وجهلي وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطئي وعمدي، وهزلي وجدي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت».

وفي لفظ: «**وأنت على كل شيء قدير**».

وفي رواية: «**اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت**».

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: أنه كان يدعو بهذا الدعاء:.............[2]

وسبب ورود الرواية الأخرى: عن علي رضي الله عنه «أنه ﷺ آخر ما يقول بين التشهد والسلام»..........[3]

الشرح:

هذا الدعاء من أجمع الأدعية في الاستغفار، لأنه دعاء بألفاظ التعميم والشمول، مع البسط والتفصيل، بذكر كل معنى بصريح لفظه، دون الاكتفاء بدلالة اللفظ الآخر عليه، ليأتي الاستغفار على ما علمه العبد من ذنوبه، وما لم يعلمه،

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للعلامة الحافظ محمد بن عبدالرحمن المباركفوري (٨/٢٢٢).
(٢) البخاري (٦٣٩٨)، ومسلم (٢٧١٩) (١٨١٢).
(٣) صحيح مسلم (٧٧١).

ومعلوم أنه لو قيل: اغفر لي كل ما صنعت لكان أوجز، ولكن ألفاظ الحديث في مقام الدعاء والتضرع، وإظهار العبودية والافتقار للّه رب العالمين، واستحضار الأنواع التي يتوب العبد منها تفصيلاً، أحسن وأبلغ من الإيجاز، والاختصار[1]، ولهذا يحسن العناية والتدبر واستحضار المعاني عند الدعاء بها، لما يورث ذلك أثراً عظيماً في النفس من الخشوع، والخضوع، والتذلل بين يدي اللّه تعالى، الذي هو لب العبادة، ومقصودها الأعظم.

قوله: «**اللهم اغفر لي خطيئتي**»: أي: يا اللّه، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، أسألك أن تغفر لي كل خطيئاتي، صغيرها وكبيرها، بسترها، والتجاوز عنها.

قوله: «**وجهلي وإسرافي في أمري**»: أي: تجاوز ما صدر مني من أجل جهلي، وحال مجاوزتي الحد في كل شيء.

قوله: «**وما أنت أعلم به مني**»: أي: من المعاصي والسيئات، والتقصير في الطاعات، التي تعلمها ولا أعلمها لسعة علمك، ولجهلي في نفسي، وهو تعميم بعد تخصيص، وهو اعتراف بإحاطة علمه تعالى، وإقرار بعجزه عن معرفة نفسه وقصورها، ومبالغة في التضرع إلى اللّه سبحانه لمغفرة ذنوبه، وهو من التوسلات الجليلة كما سبق، وهو: إظهار العجز والضعف إلى الرب عز شأنه حال السؤال، المؤذن بالإجابة والقبول.

قوله: «**اللهم اغفر لي خطئي وعمدي**»: وأسألك يا إلهي أن تتجاوز وتستر كل ذنوبي التي اقترفتها حال قصدي، أو في عمدي، وفي عطف «**العمد**» على «**الخطيئة**» من عطف الخاص على العام، فإن الخطيئة أعم من أن يكون خطأً، أو عمداً، لشدة جرمه، أي: (العمد)، لأن فيه عزماً ونية على مخالفة أوامر الخالق سبحانه.

قوله: «**وهزلي وجدي**»: وهما ضدان، أي تجاوز عن ذنوبي، حال هزلي، وحال

---

(1) جلاء الأفهام (٢٣٠) ومدارج السالكين (١/٢٧٣).

جدي، بهذه الأشياء كلها، فاغفرها لي، وهذا إقرار واعتراف وتأكيد من العبد إلى الرب بتقصيره في كل حال، ووقت.

قوله: «**اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت**»: أي: استر وتجاوز عن كل ذنوبي قبل هذا الوقت، وبعد هذا الوقت الذي لم يأت بعد، فتضمن سؤاله المغفرة لذنوبه في جميع الأزمنة: الماضية، والحاضرة، والمستقبلية. وفي طلب مغفرته للذنوب المتأخرة، فقيل معناه: أن يوفق للتوبة بعد الذنب الذي سيفعله، فلا يؤاخذ به، وقيل: معناه: أن اللّٰه يحفظه من الوقوع في الذنب، وكل هذه المعاني صحيحة.

قوله: «**وما أسررت وما أعلنت**»: أي: واغفر لي ما أخفيت وأظهرت، أو ما حدثت به نفسي، وما تحرك به لساني.

قوله: «**وما أنت أعلم به مني**»: وهو من العام بعد الخاص، كرر الإقرار بسعة علمه تعالى، والاعتراف بجهله تضرعاً إلى اللّٰه تعالى في إجابة ما يأمله.

ثم ذكر علة سؤاله ومطلبه: «**أنت المقدم**» أي: ما سألتك إلا لأنك «**المقدم**»، و«**أنت**» ضمير فصل يدل على التأكيد والاختصاص، والحصر، و«المقدم والمؤخر» من أسماء اللّٰه الحسنى.

ومعنى «**المقدم**»: أي: أنت المنزل للأشياء منازلها، فتقدم الأشياء التي تستحق التقديم، فتقدمها بحكمتك، من ذلك: تقديمك لبعض عبادك إليك بالتوفيق للعمل الصالح، ثم تقدمه إلى الجنة.

قوله: «**وأنت المؤخر**»: وأنت الذي تؤخر من تشاء بحكمتك، فتؤخره بالخذلان عن الطاعة، ثم إلى النار، وبالجملة: فكل تقديم وتأخير فهو من الحكيم سبحانه، فهو مقدم كل مقدم في الدنيا والآخرة، ومؤخر كل مؤخر فيهما[1]، وهذان الاسمان يدلان على صفتين فعليتين، للّٰه رب العالمين، التابعة لمشيئته وحكمته، فهو تعالى

---

(١) انظر: الفتح (١١/٢٣٧)، شرح صحيح مسلم للقاضي عياض (٣/١٣١)، (٨/٢١٥)، الفتوحات الربانية (٣/٦٢٨).، شأن الدعاء (٨٦)، ودليل الفالحين (٧/٢٩٢).

يقدم ويؤخر من يشاء ومتى شاء على مقتضى الحكمة الباهرة، والمشيئة النافذة، ولهذا يحسن أن يقترن بهما عند الدعاء.

قوله: «**لا إله إلا أنت**»: أي: لا معبود بحق إلا أنت، ختم الدعاء بالإقرار والإيمان بوحدانيته في ألوهيته، فكان ختام مسك، وهذا ينبغي أن يكون حال المؤمن الإقرار والإشهاد لله تعالى بالوحدانية في كل أحواله وشؤونه، حتى يختم له عند موته.

وفي قوله كما في الرواية الأخرى: «**وأنت على كل شيء قدير**». تأكيد، وإقرار، وتحقيق في سياق التعظيم، بما سبق، على كمال قدرته تعالى بعدة مؤكدات بـ(**أنت**) ضمير الفصل وسبق معناه، و(**على**) حرف استعلاء، و(**كل**) والتي تفيد العموم، و(**شيء**) نكرة، وهي من آكد ألفاظ العموم، وباسم من أسمائه الحسنى (**القدير**) على وزن (**فعيل**) من صيغ المبالغة، كل ذلك استعطافاً لقبول دعوته، أي: أنك تعالى قادر على كل شيء، ومن ذلك ما سألته، فاستجب لي.

الفوائد:

إن الدعاء فيه كمال العبودية من التضرع، والخضوع، والإخبات لله تعالى، وذلك: أنه ﷺ سأل الله المغفرة لجميع أنواع الذنوب، وقد غفر الله له ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

أهمية البسط في الدعاء وذلك:

أ - حتى يستحضر العبد جميع ما يدعو فيه بأنواعه.

ب - أن الدعاء مخاطبة ومناجاة الله سبحانه، فكلما تبسط العبد به مع الله كان ذلك أشوق وأحب إليه.

ج - أنه كلما ازداد دعاء، ازداد قربة إلى الله تعالى.

د - أنه كلما ازداد دعاء، كان فيه إظهار لافتقار الإنسان إلى ربه[1].

و - أن فيه إلحاحاً في الدعاء وهو من الأسباب العظيمة في إجابة الدعاء. إن المطالب الجليلة ينبغي أن يبسط في سؤالها.

---

(١) شرح سورة آل عمران لابن عثيمين (١/١١٦).

إن سؤال الله تعالى المغفرة من أهم المطالب الدنيوية، والدينية، والأخروية. أنه ينبغي أن يتوسل إلى الله تعالى باسم يناسب المطلوب. إن تضمين إفراد الله تعالى بالألوهية في الدعاء، من أعظم موجبات الاستجابة والقبول، إن التوسل باسمه (القدير) مناسب في سؤال أي مطلوب، ومن ذلك: مغفرة الذنوب.

(٩) «اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُكثر أن يقول:.......

فقلت يا رسول الله: آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف على دينك؟

قال: «نعم إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يُقلبها كيف يشاء».[١]

وفي حديث عائشة أنها قالت: يا رسول الله إنك تكثر أن تدعو بهذا الدعاء؟ فقال ﷺ: «إن قلب الآدمي بين إصبعين من أصابع الله عزوجل فإذا شاء أزاغه، وإذا شاء أقامه».

وسئلت أم المؤمنين، أم سلمة رضي الله عنها، ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندك، قالت: «كان أكثر دعائه»: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك».[٢]

(١٠) «اللهم مُصرف القلوب، صرِّف قلوبنا على طاعتك».

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. أنه سمع رسول الله ﷺ: يقول:

«إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين، من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء» ثم قال:..................[٣]

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ما رفع رسول الله ﷺ رأسه إلى السماء، إلا قال: «يا مصرف القلوب ثبت قلبي على طاعتك».[٤]

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٢١٠٧)، وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط (١٩/١٦٠)، والألباني في صحيح الأدب المفرد (٧٢٥). وفي صحيح الترمذي (٢١٤٠).

(٢) صححهما الألباني في صحيح الترمذي (٢٢٥٣)، وصحيح ابن ماجه (١٦٥). و سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٠٩١).

(٣) مسلم (٢٦٥٤).

(٤) رواه أحمد في المسند (٩٤٢٠)، وقال محققو المسند: صحيح لغيره (١٥/٢٤٦).

الشرح:

في هذه الأحاديث بيان لأمر عظيم، وشأن خطير وكبير، وهو أن الله جل قدره، هو الذي يتولى قلوب العباد بنفسه، بين إصبعين من أصابعه الكريمة، على ما يليق بجلاله وكماله، فيصرفها كيف يشاء، باقتدار تام، كتصرفه في قلب واحد، لا يشغله قلب عن قلب، ولهذا قال: «**إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن**» ولم يقل من أصابع اللّه، إشعاراً بأنه هو جل وعلا يتولى الأمر بنفسه، لا يكله لأحد من الملائكة، ولم يطلع أحداً على سرائره من خلقه، لمحض رحمته، وفضله، وكمال حكمته جل وعلا، وعدله، كيلا يطلع على سرائرهم، ولا يكتب عليهم ما في ضمائرهم، فمن شاء اللّه هدايته، أقام قلبه على الهدى ومن شاء إضلاله أزاغ قلبه.

وفيه بيان أن العبد ليس إليه شيء من أمر سعادته، أو شقاوته، بل إن الأمر كله للّه، فإن اهتدى فبهداية اللّه تعالى إيَّاه، وإن ضل فبصرفه اللّه له بحكمته وعدله، فلعظم هذا الأمر كان سيد الأولين والآخرين المزكى من رب العالمين مفتقراً إلى اللّه عزوجل في كل حين بالدعاء لتثبيت قلبه على الطاعة والدين، فكيف بنا نحن المذنبين المقصرين، فهذا التعليم المهم منه ﷺ لأمته أن يكونوا ملازمين لمقام الخوف مشفقين، غير آمنين من سلب الدين، والإيمان، واليقين.[1] الذي عليه النجاة يوم الدين.

وفي سؤاله ﷺ في تثبيت القلب، لأنه محل المعارف، والعلوم، والاعتقاد، فبصلاحه يكون صلاح كل الأركان، وبفساده يفسد كل ما في الأبدان، ولا نجاة للعبد في دار الآخرة، إلا بإصلاح ما في الجنان.

وقوله: «**يا مصرف القلوب**»: «أي: مصرفها، تارة إلى الطاعة، وتارة إلى المعصية، وتارة إلى الحضرة، وتارة إلى الغفلة».[2]

---

(١) انظر: شرح السنة للبغوي (١/١٦٧)، وتحفة الأبرار للبيضاوي (١/١٥٤)، والتنوير (١/١٦٧)، و بداية المبتدي وهداية السالك (١١١ . ١٥٢)، تحفة الذاكرين (٤٤٤)، فقه الأدعية (٤/٤٨٣).

(٢) مرقاة المفاتيح لعلي القاري (١/٢٨١).

وقوله ﷺ: «**صرِّف قلوبنا على طاعتك**»: هو أن ينقلب القلب على الطاعة، أي ينتقل من طاعة إلى طاعة أخرى، من صلاة إلى صيام إلى ذكر إلى صدقة[١] مما أفاده الحرف «على» الذي يدل على الاستعلاء والتمكين. وقول عائشة رضي اللّه عنها، «ما رفع رسول اللّه بصره إلى السماء إلا قال...»: يدل على تحقيقه ﷺ لعلو اللّه تعالى فوق خلقه، وأنه سبحانه مستو بذاته فوق عرشه، وأن من تحقق في قلبه ذلك، كان قلبه وبصره له وجهة، يدعو اللّه تعالى بها.

الفوائد:

إن مطالب الدين والآخرة، هي أجل المطالب في السؤال. إثبات صفة الأصابع للّه تعالى، وهي صفة ذاتية عظيمة تليق بكمال اللّه، لا تشبه أحداً من الخليقة. «جواز رفع الداعي رأسه حال الدعاء خارج الصلاة، لما يجده في نفسه من تعلق قلبه بربه، ومعبوده في علوه».[٢]

أهمية التوسل بصفات اللّه تعالى، ومنها الفعلية (التصريف، والتقليب) وأنها من أعظم الأسباب لقبول الدعاء. أنه كما يتوسل إلى اللّه تعالى بأسماء تناسب المطلوب، فكذلك يتوسل بصفاته التي تناسب المرغوب، أن صفات الرب عز شأنه لها مقتضيات وثمار في العبودية، الظاهرية، والباطنية والروحية، والتي من أجلها، الدعاء بالرغبة والرهبة. إن الدعاء من أعظم الأسباب في حفظ النعم من زوالها، والسلامة من النقم وشرورها.



(١) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٤/٦١).

(٢) تصحيح الدعاء لبكر أبو زيد (١٢٥).

(١١) «اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن دُعاء لا يُسمع، ومن نفس لا تشبع، ومن علم لا ينفع، أعوذ بك من هؤلاء الأربع».

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يتعوذ...»[١]

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: «لا أعلمكم إلا ما كان رسول الله يعلمنا، يقول: «......»، وفي لفظ: «كان رسول الله يعلمناهن، ونحن نعلمكموها» وفي لفظ آخر: «ويأمرنا أن نقول»..........[٢]

الشرح:

قوله: «**اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع**»: أي: ياالله بأسمائك الحسنى، وصفاتك العلا، أعذني من قلب لا يخشع لذكرك، وموعظتك، ولا تؤثر فيه النصيحة، ولا يطمئن لذكرك، ولا يسكن بما قدرته، وقضية من الأقضية، وهذا هو القلب القاسي والعياذ بالله، قال تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ (الزمر:٢٢).

قوله: «**ومن دعاء لا يُسمع**»: وأعوذ بك يا إلهي من دعاء لا يستجاب، ولا يعتد به، فكأنه غير مسموع، لأن الغرض من الدعاء هو: الإجابة والقبول، ومنه قول المصلي: «**سمع الله لمن حمده**»، أي: أجاب حمده، وتقبله، وكون الدعاء لا يُسمع: بأن يكون يكرهه الله تعالى لما فيه من المنغصات، كالإثم، أو قطيعة رحم، أو كون الداعي لم يأت بشروط الدعاء، من الإخلاص، وطيب المشرب، والمأكل، والملبس، وغير ذلك من مبطلات الدعاء، كما تقدم. ومن لم يستجب الله تعالى دعاءه فقد خاب، وخسر، والعياذ بالله.

لأنه طرد من الباب الذي لا يُستجلب الخير إلا منه، ولا يستدفع الضر إلا منه، لأن الله تعالى كريم، سميع، قريب، مجيب للدعاء، غير مخيب للرجاء، لمن أخلص له في السؤال، فمن حُرم ذلك، فقد حُرم الخير كله، لأنه من حرم دعائه، فمن الذي

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦٥٥٧) (٦٥٦٣)، وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط (١١/١١٧، ١٢٠)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٤٨٢)، وفي صحيح النسائي (٥٤٦٧)، (٥٤٧٠).
(٢) رواه أحمد في المسند (١٩٣٠٨)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح(٣٢/٦١)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (٥٤٥٨).

يجيبه، ويعطيه سؤله، ويدفع عنه الشرور، والهلكات، وينعم عليه بالآلاء والمسرات غير الله تعالى: فليحذر العبد أشد الحذر من الأسباب المانعة لقبول دعوته، نسأل الله السلامة والعافية.

قوله: «ومن نفس لا تشبع»: وأعوذ بك يا الله من نفس لا تقنع بما أتيتها من خيرك، وفضلك، ولا تشبع من جمع الحطام، والحرام، ولا تشبع من كثرة الطعام والإنعام، الذي يؤدي إلى خصال المذام «النهمة»، لأن كثرة الأكل جالبة لكثرة الأبخرة الموجبة للنوم، والكسل، وكثرة الوساوس، والخطرات النفسية المؤذية، التي تؤدي إلى فتور العبادة، والطاعة، والقيام بالأعمال الصالحة، والتي خلق من أجلها الخليقة.

قوله: «من علم لا ينفع»: أي: أعذني يا إلهي من علم لا أعمل به، ولا أنتفع به، ولا أعلمه، ولا يصل بركته إلى قلبي، ولا يهذب الأخلاق الباطنة، فيسري إلى الأفعال الظاهرة، وما لم تأذن في تعلمه شرعاً، وهذا العلم هو حجة على صاحبه، لأن العلم النافع، هو ما يزيد في خوفك من الله تعالى، ويزيد في بصيرتك بعيوب نفسك، وآفات عملك، وزهدك في الدنيا[1].

قوله: «وأعوذ بك من هؤلاء الأربع»: هذه الاستعاذة تكرير، وتأكيد، وتحقيق لما تقدم من هذه الاستعاذات الأربع، فكأنه استعاذ منها مرتين، لأهميتها، وعظم شأنها، مما لا يخفى.

الفوائد:

قال السندي رحمه الله: «وفي استعاذته من هذه الأمور بإظهار للعبودية وإعظام للرب تبارك وتعالى، وأن العبد ينبغي له ملازمة الخوف، ودوام الافتقار (مهما علت منزلته) إلى جنابه تعالى»[2].

وفي هذا الدعاء الجليل أنه يحسن بالداعي أن يكرر الدعوات المهمة ويعيدها،

(١) انظر: فيض القدير (٢/١٠٢، ١٠٨)، (٥/٤٧٨)، والفتوحات الربانية (٣/٦٣٢)، وتحفة الذاكرين (٣٥٠)، وانجاز الحاجة شرح سنن ابن ماجه (١/٦٠٣).

(٢) شرح السندي على النسائي (٨/٢٥٥).

فإنه من باب الإلحاح والبسط، والتضرع وهي من مؤكدات إجابة الدعوات. وأنه ينبغي أن يقدم الأهم فالأهم في دعواته، حيث قدم الاستعاذة بـ«قلب لا يخشع» على غيره؛ لأن القلب محل نظر الرب، فهو أهم مضغة في العبد، فإن صلح صلح سائر الجسد، أنه لا يكره السجع في الدعاء دون تكلف.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(١٢) «اللهم إني أسألك الفردوس الأعلى».

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «فإذا سألتم الله، فسلوه الفردوس[١] الأعلى».[٢]

وفي رواية: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه سرُّ الجنة».[٣]

المفردات:

«الفردوس»: الفردوس اسم من أسماء الجنة، وأصله البستان الواسع الذي يجمع كل من في البساتين من أصناف الثمر، والفردوس هو أعلى الجنان وأفضلها مكاناً، ومكانة.[٤]

«سِرُّ الجنة»: السر جوف كل شيء ولبه وخالصه، والمعنى أفضل موضع في الجنة.[٥]

الشرح:

هذا الدعاء يا راعاك الله وسددك على الهدى، فيه أعظم المطالب العلا، وأجل المقاصد السنى، وأسمى المنى في العقبى، وهو سؤال الله تعالى أعلى المنازل، وأشرفها، وأسماها في روضات الجنان، ألا وهي: (الفردوس) عروس الجنان. ولهذا أمرنا نبينا ﷺ

---

(١) البخاري (٢٧٩٠)، (٧٤٢٣).
(٢) صحيح موارد الظمآن (٢/٤٥٢) (٢٠٦٣).
(٣) صحيح الجامع (٥٩٢).
(٤) انظر: الفتح (١/٣٩١ . ٣٩٢) وتفسير ابن جرير (١٥ . ٤٣٠)، والمنتقى عن صفة الفردوس لعبدالملك السليمي القرطبي (٨٣ . ١٠٠).
(٥) فيض القدير (١/٣٦٨).

الرؤوف الرحيم، الرحمة المهداة للعالمين، أن نسأل اللّه تعالى الكريم العظيم، تلك المنزل الجليل، بل وحث على سؤال اللّه تعالى أعلاها، فقال: «**فإذا سألتم اللّه فسلوه الفردوس الأعلى**»، لأن جنة الفردوس درجات، ومنازل سنية، بعضها فوق بعض عليّة، جعلها اللّه تعالى على قدر الإيمان، وصلاح الأعمال، حتى يتنافس المتنافسون، في نيل أعلى مراتبها، ولهذا حثنا ﷺ على علو الهمة، في السؤال والرغبة، كما قال ﷺ: «**إذا دعا أحدكم، فليعظم الرغبة، فإنه لا يتعاظم على اللّه شيء**».

وفي لفظ: «**فإن اللّه عز وجل لا يتعاظم عليه شيء أعطاه**».[1]

فإن الجنة يا عبد اللّه جنان كثيرة، ومراتب عديدة، كما قال ﷺ لأم حارثة: «**إنها جنان كثيرة، وإنه (أي: حارثة) في الفردوس الأعلى**».[2]

وقال ﷺ : «**فإذا سألتم اللّه فسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**».[3]

فانظر وتأمل رحمك اللّه إلى علو هذه المنزلة العظيمة، التي لا شيء أعلى منها، إلا عرش الرحمن، الذي هو فوق السموات الطباق العظام.

قال ابن القيم رحمه اللّه: «أنزه الموجودات، وأظهرها، وأنورها، وأعلاها ذاتاً، وقدراً، عرش الرحمن، وكلما قرب إلى العرش كان أنور، وأزهر، فلذا كان الفردوس أعلى الجنان، وأفضلها».[4]

قال الحافظ رحمه اللّه: «أوسط الجنة وأعلى الجنة» المراد بالأوسط هنا الأعدل والأفضل[5]، قال ابن حبان المراد «الأوسط»: الأعرض، أي في: السعة وبـ (الأعلى): الفوقية، أي: الارتفاع.[6]

---

(١) صحيح موارد الظمآن (٢/٤٤٢).

(٢) البخاري (٦٥٥٠) (٦٥٦٧).

(٣) البخاري (٢٧٩٠).

(٤) نقلاً من فيض القدير (٤/١٠٧).

(٥) الفتح (٦/١٣).

(٦) صحيح ابن حبان (٧/٦٤) رقم (٤٥٩٢) وقول ابن حبان هو الأصح والأعدال من قول ابن حجر: لأن «التأسيس مقدم على التأكيد» لأن فيه معنى زائداً، انظر هذه القاعدة، في أضواء البيان (٦/٦٩٢).

فإن الجنة كلما علت اتسعت وزاد نعيمها، فاحرص يا أخي في اللّه على هذا الدعاء بالليل، والنهار، مع حسن ظنك بربك الكريم، أن يجيب دعوتك، فهو يرزق من يشاء بغير حساب، ولا يغرنَّك الشيطان، ويسوء لك الظن بقلة العمل، فتفتر وتضعف همتك في سؤال هذه المنزلة العلية، فإن كرم اللّه وفضله العظيم، ليس له حدود، ولا مقيد بقيود، وسع كل شيء في هذا الوجود.

وتأمل هذا الحديث لترى سعة فضل اللّه وعظيم كرمه، يقول ﷺ: «**لا تزال جهنم يُلقى فيها وتقول: هل من مزيد حتى يضع رب العزة قدمه، فينزوي بعضها على بعض وتقول: قط قط بعزتك وكرمك. ولا يزال في الجنة فضل** «يعني زيادة» **حتى ينشئ اللّه لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة**»[1]. فمن سعة كرمه وفضله سبحانه أنه يخلق خلقاً جديداً فيسكنه في الجنة من سعتها، وأختم لك بما جاء عن الشارع الحكيم من ألفاظ تدل على فضل الفردوس، لعلها تكون لك حافزاً في الهمة في ملازمة سؤالها، مع الإلحاح والضراعة، قال أبو الدرداء رضي اللّه عنه: «جدوا في الدعاء، فإنه من يكثر قرع الباب يوشك أن يفتح له».[2]

الفردوس: «ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها، وأحسنها، وأعلاها درجة، وإن فوقها عرش الرحمن، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة، إن من دخلها لا يبغى عنها حولها[3]».[4]

بعد هذا ألا تشد ساعد الجد من هذه اللحظة، ولا تسوف أبداً، فإن هذه المنزلة السمية لا تنال بالأماني، وإنما تنال بالهمة، والعزيمة الصادقة، في العمل، ودعاء اللّه تعالى دعاء العبادة، ودعاء المسألة.

---

(١) البخاري (٦٦٦١) ومسلم (٢٨٤٨).

(٢) المصنف لابن أبي شيبة (٨٤٤١)، ومصنف عبدالرزاق (١٩٦٤٤).

(٣) سور الكهف: (١٠٨).

(٤) انظر: هذه الروايات الصحيحة في البخاري (٢٧٩١)، و(٤٧٢٣)، وصحيح الترمذي (٢٥٣١) (٢١٧٤)، وصحيح ابن ماجه (٤٣٣١)، وصحيح النسائي (٢٥٣٠)، وصحيح الجامع (٥٩٢)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (٩٢٢)، (١٨١١)، (٢٠٠٣).

الفوائد:

دل هذا الدعاء الجليل على سعة كرم ربنا تعالى، وكمال رحمته، وعظيم فضله بأوليائه، حيث إنه دلهم على أسهل السبل، وأيسرها في نيل أعلى الأماني وأجلها، والتي من أعظمها: الدعاء، فمن كماله أنه: قد ينال العبد أعلى الجنان، وعروسها: (الفردوس الأعلى)، وأنه ينبغي أن يكون سؤال الفردوس الأعلى أولى الأدعية، كما في قوله: «فإذا سألتم الله فسلوا الفردوس الأعلى» وذلك أنه عقب السؤال بـ«الفاء» التي تدل على الترتيب والتعقيب دون مهلة، أي: إذا أردتم أن تسألوا ربكم وتدعونه فأولى هذه الأدعية سؤال هذه المنزلة العلية. وأنه ينبغي للعبد أن يؤثر أمور الآخرة على أمور الدنيا في دعواته.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١٣) «اللهم إني أعوذ بك من صلاة لا تنفع».

عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان يقول:................(١)

الشرح:

الصلاة أعظم صلة بين العبد وربه عز وجل، وهي أفضل الأعمال، وأحبها إلى الله عز وجل، كما جاء في الأدلة الوفيرة في عظم منزلتها، ولهذا خصها الله عز وجل بالذكر في كثير من المواضع لفضلها وشرفها، لكونها ميزان الإيمان، وإقامتها داعية لإقامة غيرها».

فهي من أعظم الأعمال الرافعة في الدرجات الآخرة، فلا عمل بعد توحيد الله تبارك وتعالى أفضل منها، وذلك لاشتمالها على التوحيد، والتعظيم، والتمجيد، والثناء على الله عز وجل بكل أنواعه، باللسان، والقلب، والأركان، واشتغال كل عضو من الأعضاء، والحركات الظاهرة والباطنة في البدن لله تبارك وتعالى، وثمراتها، وفوائدها لا تعد ولاتحصى، فمن أعظم منافعها، أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر،

---

(١) صحيح أبي داود (١٥٤٩).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ (العنكبوت).

لذا استعاذ منها نبي الرحمة، التي جعلت الصلاة قرة عينه من عدم الانتفاع بها، وذلك يكون لعدم الإتيان بها على الوجه الصحيح من الإخلاص، وصحة الأركان، والواجبات، والشروط.[1]

فتضمنت هذه الاستعاذة الطيبة، التوفيق إلى القيام بها على الوجه الأكمل، والأتم، فإذا أقامها العبد كما ينبغي، اقتطف من ثمار، ومنافع الخيرات في الدنيا والآخرة.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(١٤) «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك».

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ: كان يقول في سجوده:...............[2]

المفردات:

الرضا: خلاف السخط، يقال: أرضاه: أعطاه ما يرضى به.[3]

السخط: ضد الرضا، وهو الكراهية للشيء، وعدم الرضا به، وتسخط وسخط الشيء سخطاً: إذا كرهه، وسخط، الغضب الشديد، المقتضي للعقوبة.[4]

بمعافاتك: العفو التجاوز عن الذنب، وترك العقاب عليه. وأصله: المحو، والطمس.[5]

(١) تفسير ابن السعدي (٣٠٨).
(٢) صحيح مسلم (٤٨٦).
(٣) اللسان (٣/١٦٣)
(٤) المفردات (٤٠٢)، واللسان (٤/١٩٦٣).
(٥) النهاية (٦٢٧).

الشرح:

هذا الدعاء الجليل كان المصطفى ﷺ يلازمه ويداوم عليه، في أفضل الأعمال، وهي: الصلاة، وكذلك في أعظم الأركان فيها: وهو السجود[1]، وكذلك في آكد السنن النافلة: الوتر.[2] مظنة إجابته ﷺ.

فدل هذا الدعاء المبارك على غاية أهميته، لتضمنه مقاصد ومطالب جليلة في: التوحيد، والصفات، والقدر، والعبودية، والإقرار، والمعارف الربانية، والحقائق الإيمانية، فجدير بكل داعي ملازمته، والاعتناء به، وفهم مدلولاته، ومراميه الجليلة، لما احتواه من كمال الاستعاذات في أهم المهمات، والتي تدل على غاية الافتقار، والتعلق بالله الواحد القهار.

قوله: «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك**»: أي: يا الله بأسمائك الحسنى، وصفاتك الكمال العلا: أعوذ بك وأعتصم بجنابك العظيم الذي ليس له عديل، ولا نظير، بأفعال، وأقوال تقتضي رضاك، من أفعال، وأقوال توجب سخطك، فهذه استعاذة بالصفة الجليلة (الرضا)، وهي من أوصاف الله سبحانه الفعلية، من صفة (السخط)، وهي كذلك صفة من صفاته تعالى الفعلية، والمعنى: ألتجأ وأتوسل إليك إلى هذه، من هذه.

وقوله: «**وبمعافاتك من عقوبتك**» أي: وأستعيذ بك يا إلهي بمعافاتك من الذنوب، وآثارها، ومقتضياتها من عقوبتك على الذنوب، وهذا يتضمن سؤال الله: المغفرة والعفو، والعافية هي: السلامة، والعقوبة هي: أثر من آثار سخط الله تعالى، وأتى بالمفاعلة: (بمعافاتك): مبالغة، وصرح بها مع تضمنها مع الأول. (أي: الرضا) لأن الإطناب (وهو: الإسهاب) في مقام الدعاء محمود، لأنه في مقام العبودية، ولأن المطابقة أقوى من التضمن، فكنى بها أولاً، ثم صرح بها ثانياً.

لأن الراضي قد يعاقب للمصلحة، أو لاستيفاء حق الغير، فكان التصريح بذلك

(١) صحيح أبي داود (١٤٢٧).

(٢) صحيح الترمذي (٣٥٦٦).

لا بد منه، فالاستعاذة بالمعافاة بعد الاستعاذة برضاه، لأن المعافاة من العقوبة تحصل بحصول الرضى، لأن المعافاة من العقوبة تحصل بحصول الرضى، ولأنه: يحتمل أن يرضى عنه من جهة حقوقه سبحانه، ويعاقبه على حقوق غيره، وفي الاستعاذة بصفات الرحمة، ومنها: (الرضا)، و(المعافاة)، من صفات الغضب، والتي منها: (السخط) لسبقها، وظهورها من صفات الغضب، كما قال النبي ﷺ: «لما قضى ا الله الخلق كتب في كتاب، فهو عنده فوق العرش، إن رحمتي، سبقت غضبي».[1]

وفيه بيان: أنه يجوز للإنسان أن يستعيذ بصفات اللّه تعالى، من ضدها من الصفات.

وبعد أن استعاذ بصفات أفعاله تعالى الجليلة، ترقى في الاستعاذة من منشأ هذه الأفعال، التي تقوم بمشيئته وإرادته سبحانه، إلى الاستعاذة بذاته العلية، فقال:

«وأعوذ بك منك»: أي: أنت الذي تخاف لعظمتك، وعلو شأنك، وجلالة قدرك، ويرجى إحسانك، وفضلك.

استعاذ النبي ﷺ فيما سبق من الشيء بضده، فلما انتهى ما لا ضد له، استعاذ منه عز وجل، وهذا أشمل، وأعم مما سبق، من أنه يتعوذ باللّه من اللّه، لأنه لا منجى، ولا ملجى من اللّه تعالى إلا إليه.

قوله: «لا أحصي ثناء عليك»، أي: لا أطيقه، أي: لا أحد كائناً من كان حتى سيد البشر، أن يطيق أن يحصى، أو يحد، أو يعد الثناء الكامل عليك، وبلوغ حقيقته وغايته، وهذا دليل على أن لا نهاية لصفاته، لأنه لا نهاية للثناء عليه، إذ الثناء تابع للمثنى عليه، فإن كل ثناء أثنى عليه به، وإن كثر، وطال، وبولغ فيه، فقدر اللّه تعالى أعظم، وسلطانه أعز، وصفاته أكبر، وأكثر، وفضله، وإحسانه، أوسع، وأسبغ.

قوله: «أنت كما أثنيت على نفسك»، هذا اعتراف بالعجز، والتقصير، والنقص في بلوغ الواجب من حق عبوديته، وتعظيمه، والثناء عليه، ولهذا أكد بضمير الفصل

(١) البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١).

(أنت): الذي يفيد: التوكيد، والتخصيص والحصر، أي: أنت وحدك سبحانك تقدر على إحصاء الثناء على نفسك الجليلة، وهذا الثناء إما بالقول، كما في قوله: «**الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين**» وكما في قوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ (الجاثية). وإما بالفعل، وهو إظهار فعله عن بث آلائه، وإنعامه سبحانه.[1]

الفوائد:

أهمية الاستعاذة بصفات الله تبارك وتعالى والتي منها الفعلية كالرضى، أن الإنسان يستعيذ بصفات الله تعالى من ضدها، بالرضا من السخط، وبالمعافاة من العقوبة[2] أن صفات الله سبحانه تتفاضل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن المستعاذ به أفضل من المستعاذ منه[3]، وعلى هذا فالمستعاذ به وهي صفة (الرضا)، أفضل من المستعاذ منه وهي صفة (السخط)، أن الإنسان ينبغي له أن يستعيذ بالله تعالى بالأعمال الصالحة من الأعمال السيئة، لأن الأعمال السيئة توجب الغضب والسخط، والأعمال الصالحة توجب الرضا، والشيء إنما يداوى بضده[4].

أهمية الاستعاذة في حياة المؤمن وخاصة للداعي، فإنها من أعظم الأسباب في مجانبة الشرور من جميع أنواعها من أسبابها ونتائجها وآثارها وعقوباتها. أن الذي «يُستعاذ منه إما وصفه وإما فعله، وإما مفعوله (أي: مخلوقه) الذي هو أثر فعله، والمفعول ليس إليه نفع ولا ضر، ولا يضر إلا بإذن خالقه».[5]

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(١) انظر: مدارج السالكين (٢٧٨/١)، وشرح صحيح مسلم للقاضي عياض (٤٠١/٢)، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦٩/٢)، وتحفة الأحوذي (٧٧/٩)، ودليل الفالحين (٢٥٣/٧)، وتحفة الذاكرين (١٦٣)، وشرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٦٤/٤)، والفتوحات الربانية (٥٢٢/٢).

(٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٦٢/٤).

(٣) جواب أهل العلم والإيمان (٩٠).

(٤) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٦٢/٤).

(٥) مدارج السالكين (٩٧٢/١).

(١٥) «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى».

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ كان يقول:..............[(١)]

المفردات:

الهدى: الدلالة والإرشاد، وهو نوعان: دلالة بيان وإعلام، ودلالة توفيق، التي من وفق إليها لا يزيغ.

التقى: من التقوى، وهو جعل النفس في وقاية مما يخاف.

العفاف: التنزه عما يباح، والكف عنه.

الغنى: بالكسر والقصر، الإيسار، وهو الاستغناء عن الناس وعما في أيديهم.[(٢)]

الشرح:

هذا الدعاء العظيم شامل لأربعة مطالب عظيمة وجليلة لا غنى عنها لأي عبد سائر إلى الله عز وجل في الدار المعاشية، فإن في تحقيقها، الفوز والنجاة في الدنيا، وفي الدار الأخروية.

بدأ في سؤاله الهدى، فقال: «اللهم إني أسألك الهدى»: لأنه هو أعظم مطلوب للعباد، الذي لا غنى لهم عنه في هذه الدار، لأن الهدى وهو طلب الهداية هي كلمة شاملة تتناول كل ما ينبغي أن يُهتدى إليه من أمر الدنيا والمعاد، من حسن الاعتقاد، وصلاح الأعمال، والأقوال، والأخلاق.

والهدى نوعان: هدى علم ودلالة، وهدى عمل: وهو التوفيق إلى الحق، فإذا سأل العبد ربه الهدى، ينبغي له أن يسأل الأمرين، يعني: أن يُعلمه، وأن يوفقه.[(٣)]

قوله: «التقى»: أي التقوى: وهو اسم جامع لفعل ما أمر الله به، وترك ما نهى عنه، وأصل الكلمة من التوقي، وهو أن يجعل بينك وبين عقوبة الله تعالى وقاية،

---

(١) مسلم (٢٧٢١).

(٢) لسان العرب (٩/٣٨٢)، والمفردات: (٨٨١)، والصحاح (٦/٣٣٥٢)، والمفهم (٧/٣٩).

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٤/٥٨).



وأعظم الوقاية: أن يتقى عقابه اللّه وسخطه، بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتي أشدها الشرك، وكل أنواعه.

قوله: «**العفاف**»: هو التنزه عما لا يُباح، والصيانة عن مطامع الدنيا، فيشمل العفاف عن الزنى بكل أفراده، زنى النظر، وزنى اللمس، وزنى الاستماع، وزنى الفرج، ومن العفاف التعفف عن الكسب والرزق الحرام.

قوله: «**الغنى**»: وهو غنى النفس، بأن يستغني العبد عن الناس وعما في أيديهم، فيستغني العبد بما أعطاه اللّه سواء أعُطي قليلاً، أو كثيراً، فتكون القناعة هي مسكنه، فالغني المحمود هو: الغني الذي يتفرغ به القلب عن الدنيا ، وعن الاهتمام بها ويكون شغله الشاغل: هو التفرغ لعبادة ربه سبحانه، وهذه الصفة يحبها عزوجل، قال ﷺ: «**إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي**»[1] وسؤال اللّه «**العفاف والغنى**» وهما داخلان في الهدى والتقى، من باب التخصيص بعد التعميم[2]، وذلك لعظم شأنهما، وشدة احتياج الخلائق لهما.

ونختم هنا بكلام نفيس للشيخ العلامة عبدالرحمن بن سعدي رحمه اللّه عن هذا الحديث: «هذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها وهو يتضمن سؤال خير الدين وخير الدنيا، فإن الهدى هو العلم النافع، والتقى العمل الصالح، وترك ما نهى اللّه ورسوله عنه، وبذلك يصلح الدين، فإن الدين علوم نافعة ومعارف صادقة فهو «الهدى»، وقيام بطاعة اللّه ورسوله فهو «التقى»، والعفاف والغنى يتضمن العفاف عن الخلق، وعدم تعليق القلب بهم، والغنى باللّه وبرزقه، والقناعة بما فيه، وحصول ما يطئمن به القلب من الكفاية وبذلك تتم سعادة الحياة الدنيا والراحة القلبية وهي الحياة الطيبة فمن رزق الهدى والتقى والعفاف والغنى نال السعادتين، وحصل على كل مطلوب، ونجا من كل مهروب.[3]

---

(١) مسلم (٢٩٦٥).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٩/٥١)، والفتوحات الربانية (٣١٦/١)، وإنجاز الحاجة، شرح سنن ابن ماجه (٤٢٢/٨)، شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين (٥٨/٤).

(٣) بهجة قلوب الأبرار (٩٤٢).

(١٦) «اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوْراتي وآمن رَوْعَاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي».

عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يُمسي وحين يصبح:[١]

المفردات:

العفو: محو الذنوب، وسترها، وترك عقابها.

العافية: كلمة جامعة في تأمين اللّه لعبده، من كل نقمة وسوء، وشر، وبلاء، من الأسقام، والبلايا، وهي الصحة ضد المرض.

عَوْراتي: جمع عَوْرة، وهي العيب والخلل والتقصير، وكل ما يسوء كشفه، ومن ذلك كشف العورة.

رَوْعاتي: جمع رَوْعَة: وهي الفزعة والخوف.

أغتال: الغَوْل، إهلاك الشيء من حيث لا يحس به، بمعنى أن يدهى الإنسان بمكروه من حيث لا يشعر ولا يرتقب.[٢]

الشرح:

هذه الدعوات العظيمة كان النبي ﷺ يحافظ عليها، بل كان لا يدعها في صباحه ومسائه، وذلك لأهميتها، وشدة العناية بها، لما فيها من مطلب ومقصد ومأمل كل العباد، وهو سؤال العافية، وهي: السلامة من الآفات الدينية، والشدائد الدنيوية كلها، ولهذا أسهب في سؤالها في تخصيص كل فرد بصريحة: في النفس، والأهل والمال، والولد، فالعافية لا يعدلها شيء، فمن أعطى العافية في الدارين،

(١) أخرجه أحمد (٤٧٨٥)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح (٨/٤٠٣)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٨٧١)، وفي صحيح أبي داود (٥٠٧٤).

(٢) النهاية (٦٢٧)، المفردات (٦١٩)، معجم مقاييس اللغة (٤/٥٦).

فقد حاز وكمل له كل نصيب من الخير، ونجا من كل شر ورهب، يدلك على ذلك ما جاء عن عم النبي ﷺ العباس رضي الله عنه قال: قلت يا رسول اللّه علمني شيئاً أسأله اللّه عزوجل، فقال: «**سل الله العافية**»، فمكثت أياماً، ثم جئت فقلت: يا رسول اللّه، علمني شيئاً أسأله اللّه، فقال لي: «**يا عباس يا عم رسول الله: سل الله العافية في الدنيا والآخرة**».[1]

وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي لكل أحد سؤالها وطلبا، ولا يختص بذلك عمّ النبي ﷺ، كما دل ذلك، أنه أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول اللّه، أيُّ الدعاء أفضل؟ قال: «**سل الله العفو والعافية[2] في الدنيا والآخرة**» ثم أتاه الغد، فقال: يا نبي اللّه أي الدعاء أفضل؟ قال: «**سل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة، فإذا أعطيت العافية في الدنيا والآخرة فقد أفلحت**».[3]

ولا يخفى عليك يا عبد اللّه في تكرير الصحابي السؤال، وفي إجابة سيد الأنام، على أهميته هذه الدعوة من كل وجه، وفي كل حال.

فبدأ بسؤال اللّه «**العفو**»: هو طلب لمحو الذنوب، وتبعاتها وآثارها الماضية، والحالية، والمستقبلية، سواء اقتضت العتاب، أو العقاب.

ثم شرع في سؤال اللّه أجلّ المطالب ومبتغى كل الخلائق، وهي العافية: أي السلامة من كل نقمة، ومحنة، وشر، وسوء، ومؤلم، ومحزن، وفتنة، ومصيبة، وفي الجملة هي: طلب السلامة من جميع الآفات الظاهرة والباطنة، الحسّية والمعنوية، المعايشة، والشرعية، مما علمه العبد، ومما لم يعلمه.[4]

ولهذا قال الصادق المصدوق ﷺ: «**فإذا أعطيت العافية في الدنيا والآخرة فقد أفلحت**»، وهذا هو المقصد الأسنى، والمطالب الأكبر الأسمى.

---

(١) صحيح الترمذي (٣٥١٤)، وصحيح الأدب المفرد (٨٥٥).

(٢) وفي رواية المسند أحمد: «أنه أتاه ثلاثة أيام وهو يسأله».

(٣) صحيح الأدب المفرد (٤٩٥)، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند (١٧٨٣) (٢/٣٨٦).

(٤) انظر: فيض القدير (٢/٢٣، ٥٢١، ٧٣١)، (٤/١٠٦) حاشية على المسند للشيخ السندي (١/١٢)، والفتوحات الربانية (١/٣٩٦) (٣/٦٤٧)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٧/٣٢٠).

وفي اقتران «**العفو والعافية**» جمع بين كمالين يعودان على العبد: وهما: خيري الدارين: السلامة في هذه الدار في دينة، ودنياه، وهو العافية، والسلامة الأخروية في دخول الجنان، والنجاة من النيران، وهو: العفو.

وسؤال الله العافية في الدنيا: فهو طلب الوقاية من كل أمر يضُر العبد في دنياه من مصيبة، وبلاء، وشر، وهلاك، ومرض، وبليَّة، وكل منغصات المعيشة، ونحو ذلك، ويدخل في هذا الطلب كذلك السلامة لأهله، وولده.

وسؤال الله العافية في الآخرة: هو طلب السلامة، والوقاية من العذاب بعد الموت، كشدة النزع، وكعذاب القبر، والنار وما بينهما من الأهوال، والشدائد، والفزع، والحساب العسير.

وسؤال الله العافية في الدين: هو طلب الوقاية من كل أمر يشين الدين أو يخل به، فهو يتضمن حفظ الدين، وسلامته من الخلل والزلل، والترقي في كمالاته، والسلامة من كل نقص يهوي بالعبد في دركاته، وأعظم ذلك السلامة من الشرك والكفر.

وسؤال الله العافية في الأهل: هو سؤال الله وقايتهم من الفتن، وحمايتهم من البلايا، والمحن، وحفظهم من كل شر وسوء، ونقم.

وسؤال الله العافية في المال: سؤال الله حفظ المال مما يتلفه من حرقٍ أو غرقٍ، أو سرقة أو ضياع، ونحو ذلك، فسؤال الله العافية في الأمور السابقة يتضمن سؤال الله الوقاية من كل شر في الدنيا والآخرة، مما علمه المرء ومما لا يعلمه، ولا يخفى عليك في سؤال الله العافية في «الأهل والمال» وهو داخل في سؤال «العافية في الدنيا والآخرة» من عطف الخاص على العام، لشدة تعلق وحب العبد لهما.
وقوله ﷺ «اللهم استر عوراتي»: أي عيوبي وخللي، وتقصيري، وكل مما يسوؤني كشفه، ومن ذلك كشف العورة، وأتى بلفظ الجمع «عوراتي» دلالة على كثرة العيوب والخلل في العبد.

قوله: «**وآمن روعاتي**»: سؤال الله الأمان من كل ما يخيف العبد، أو يحزنه،

ويقلقه، وأن ينعم عليه بالأمان، والاطمئنان، لأن الخوف متعب للقلب والعقل، والبدن، والأمن منها يتم به كمال الإنسان، وينعدم منه الإساءة والنقصان.[1]

وذكر «روعاتي»: كذلك بصيغة الجمع، إشارة إلى كثرتها وتعددها، والله أعلم.

قوله: «**اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي**»: فيه سؤال الله عز وجل أن يحفظ العبد من المهالك والشرور، التي تعرض للإنسان من كل مكان وجهة، فإن أقسام الجهات ستة، استوعبها كلها بحذافيرها، لأنها كلها سُبل الآفات والبلاءات، وطرق لا يؤمن ورود الشر منه، فقد يأتي البلاء والمصيبة في أي جهة من هذه الجهات، ومن أعظم هذه الشرور، شر الشيطان، وشركه من اتباعه وأعوانه، ليوقعوا العبد في المهالك، والزلات، وإبعاده عن الخير والطاعات، كما حكى الله عنها: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ (الأعراف).

وقوله «**من فوقي**»: مثل نزول العذاب والصواعق والهدم وغير ذلك.

وقوله: «**وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي**»: خصه بالاستعاذة إشارة إلى عظم خطورة البلاء والهلاك الذي يحل بالإنسان من حيث لا يحس به، ولا يشعر، كأن تخسف به الأرض من تحته ووقوع الزلازل، وهو نوعٌ من العقوبة التي يحلها الله عز وجل، ممن يمشون على هذه الأرض استكباراً، وعصياناً، فيعاقبون بذلك، عدلاً ووفاقاً، كما حكى الله عزوجل عن قارون: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ (القصص: ٨١).

وقال جل جلاله: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ (العنكبوت).[2]

---

(١) الفتوحات الربانية (١/٦٩٤)، والتنوير شرح الجامع الصغير (٢/٤٣١).

(٢) الفتوحات الربانية (١/٤٩٦)، فقه الأدعية (٣/٣١)، وإنجاز الحاجة (٨/٤٧٨).

الفوائد:

أهمية البسط في الدعاء كما سبق: حيث إنه سأل الله «**العفو والعافية في الدنيا والآخرة**»، وهذا يغني عما بعده، فكلٌّ داخل فيه، لكن لعظم هذين المطلبين، بسط فيهما، ونوَّع، وطوَّل، وأعاد، حتى يستحضر هذه المعاني المرغوبة المرجوة عنده، ويزداد قربه وعبودية للرب عزَّ شأنه. ولذا فإن المقاصد العظيمة ينبغي للعبد أن يعتني بها، ويكررها، ويبسط فيها الدعاء والسؤال. إنه ينبغي للداعي أن يجعل لأهله نصيباً في دعواته لأن النفع يعود عليه في الحقيقة. إن «الداعي ينبغي له أن يأتي بلوازم الدعاء ومتمماته ومكملاته»[1] فمن سأل الله تعالى العفو والعافية، فعليه أن يبذل الأسباب الموجبة لها، التي أعظمها أعمال الصالحات، واجتناب المحرمات، وهكذا في جميع مطالبه. إن كل العباد مهما كانت منزلتهم مفتقرون إلى الله تعالى بالسؤال، خاصة إلى هذه المطالب العليّة.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١٧) «اللهم إني أعوذ بك من الفقر، والفاقة، والقلة، والذِّلة، والعَيْلة، وأعوذ بك أن أظلم، أو أُظْلَم».

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان يقول:..........[2]

المفردات:

الفقر: أصله كسر فقار الظهر، وهو خلو ذات اليد من المال، سواء عنده بعض كفايته، أو لم يجد كفايته.

الفاقة: شدة الحاجة إلى الخلق.

القلة: قلة الشيء سواء كان من قلة المال، أو قلة أبواب الخير، أو قلة العدد، أو المدد.

---

(١) مجموع الفوائد لابن السعدي (٩٨).

(٢) صححه الألباني في صحيح النسائي (٥٤٦٣)، وصحيح أبي داود (١٥٤٤)، وصحيح موارد الظمآن (٢/٤٥٥).



الذلة: الصغار والهوان، مثل انحطاط القدر عند الناس.

العَيْله: الفقر.

الظلم: وضع الشيء في غير محله المختص به، إما بزيادة أو نقصان.[1]

الشرح:

قوله: «**اللهم إني أعوذ بك من الفقر**»: يا اللّه أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العُلا أن تعيذني من قلة يدي، من عدم كفايتي من المال، الذي أقوت به نفسي، وأهلي، وأولادي، وأخاف من أن يؤدي بي إلى عدم الصبر، وإلى التسخط، وعدم القناعة، وتسلط الشيطان علي بذكر نعم الأغنياء.

قوله: «**والفاقة**»: وأعذني يا إلهي من شدة الحاجة إلى الخلق، والتعرض لهم بالسؤال، والطلب، والاحتياج إلى غيرك، أستعيذ منهما لشدة مضرتهما، لأنهما قد يفضيان إلى الخلل في الدين، والمروءة، والعزة، وتدنيس العرض، فإن الفقر متعب للبدن، مانع له من طيب العيش، منغص له، وكذلك الفاقة سبب للذل والهوان، واستحقار الأنام، مما قد يؤدي إلى عدم الرضا بالقضاء والقدر، والاعتراض على رب الأرض والسماء.

قوله: «**والقلة**»: أعوذ بك من قلة المال التي يخاف منها قلة الصبر من الإقلال، أو المراد قلة أبواب الخير والبر، أو قلة العدد، أو المدد، أو قلة الأنصار، ولا مانع من إرادة الجميع، أي قِلَّة كانت، لأن الأصل بقاء العموم على عمومه، ولا يوجد تخصيص بفرد مما ذكر، حيث لم يخصص ﷺ بنوع منها، واللّه أعلم.

قدم الاستعاذة من «الفقر والفاقة» قبل «الذلة» لأنهما سبب له.

قوله: «**الذلَّة**»: أن أكون ذليلاً في أعيُن الناس، يستحقروني ويستخفون بشأني، والتذلل للأغنياء على وجه المسكنة، أو المراد الذلة الحاصلة من المعصية والخطيئة،

(١) المفردات (١٤٦)، (٧٩٥)، (٧٣٥)، الفتوحات الربانية (١/١٥٦).

ولا مانع من إرادة الجميع كذلك لأنه لم يخصص نوعاً من أنواع الذلة، وهذا من جوامع الكلم، التي أوتيها ﷺ.

قوله: «وأعوذ بك أن أظلم»: أعوذ بك أن أعتدي وأجور في حق من حقوقك، أو في حق من حقوق خلقك.

قوله: «أو أُظلم»: أي: وأعوذ بك أن يقع عليَّ ظلمٌ وبغي، من العباد بغير حق، كقهر الرجال، والظلمة، وأهل الجور[1]، فتضمنت هذه الاستعاذة السلامة من الظلم بكل أنواعه، وأحواله، اللازمة والمتعدية، الدنيوية والشرعية.

الفوائد:

ينبغي الاستعاذة من جميع الشرور اللازمة والمتعدية، لما فيها من شدة على النفس، والجسد، ونقص في الدين، من الإخلال بكثير من العبادات، والتسخط على الله عزوجل، وعدم الصبر والقناعة، أو البغي عند إرادة تحصيل الحق ونحو ذلك، وإتعاب العقل، والبدن بالتفكير، والهم، والحزن، فلا تطيب الحياة، ولا ترضى النفس بالحال.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(١٨) «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً، ولساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب».

قال ﷺ لشداد بن أوس: «يا شداد بن أوْس، إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة ، فأكثر هؤلاء الكلمات»...........

وفي رواية: «إذا اكتنز الناس الدنانير والدراهم، فاكتنزوا هؤلاء الكلمات».............[2]

---

(١) انظر: فيض القدير (٢/١٤٩)، والفتوحات الربانية (١/٦٥١)، وإنجاز الحاجة (٨/٤٣٤)، وشرح مصابيح السنة للبيضاوي (٢/١١١)، وفضل الله الصمد (٢/٣١) بتصرف.

(٢) رواه أحمد (١٧١١٤)، (١٧١٣٣)، وحسنه محققو المسند (٢٨/٣٣٨)، وصححه الألباني رحمه الله، في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٢٢٨)، وفي صحيح موارد ا لظمآن (٢٠٤٧، ٢٠٤٩).



المفردات:

«الكنز»: أصله المال المدفون تحت الأرض، وهو الشيء النفيس المدَّخر[1] ومنه قوله ﷺ: «لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة».[2]

«العزيمة»: أصل العزم الصبر، والجد، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ (الأحقاف: ٣٥). وهو عقد القلب على إمضاء الأمر.

الرَّشد، و«الرُّشد»: بضم الراء وهو خلاف الغي، وهو الصلاح، والفلاح، والصواب.

«القلب السليم»: هو الخالي من كل شرك، وإثمٍ، ووصف ذميم.[3]

الشرح:

هذا الدعاء المبارك في غاية الأهمية، فقد اشتمل على أعظم المطالب في الدين، والمعاش، والمعاد، لهذا كان عليه الصلاة والسلام يلازمه في صلاته[4]، ويداوم عليه في كثير من أحواله، بل أمر به ﷺ أصحابه.[5] بأجمل الكلمات المشوقة إليه.

قوله: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر»: سأل الله تعالى الثبات في الأمر، وهي صيغة عامة يندرج تحتها كل أمر من الأمور، أي: أسألك ياالله الثبات على الدين، والاستقامة على الصلاح، في كل أمور الدنيا والآخرة، وأحوج ما يكون العبد على هذه الاستقامة، عند الاحتضار من الوقاية من نزغات الشيطان وإغوائه، والثبات عند سؤال الملكين في القبر، كما قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ (إبراهيم). والثبات عند المرور على الصراط، فتضمنت هذه الدعوة

---

(١) المفردات (٧٢٧) والنهاية (٨١٤).

(٢) البخاري (١٥٤١)، مسلم (٢٠٧٦).

(٣) المفردات (٣٥٤، ٥٦٥)، والنهاية و(٨١٤)، تحفة الذاكرين (٤٢٨)، (٤٥٠).

(٤) صحيح موارد الظمآن (٢٠٤٧).

(٥) لأنه كما سبق مراراً أن فعل المضارع بعد كان يفيد كثرة التكرار والمداومة على ذلك الفعل.

المباركة سؤال الله الثبات في كل الأحوال، الحسية والمعنوية، الدنيوية، والدينية، والأخروية، بأوجز لفظ.

قوله: «وأسألك العزيمة على الرشد»: أي: وأسألك يا الله حسن التصرف وإنجاز كل ما هو صواب وصلاح، في أموري كلها في معاشي ومعادي، والعزيمة على الرشد: مبدأ الخير، فإن الإنسان قد يعلم الرشد، وليس له عزيمة فإذا عزم على فعله أفلح، والعزيمة هي القصد الجازم المتصل بالفعل، وهو عقد القلب على إمضاء الفعل، ولا قدرة للعبد على ذلك إلا بالله تعالى.(١)

يقول ابن القيم رحمه الله: «الدين مداره على أصلين: العزم، والثبات، وهما الأصلان المذكوران في (هذا الحديث)، وأصل الشكر صحة العزيمة، وأصل الصبر قوة الثبات، فمتى أيد العبد بعزيمة، وثبات، فقد أيد بالمعونة والتوفيق»(٢)، وهذا غاية المرادات والأمنيات.

قوله: «وأسألك موجبات رحمتك»: أي ما أوجبت لقائلها الرحمة من قربة، أي قربة، أي: أسألك من الأفعال، والأقوال، والخصال التي توجب لنا رحمتك التي وسعت كل شيء.

قوله: «وعزائم مغفرتك»: أي وأسألك أن ترزقني من الأعمال والأقوال والصفات التي نتوصل بها إلى مغفرتك»(٣) وهذان المطلبان وهما طلب الرحمة والمغفرة من أجل المطالب في الدارين، لأن فيهما جمع بين التحلية، والتخلية، لأن المغفرة: تحلية، وهي التنقية من الذنوب وتبعاتها، التي تورد شر الموارد في الدنيا والآخرة، والرحمة: تحلية، أي: يتحصل بمقتضاها النعيم والإحسان الذي أعلاه وأسماه: دخول الجنان، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧﴾ (آل عمران).

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب (١/٣٧٢).
(٢) عدة الصابرين (٨٧١).
(٣) انظر: تحفة الذاكرين (٤٥٠).

قوله: «**وأسألك شكر نعمتك**»: وأسألك التوفيق لشكر نعمك التي لا تحصى، لأن شكرها يحفظها ويزيدها قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧ ﴾ (إبراهيم)، والشكر يكون باللسان: بالحمد وذكر النعم للمنعم، والتحدث بها، وبالقلب: ذكرها وعدم نسيانها، وبالجوارح: أن يستعان بنعم الله على طاعته، واجتناب معاصيه.[1]

وقوله: «**وحسن عبادتك**»: وأسألك القيام بعبادتك على الوجه الأحسن والأكمل، ولا يكون إلا بالإخلاص لله تعالى، والاتباع لما جاء بالكتاب، وسنة المصطفى ﷺ.

وقوله: «**وأسألك قلباً سليماً**»: أي نقياً خالياً من كل الذنوب والعيوب من الشرك، والنفاق، والرياء، والحقد، والغل، والحسد، والشح، ومن الشهوات، فإذا سلم القلب لم يسكن فيه إلا الرب جل وعلا، وبه تكون النجاة يوم العرض.

قوله: «**ولساناً صادقاً**»: محفوظاً من الكذب والإخلاف في الوعد، فإن اللسان الصادق من أعظم المواهب، قال ﷺ: «**عليك بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر.... ولا يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً**».[2]

قوله: «**وأسألك من خير ما تعلم**»: أي أسألك من كل خير تعلمه ولا أعلمه، فما من خير إلا وقد دخل فيه، وهذا السؤال جامع لكل الخيرات الدنيوية والدينية، لهذا أسنده إلى الرب العليم سبحانه، وهذا من حسن الأدب، وتعظيم الطلب، من المربوب إلى الرب المعبود.

قوله: «**وأعوذ بك من شر ما تعلم**»: أي أعذني من كل الشرور التي أنت تعلمها ولا أعلمها، لسعة علمك وإحاطتك بكل شيء، فما من شر في أمور الدين والدنيا والآخرة إلا وقد أستعيذ به كذلك، وهو في غاية التلطف والأدب والتعظيم للرب.

قوله: «**وأستغفرك لما تعلم**»: اغفر لي كل ما علمته مني من تقصير وإن لم أحط

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٣٧٧/١).

(٢) البخاري (٤٩٠٦)، ومسلم (٢٦٠٧).

به علماً، «ختم هذا الدعاء بالاستغفار الذي عليه المعول والمدار»[1]. وهذا الاستغفار يعم كل الذنوب التي عملها العبد في الماضي، والحاضر، والمستقبل.

قال ابن رجب رحمه اللّه: «ختم الدعاء بالاستغفار، فإنه خاتمة الأعمال الصالحة، وقوله: **«واستغفرك لما تعلم»**:

يعم جميع ما يجب الاستغفار منه من ذنوب العبد، وقد لا يكون العبد عالماً بذلك كله، فإن من الذنوب ما لا يشعر العبد بأنه ذنب بالكلية.... ومن الذنوب ما ينساه العبد ولا يذكره وقت الاستغفار، فيحتاج العبد إلى استغفار عام من جميع ذنوبه – ما علم منه وما لم يعلم – والكل قد علمه اللّه تعالى، وأحصاه، فلهذا قال: **«واستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب»**.[2]

وقوله: **«إنك أنت علام الغيوب»**: ختم السؤال بأحسن ختام، من التأكيد والإقرار بسعة علمه تعالى، فإن (علام) صيغة مبالغة، على وزن (فعّال) يدلُّ على كثرة العلم، وشموله، وإحاطته تعالى بكل شيء، وهذا توسل بأسمائه تعالى المضافة التي هي من أعظم الثناء والمدائح للّه تعالى، التي يرجى معها الإجابة والقبول، وفيه بيان أنه يحسن بالداعي ذكر علة سؤاله، والمعنى: ما دعوتك إلا لأنك واسع العلم، أحطت بما ظهر وغاب في الوجود، ومنهم أنا عندك المربوب، وهو من إحسان الظن والتعظيم للّه رب العالمين، فاحرص رعاك اللّه تعالى على هذا الدعاء الجليل القدر فإنَّ نبيك ﷺ حثك عليه بأجمل وأجل الألفاظ والمعاني فقال: **«فاكتنزوا»** لأن الكنز هو أنفس شيء يُدخر، وأنه خير من اكتناز الذهب والفضة، لما فيه من طلب كل خير في الدنيا والآخرة، والاستعاذة من كل شر فيهما، فهذا هو الكنز الحقيقي الذي يبقى ولا يفنى ونفعه دائم في الدنيا والعقبى، وكل ما دونه يفنى ولا يبقى، قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ (الكهف).

---

(١) فيض القدير (٢/١٣٠).

(٢) مجموع رسائل ابن رجب (١/٣٩١).

الفوائد:

أنه ينبغي للداعي أن يعتني بالأدعية التي حث عليها الشارع أكثر من غيرها. من آداب الدعاء أن يختار العبد أجمل الألفاظ وأنبلها في السؤال كما دل قوله ﷺ: «وأسألك من خير ما تعلم...». أن يتوسل الداعي بالأسماء المضافة المناسبة لطلبه، كما في قوله: ﴿إنك أنت علام الغيوب﴾ يناسب لما سأله من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله سبحانه. أهمية تعظيم الرغبة والإكثار منها لدلالتها على حسن عبودية الداعي: من كمال التضرع والخضوع وحسن الظن والخشوع، المؤذن بالإجابة والقبول. أن الصلاة من المواطن العظيمة في الاستجابة، والتي من آكدها بعد التشهد وقبل السلام.

ينبغي للداعي أن يعلم غيره من الأدعية المهمة والحث عليها بأفضل أساليب الترغيب، اقتداء بالحبيب ﷺ لما في ذلك أكبر الأثر في الاستمساك بها. أن الكنز الحقيقي هو اكتناز هذه الدعوات المباركة. إن من أعظم أسباب نيل كنوز الآخرة هو الدعاء، فما استجلبت النعم، ودُفعت النقم بمثله.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١٩) «اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضى، وأسألك القصد في الغنى والفقر، وأسألك نعيماً لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضى بعد القضاء وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين».

عن عمار بن ياسر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان يدعو:....................[١]

(١) رواه أحمد في المسند (١٨٣٥)، وصححه العلامة شعيب الأرنؤوط (٣٠/٢٦٤)، والألباني في صحيح النسائي (١٣٠٤)، وصحيح الجامع (١٣٠١).

المفردات:

«**القصد**»: التوسط والاعتدال.[1]

«**نعيماً لا ينفد**»: أي لا ينقطع ولا ينتهي.

«**قرة عين لا تنقطع**»: ما تقر به العين من لذة، وسرور.[2]

«**برد العيش**»: أصل البرد، خلاف الحر، وعيش بارد، أي طيب.[3]

«**خشيتك**»: خوف مقترن مع تعظيم.[4]

«**ضراء**»: خلاف النفع، وهي الحالة: المضرة.[5]

«**فتنة**»: الاختبار والامتحان.

زينة: الزينة ما لا يشين الإنسان في شيء من أحواله، لا في الدنيا، ولا في الآخرة.[6]

الشرح:

هذا الدعاء عظيم النفع والشأن كبير الفائدة، مشتمل على معانٍ عظيمة، ودلالات ومقاصد جليلة، في العقيدة، والأخلاق، والعبادات، وبالجملة فإنه جامع لجميع المقاصد والمطالب الدنيوية والدينية، والأخروية، وإنما تعظم فائدة هذا الدعاء وغيره من الأدعية، في فهم معانيها، والتدبر في دلالاتها ومقاصدها النفسية، والمجاهدة في تحصيل تحقيقها قولاً وفعلاً، وهذا من كمال العبودية.

قوله: «**اللهم بعلمك الغيب**»: الباء للاستعطاف والتذلل، أي أنشدك بحق علمك ما خفي على خلقك، ولم يخف عليك، مما أستأثرت به، فيه تفويض العبد أموره إلى

(١) القاموس المحيط (١٠٦١).
(٢) العلم الهيب (٣١٢).
(٣) المفردات (١١٦).
(٤) المصدر السابق (٢٨٣).
(٥) النهاية (٥٤٢).
(٦) عمدة الحفاظ (٢/١٥٨).

اللّه جل شأنه، وطلب الخيرة في أحواله وشأنه منه جل وعلا، متوسلاً إليه سبحانه وتعالى بعلمه الذي وسع كل شيء، وأحاط بكل شيء، مقدمة قبل الدعاء، وهو من آداب الدعاء.

قوله: «**وبقدرتك على الخلق**»: توسلاً بكمال قدرته النافذه على جميع المخلوقات، إنسها، وجنها، وملائكتها وغيرها، وهذا توسل بصفة القدرة، بعد صفة العلم، أرجى في قبول الدعاء واستجابته، لأنه من التوسل بأسماء اللّه وصفاته، الذي هو أجل الوسائل على الإطلاق التي يرجى معها استجابة الدعاء.

قوله: «**أحيني ما علمت الحياة خيراً لي**»: أسألك بأن تحيني حياة طيبة بأن يغلب خيري على شري، بأن أتمسك بشريعتك متبعاً لسنة نبيك ﷺ إذا كانت الحياة خيراً لي، وفي هذا تفويض كامل للّه تعالى وتقديم اختياره سبحانه على اختيار نفسه، لعجزه وضعفه، في اختياره لنفسه، فهو عاجز عن تحصيل مصالحه، ودفع مضارة، إلا بما أعانه اللّه عليه، وبسره له.

قوله: «**وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي**»: أي: وتوفني في حال تغلب سيئاتي على حسناتي، بأن تقع الفتن والفساد والشر في الدين، ففي هذه الحال يكون الموت خيراً لما فيه من الراحة للمؤمن، والسلامة من البلايا، لهذا جاء النهي في السنة عن تمني الموت لضُر نزل بالعبد لجهله بالعواقب، ففي صحيح البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يتمنى أحدكم الموت لضُر نزل به، إما محسناً فلعله يزداد، وإمَّا مسيئاً فلعله يستعتب**»[1]. أي يسترضي اللّه بالإقلاع عن الذنوب وطلب المغفرة، ففي هذا الحديث التعليل للنهي عن تمني الموت، بأن العبد إن كان محسناً فحياته يرجى أن يزداد بها إحساناً، وإن كان مسيئاً، يتوب إليه تعالى قبل موته.

قوله: «**وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة**»: وأسألك يا إلهي دوام الخشية مع الخوف في السر والعلن، والظاهر والباطن، وفي حال كوني مع الناس، أو غائباً عنهم، والمراد الخشية منه سبحانه وتعالى في كل الأحوال، والأوقات، والخشية هي

(١) صحيح البخاري (٥٦٧١) وصحيح مسلم (٢٦٨٠).

الخوف مقترن مع تعظيم، فإن خشيته سبحانه رأس كُل خير، فقد مدح الله جل وعلا في عدة آيات من يخشاه بالغيب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ (الملك)، فقال: ﴿مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ٣٣﴾ (ق).[1] ومقتضى هذه الخشية عمل الصالحات، واجتناب المحرمات.

قوله: «**وأسألك كلمة الحق في الرضى والغضب**»: وأسألك يا الله النطق بالحق في جميع أحوالي، في حال غضبي وفي حال رضاي، فلا أداهن في حال رضا الناس، وغضبهم علي، ويكون الحق مقصدي في جميع شؤوني، وهذا مطلب عزيز، لأن الغضب يحمل صاحبه على أن يقول غير الحق، ويفعل غير العدل.

قوله: «**وأسألك القصد في الغنى والفقر**»: وبأن أكون مقتصداً معتدلاً في حال غناي وفقري، فلا أنفق في الغنى بسرف ولا طغيان، ولا أضيّق في حال فقري خوف نفاد الرزق والنقصان، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾ (الفرقان).

والقصد هو التوسط والاعتدال، وهو المحبوب المطلوب، في كل الأمور.[2]

قوله: «**وأسألك نعيماً لا ينفد**»: أي أسألك نعيماً لا ينقضي ولا ينتهي وليس ذلك إلا نعيم الآخرة، وأما غيره من نعيم، فإنه زائل لا محالة له، قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ (النحل)، وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ٥٤﴾ (ص) أي في الجنة، فهو دائم لا ينتهي ولا ينقص.

قوله: «**وأسألك قرة عين لا تنقطع**»: كناية عن السرور والفرح، يقال: سر بذلك وفرح[3]، وقرة العين هي من جملة النعيم الذي أسأله في الدنيا والآخرة،

---

(١) انظر: مجموع رسائل ابن رجب (١/١٦٤)، والعلم الهيب (٣١٣).
(٢) انظر: فيض القدير (٢/١٤٦)، العلم الهيب (٣١٢).
(٣) العلم الهيب (٣١٢).

والنعيم منه ما هو منقطع، ومنه ما لا ينقطع، فمن قرت عينه بالدنيا، فقرة عينه منقطعة، وسروره فيها زائل، وهو مع ذلك مشوبٌ بالخوف من الفواجع والمنغصات، فلا تقر عين المؤمن في الدنيا إلا بمحبته تعالى، وهي التي تستمر ولا تنقطع، ما بقيت الدنيا، كما قال المصطفى ﷺ: «وجُعلت قرَّة عيني في الصلاة»[1] وقرة العين في الآخرة تشمل النعيم في البرزخ، وفي الجنة، ومن حصلت له قرة العين بهذا فقد حصلت له قرة العين التي لا تنقطع في الدنيا، ولا في البرزخ، ولا في الآخرة.

قوله: «وأسألك الرضى بعد القضاء»: سأل الرضى بعد حلول القضاء لأنه حينئذ تتبين حقيقة الرضا، وأما الرضا قبل القضاء، فهو عزم ودعوى من العبد، فإذا وقع القضاء فقد تنفسخ العزائم[2]، وسؤال الله الرضا بعد القضاء من خير، أو شر[3]، فأما في الخير فيرضى ويقنع به، ولا يتكلف في طلب الزيادة، ويشكر على ما أوتي به، وأما في الشر فيصبر ولا ينزعج، ولا يتسخط، ويتلقاه بوجه منبسط، وخاطر منشرح، وشكر مستمر، والرضا بالقضاء مقام عظيم من حصل له فقد رضي الله عنه، فإن الجزاء من جنس العمل، قال تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُۚ﴾ (المجادلة).

قوله: «وأسألك برد العيش بعد الموت»: أي أسألك الراحة بعد الموت، ويكون ذلك برفع الروح إلى الجنان في عليين، وهذا يدل على أن العيش وطيبه وبرده إنما يكون بعد الموت للمؤمن، فإن العيش قبل الموت محشوّ بالغصص، مشوب بالنكد، والكدر، لا يصفو لأحد من البشر، لما فيه من الآلام الباطنة، من الهموم، والغموم، والأسقام الظاهرة[4]، ومفارقة الأحبة.

(١) صحيح الجامع (٣٠٩٨).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/٥٣٩)، ومجموع الفتاوى (١٠/٣٧).

(٣) الشر لا يقع في قضاء الله تعالى الذي هو فعله، لأن الله سبحانه ليس في صفاته، ولا في أفعاله ولا في قضائه وحكمه شر، لأنها كلها خير، وحق، وعدل، وفضل، ولطف، بل هو في المخلوق، وليعلم أن الله تعالى لا يخلق شراً محضاً أبداً فلا بد فيه من خير، لكمال حكمته جل جلاله.

(٤) انظر: شرح سنن النسائي المسمى: «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى» محمد الأيتوبي (١٥/٢٤٤)،

قوله: «**وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك**»: جمع هذا الدعاء على أعلى نعيم، وأطيب عيش المؤمن في الدارين، فسأل ألذ، وأطيب وأهنأ شيء في الدنيا، وهو الشوق إلى لقاء الله عز وجل، وأنعم وأطيب، وأكمل شيء في الآخرة، هو النظر إلى وجه الله الكريم، الذي لا شيء أجمل، ولا أنعم، ولا ألذ، من رؤيته، فعن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتُنجّنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم**»[1].

سأل الله هنا لذة النظر، ولم يكتف بسؤال النظر، مبالغة في الرؤية، وكثرتها، لأنه فرق بين رؤية ورؤية، وفي تقيد النظر باللذة كذلك، لأن النظر إلى الله عز وجل إما نظر هيبة وجلال في عرصات يوم القيامة، أو نظر لطف وجمال في الجنان.[2]

قوله: «**في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مُضلة**»: أي أسألك شوقاً لا يوجد فيه ما يُضرني في ديني، ولا في دنياي، بأن أحيا حياة خالية من الضر والبلاء الذي لا صبر عليه، وخالية من الفتن المضلة الموقعه في الحيرة، ومفضية إلى الهلاك، وسوء المنية.

قوله: «**اللهم زيّنا بزينة الإيمان**»: يا الله يا ذا الأسماء الحسنى والصفات العلا، أسألك أن تزيِّن بواطننا وظواهرنا بزينة الإيمان، فتشمل زينة الباطن بالاعتقاد الصحيح، واليقين الثابت في الجنان.

وزينة اللسان بالذكر والقرآن، والأمر بالمعروف والنهي عن النكران، وزينة الظاهر بالأعمال الصالحة والطاعة الدائمة الأركان، فإن الزينة الكاملة النافعة الدائمة، هي زينة الإيمان والتقوى إذا شملت القلب، والجوارح، والأبدان.

قوله: «**واجعلنا هداة مهتدين**»: أي: كاملين، مكملين، بأن نهدي أنفسنا، ونهدي

وإغاثة اللهفان (٢٨/١).
(١) مسلم (١٨١).
(٢) انظر: إغاثة اللهفان (٢٨/١)، وفيض القدير (١٤٦/٢)، والعلم الهيب (٢١٣).

غيرنا، وهذا أفضل الدرجات، أن يكون العبد هادياً مهدياً، كما في دعاء النبي ﷺ لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«اللهم اجعله هادياً مهدياً، واهده، واهد به».[1]

ووصف الهداة بالمهتدين وذلك أن يكون العبد عالماً بالحق متبعاً له، معلماً لغيره ومرشداً له، لأن الهادي إذا لم يكن مهتدياً في نفسه لم يصلح كونه هادياً لغيره، لأنه يوقع الناس في الضلال من حيث لا يشعر.[2]

ويدخل فيمن دعا إلى الهدى، ومن دعا إلى التوحيد[3]، ونبذ الشرك بكل أنواعه، وإلى السنة من البدعة، وهذا أفضل أنواع الدعوة إلى الهدى.

الفوائد:

ينبغي للعبد أن يضمن في كل دعواته من أسماء اللّه الحسنى، أو صفاته العلا، فإنها أرجى في قبول سؤاله. وأن يقدم الأهم من الثناء، وكذلك من المقاصد على غيرها، كما في تقديمه (**الغيب**) على (**الشهادة**) و(**الرضى**) على (**الغضب**). أهمية الاحتراز في السؤال، كما في معظم هذا الدعاء، الذي يدل على بلاغته، وكماله كما في سؤاله: **(لذة النظر إلى وجهك)**، فإن فيه تقيد ذكر بـ(اللذة) لأن اللّه تعالى يرى في عرصات القيامة نظرة عظمة وهيبة وإجلال، أما في روضات الجنان فرؤيته هي أعلى أنواع الإنعام والإكرام، وكقوله: «**نعيماً لا ينفد**» «**وأسألك الرضا بعد القضاء**»، فإنه من تعظيم الرغبة المؤذن للقبول والإجابة. أن العبد محتاج إلى سؤال ربه تعالى في جميع أموره الظاهرة والباطنة، دقيقها وجليلها.



(١) صحيح الترمذي (٢٨٤٢)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (١٩٦٩).

(٢) انظر: الفتح (٨/٩١)، وإغاثة اللهفان (١/٢٨)، وفيض القدير (٢/١٤٦).

(٣) مجموع رسائل ابن رجب (١/١٨٠).

(٢٠) «اللهم أمتعني بسمعي وبصري حتى تجعلهما الوارث مني، وعافني في ديني وفي جسدي، وانصرني ممن ظلمني، حتى تُريني فيه ثأري».

عن علي رضي الله عنه قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ:......................[1]

وفي رواية عن أبي هريرة، قال: كان رسول الله ﷺ يدعو فيقول:

«اللهم متعني بسمعي وبصري، واجعلهما الوارث مني. وانصرني على من يظلمني، وخذ منه بثأري».[2]

وفي لفظ: «وانصرني على عدوي، وأرني فيه ثأري».[3]

المفردات:

«امتعني»: المتاع: انتفاع ممتد الوقت، يقال: أمتعه بكذا: أبقاه وأنشأه إلى أن ينتهي شبابه.

«الوارث مني»: أي الباقي، استعارة من وارث الميت.

«انصرني»: النصر هو الظفر والغلبة.

«حتى تُريني فيه ثأري»: حتى تهلكه أو أنتقم منه.

عافني: من العافية، وهي كلمة جامعة شاملة في دفاع الله تعالى عن العبد كل شر وسوء من جميع أنواعه الحسية والمعنوية.[4]

الشرح:

هذه الأحاديث الجليلة الصحيحة فيها مطالب عزيزة، ودلالات مهمة في الدين والدنيا والآخرة، ومنافع تعود على العبد في ظاهره وباطنه، فينبغي للداعي الاعتناء بها، وفهم مرامها ومضامينها، والتعبد بمقتضاها.

(١) أخرجه الحاكم (٢/١٤٢)، وقال صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣١٧٠)، وفي صحيح الجامع (١٢٦٩).

(٢) صحيح الترمذي (٣٦٠٤).

(٣) صحيح الأدب المفرد (٦٥٠).

(٤) انظر: المفردات (٧٥٧)، والنهاية (٩١٩ . ٩٦٩)، وشأن الدعاء (٦٦١)، والقاموس المحيط (٩٨٠).



قوله: «اللهم أمتعني بسمعي وبصري»: يا اللّه أنفعني بسمعي وبصري، واجعلهما سليمين صحيحين، واحفظهما من جميع الأسقام والأمراض الحسية: كالعمى، والصم، والرمد، والأوجاع، ومن الأمراض المعنوية: كعدم الاعتبار، أو الاتعاظ في آياتك الكونية، والشرعية، حتى أستعملهما في مرضاتك وطاعتك.

قوله: «واجعلهما الوارث مني»: أي أبق لي هاتين الحاستين بكامل قواهما عند الكبر سليمين صحيحين إلى أن أموت، فيكون البصر والسمع هما الوارث مني سائر القوى والباقي بعدها، حتى لا أحتاج إلى قائد ولا معين، ولا إلى أي أحد سواك يا رب العالمين.

قوله: «وعافني في ديني وفي جسدي»: فيه سؤال اللّه العافية وهي السلامة من كل المكاره والبلايا، وقدم السؤال في الدين لأنه أعظم مطلوب، لأن عليه النجاة والفلاح، في الدنيا ويوم الموعود، فسؤال اللّه العافية في الدين أن يبقيه سليماً من كل نقص وخلل في الأصول والفروع، حتى يقوم بعبادة اللّه على الوجه الأكمل، والأتم، المرضي عنده.

وسؤال اللّه العافية في جسده بأنه يبقيه معافى من كل الأمراض، والأسقام، والآلام. والعافية كما تقدم: وهي كلمة جامعة في السلامة من كل العلل والأسقام البدنية، والروحية، كالكفر، والشرك، والنفاق، وكل ما يخدش في الاعتقاد.

وفي الحديث معنى عظيم ومقصد شريف في سؤال اللّه العافية في السمع والبصر، والدين، والجسد، وهو أن يكون العبد متفرغاً لعبادة ربه ومولاه، على أحسن وجه وأتمه، وفى سؤال اللّه العافية في الجسد بعد سؤال التمتع بالسمع والبصر، وهما داخلان فيه، من باب عطف العام على الخاص، لأهميتهما وشدة الحاجة لهما في المنافع الدنيوية، والأخروية، التي لا يستغني عنها كل عابد لرب البرية.

قوله: «وانصرني ممن ظلمني»: اجعلني غالباً منتصراً على من تعدى علي بغير حق، وعلى من تعدى على دينك فأنتقم منه، لأنه لا قدرة للعبد على الإنصاف والانتصار، إلا بإقدار الرب له جل جلاله.

قوله: «**حتى تريني فيه ثأري**»: اجعل إدراك ثأري مقصوراً على من ظلمني، ولا تجعلني ممن تعدى في طلب ثأره فأخذ به غير الجاني، وفيه إشارة إلى قوة المخالفين والأعداء، حثاً على تصحيح الالتجاء، والصدق في الرغبة إلى رب الأرض والسماء، حتى يكون منصوراً محفوظاً في كل الأحوال، والأوقات، من الظلمة والأعداء في المعاش،والمعاد، وجاء في الرواية الأخرى «**وأرني فيه ثأري**» أي أرني فيه هلاكه وانتقامك منه، حتى يشفي ما في صدري، وأرى كمال عزتك وغلبتك، على من ظلمني.[1]

وفي الحديث الآخر، جاء بلفظ: «**انصرني على من يظلمني**».

جاء بحرف الاستعلاء «على» ليفيد التمكين والاستعلاء، أي: اجعلني متمكناً مستعلياً عليه بالنصرة والغلبة، وفي مجيء الفعل المضارع «**يظلمني**» ليفيد الاستمرارية والتجدد، أي: فيه سؤال الله النصرة في الحال، وفي الاستقبال، وفي كل الأحوال، على الدوام، والله أعلم.

فاحرص رعاك الله تعالى على هذه الدعوات الزكية ولازمها واستمسك بها فكل منا محتاج إليها خاصة في زمننا هذا.

الفوائد:

أهمية سؤال الله تعالى العافية، ولهذا كثرت الأدعية النبوية في سؤاله، وفيه مشروعية الدعاء على الظالم، ومن ذلك: الهلاك، وهذا يعم أي نوع من الظلم سواء كان دنيوي، أو شرعي، لأن الشارع لم يخصص أي نوع منه، وفيه رد على من زعم أن التفويض أفضل من الدعاء والله تعالى أعلم.



(١) فيض القدير (٢/١١. ١٢١. ١٣٢) تحفة الذاكرين (٤٣٣)، شأن الدعاء (١٤٦. ١٦٦)، والتنوير شرح الجامع الصغير، (٣/١٢٥، ١٤٤) بتصرف.

(٢١) «اللهم إني أسألك الهدى والسداد»: واذكر بالهدى هدايتك الطريق والسداد سداد السهم.

وفي رواية: «اللهم اهدني وسددني».[(١)]

عن علي رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل:

المفردات:

«اهدني»: الهداية: هي الدلالة والإرشاد.

«السداد»: السداد هو الاستقامة والقصد في الأمور، وسداد السهم: تقويمه.[(٢)]

الشرح:

هذا الدعاء المبارك يتضمن أهم المطالب وأشرف المواهب، ولا يحصل الفلاح والسعادة إلا بهما، وهما الهداية والسداد، فسؤال الله الهدى: وهو المعرفة بالحق تفصيلاً، وإجمالاً، والتوفيق لاتباعه ظاهراً وباطناً.[(٣)]

وسؤال الله السداد وهو التوفيق والاستقامة في جميع الأمور، الدنيوية والشرعية، بما يكون صواباً على الحق وعلى الطريق المستقيم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ (الأحزاب) بين الله تعالى أنه يترتب عليه فائدتان:

١ ـ صلاح الأعمال.

٢ ـ مغفرة الذنوب.[(٤)]

وقوله صلى الله عليه وسلم: «واذكر بالهدى هدايتك الطريق»: أن تذكر في حال دُعائك الهداية، من ركب متن الطريق، الذي يهتدي فيه لا يزيغ عنه، حتى يصل إلى مطلوبه في نهج مستقيم قويم، وكذلك الداعي يسأل الله غاية الهدى.

---

(١) مسلم (٢٧٢٥).

(٢) قاموس المحيط (٢٠٦)، وشرح النووي (٩/٥٢).

(٣) فقه الأدعية (٤/٤٨٠).

(٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين (٤/٦٢).

قوله: «والسداد سداد السهم»: أي: واستحضر المعنى في قلبك حين تسأل اللّه السداد، مثل سداد السهم نحو الغرض، لا يعدل عنه يميناً ولا شمالاً، فكذلك تسأل اللّه تعالى أن ما تنويه من السداد على شاكلة السهم، وكذلك تسأل اللّه غاية السداد وأكمله، كما تسأله غاية الهدى.[1]

وفي سؤال السداد بعد الهداية، وهو فرد من أفرادها، من باب عطف الخاص على العام، لعظم شأنه، لأن السداد في الأقوال، والأفعال، والأخلاق عليه النجاح، والفلاح في الدنيا، ويوم المعاد، وهذا هو مأمل أولو الألباب.

الفوائد:

دل هذا الدعاء على أهمية استحضار المعاني في الذهن حال الدعاء، وأن يبالغ في ذكرها، لأنه من أعظم الأسباب في إجابة الدعاء، وأن المطلوب حال الدعاء التدبر والاستحضار لمعانيه، لأن الداعي يسأل رب السموات والأرض رب العالمين، فإن من قام في قلبه من ذلك حصل له الخشوع، والخضوع، والتضرع، واستلذاذ لذة المناجاة، التي لا ألذ منها، وهذا هو لب العبادة، وغايتها، وإن ضرب الأمثلة الحسية من أفضل أنواع البيان في فهم الأمور الشرعية، والتي منها الأدعية.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(٢٢) «رب أعني ولا تُعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، واهدني ويسر الهدى إلي وانصرني على من بغى علي، رب اجعلني لك شكاراً، لك ذكاراً، لك رهاباً، لك مطواعاً، لك مخبتاً، إليك أواهاً منيباً، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني، واسلل سخيمة قلبي».

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يدعو:.................،

وفي رواية بلفظ: «**اللهم أعني....**».[2]

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٩/٥٢)، فيض القدير (٤/٥٢٤)، ودليل الفالحين (٧/٣٠٧).

(٢) رواه أحمد (١٩٩٧)، وصححه شعيب الأرنؤوط (٣/٤٥٢)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد

المفردات:

«امكر لي»: المكر: الخداع، «وهو صرف الغير عما يقصده بحيلة».[1]

«رهَّاباً»: الرهبة الخوف والفزع.

«مخبتاً»: الخاشع والمخلص في خشوعه.

«أواهاً»: المتضرع والبكاء وقيل كثير الدعاء.

«منيباً»: التائب والراجع إلى الله في أموره.

«حَوْبتي»: إثمي وذنبي.

«اسلل»: اخرج وأنزع.

«سخيمة قلبي»: غل القلب وحقده.[2]

الشرح:

هذا الدعاء العظيم اشتمل على اثنين وعشرين سؤالاً ومطلباً، هي من أهم مطالب العبد وأسباب صلاحه وسعادته، في الدنيا والآخرة[3]، فأول هذه المطالب العظيمة:

١ . «رب أعني»: أي: أطلب منك العون والتوفيق لطاعتك وعبادتك، على الوجه الأكمل الذي يُرضيك عني، وأعني في مقابلة أعدائي في الدين والدنيا، من النفس، وشياطين الإنس، والجن، بأن تمدني بمعونتك وتوفيقك.

٢ . «ولا تُعن علي»: ولا تمد العون لمن يمنعني عن طاعتك من النفس الأمارة بالسوء ومن أعدائي وأعدائك، من الإنس والجان.

٣ . «وانصرني»: وهو طلب النصرة وهي الغلبة، أي: انصرني في كل أحوالي، ومن

---

(٦٦٤)، (٦٦٥)، وصحيح أبي داود (١٥١٠)، وصحيح ابن ماجة (٣٨٣٠).

(١) المفردات (٧٧٢).

(٢) جامع الأصول (٤/٣٣٧)، وشأن الدعاء (٤٦١)، والفتوحات الربانية (٣/٦٤٩ - ٦٥١).

(٣) فقه الأدعية (٤/٤٨٧).

ذلك: أغلبني على الكفار أعدائي، وأعداء دينك، وقيل انصرني على نفسي الأمارة بالسوء، فإنها أعدى أعدائي ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ (يوسف: ٥٣)، ولا مانع من إرادة الجميع لأن «انصرني» مفرد مضاف يفيد العموم. ففيه سؤال اللّٰه النصر على كل الأعداء، في الدين والدنيا، سواء كان العدو خارجياً من شياطين الإنس والجان، أو داخلياً من النفس، والشيطان.

٤ . **«ولا تنصر علي»:** ولا تجعلني مغلوباً، بأن تسلط عليَّ أحداً من خلقك، ولا تنصر النفس الأمارة بالسوء علي، فأتبع الهوى، وأترك الهدى.

٥ . **«وامكر لي»:** المكر هو الخداع وهو من اللّٰه إيقاع بلائه بأعدائه، أي: أنزل مكرك بمن أراد بي شراً وسوءاً، من حيث لا يشعر، وهو توسل إليه تعالى بصفة من صفاته الفعلية، المقيدة على وجه المقابلة والجزاء، لمن يتصف بها، فيقابلهم بها تعالى عدلاً ووفاقاً، دلالة على كمال القدرة والحكمة.

٦ . **«ولا تمكر عليَّ»:** أي: ولا تهد عدويّ إلى طريق دفعه إياي عن نفسه، ولا تعاملني بسوء نيتي، فأغتر وأتجاوز الحد، من حيث لا أشعر فأهلك.

٧ . **«واهدني»:** دلني ووفقني لطرق الهداية والمعرفة، ووفقني لها ولا أزيغ عنها حتى ألقاك.

٨ . **«ويسر الهدى لي»:** أي سهل لي اتباع الهداية وسلوك طريقها، وهيئ لي أسباب الخير، حتى لا أستثقل الطاعة، ولا أنشغل عن العبادة.

٩ . **«وانصرني على من بغى عليّ»:** وانصرني على من ظلمني وتعدى علي، وهذا تخصيص بعد العموم في قوله أولاً **«وانصرني ولا تنصر علي»**[1] وهو يدل على أهمية هذا المطلب، فإن النصرة والظفر على من اعتدى وبغى بغير حق من الورى، فيه من سرور القلب، وطمأنينة النفس، وراحة البال من وقاية الأعداء، والثقه بقدرة اللّٰه تعالى ونصره، ما لا يخفى.

---

(١) انظر: شرح المشكاة للطيبي (٥/٢٠٢)، والفتوحات الربانية (٣/٦٥٠).

فبعد أن توسل إلى اللّه تعالى فيما ينفعه مع تعامله مع خلقه، شرع في سؤاله ما يقربه وينفعه من خالقه من أجل مقامات الطاعة والعبادة، وأن هذه المطالب هي الأهم عنده، «كما دل على ذلك صيغ المبالغة، «وفي تقديم الجار والمجرور في جميع الأمور، دلالة على الاختصاص».[1]

١٠. «**اللهم اجعلني لك شكاراً**»: أي: كثير الشكر لما تفيده الصيغة «شكاراً» من أبنية المبالغة، أي: اجعلني كثير الشكر في السراء والضراء، في القول والعمل، وفي السر وفي العلن، على النعماء والآلاء. وفي تقديم الجار والمجرور «لك» كما تقدم دلالة على الاختصاص والحصر، أي أخصك بالشكر وحدك لإنك خالق النعم ومعطيها.

١١. «**لك ذكاراً**»: أي كثير الذكر لك في كل الأوقات والأحوال، قائماً وقاعداً وعلى جنب، في الليل والنهار، وفي السر والجهار، وفي السفر وفي الحضر.

١٢. «**لك رهاباً**»: كثير الخوف منك في كل أحوالي، في ليلي ونهاري، في سفري، وفي حضري، وفي الغيب، والشهادة.

١٣. «**لك مطواعاً**»: أي: كثير الطوع، وهو الانقياد والامتثال، والطاعة لأوامرك، والبعد عن نواهيك.

١٤. «**لك مخبتاً**»: أي: كثير الإخبات، وهو الخشوع والتواضع، وعلامته: أن يذل القلب بين يدي اللّه إجلالاً، وإذلالاً، أي لك خاشعاً متواضعاً، خاضعاً، ملازماً لك بها في كل أحوالي وشؤوني.

١٥. «**إليك أواهاً منيباً**»: أي: كثير الدعاء، والتضرع، والبكاء لك، والأواه: مبالغة من أوه تأويهاً، إذا قال: أوه، وهو صوت الحزين المتفجع، «**منيبا**» أي راجعاً إليك في جميع أموري، التي منها معاصيي وذنوبي، إلى الطاعة والأوبة، ومن الغفلة إلى الذكر، والفكرة.

وتقديم الجار والمجرور في هذا والذي قبله كما سبق للاهتمام

---

(١) تحفة الذاكرين (٤٢٧).

والاختصاص، وتحقيق الإخلاص، أي أخصك وأخلص لك وحدك، في ذلك كله، سأل الله تعالى التوفيق إلى روح العبادات، وأزكاها، وأهمها بكل أنواعها الظاهرة والباطنة، بالقيام بها على الوجه الأكمل، والأمثل، والأتم، كما دلت الصيغ (شكَّاراً، رهَّاباً، مطواعاً...) الذي يدل على كمال الذل والعبودية لله تعالى وحده.

١٦ . «رب تقبل توبتي»: أي اجعلها صحيحة بشرائطها واستجماع آدابها، وتقبلها مني.

١٧ . «واغسل حوبتي»: أي امسح ذنبي وإثمي، وذكر الغسل ليفيد إزالته بالكلية.

١٨ . «وأجب دعوتي»: أي أجب كل دعواتي، واجعلها مقبولة عندك مستجابة، كما أفادته الإضافة.

١٩ . «وثبت حجتي»: كسابقه يفيد العموم، أي ثبت حُججي على أعدائك في الدنيا، وفي العقبى، وثبت قولي عند سؤال الملكين في القبر، وبين يديك عند الحساب يوم القيامة، والحجج هي: البينات والدلائل.

٢٠ . «واهد قلبي»: إلى معرفتك ومعرفة الحق، والهدى والصراط المستقيم، وإلى كل خير ترضاه، وخصَّ في سؤاله، لأنه بهدايته تهتدي كل الجوارح والأركان في الأبدان.

٢١ . «وسدد لساني»: أي صوب لساني حتى لا ينطق إلا بالحق، ولا يقول إلا الصدق.

٢٢ . «واسلل سخيمة قلبي»: أي: أخرج الحقد، والغل، والحسد، والغش، وغير ذلك من ظلمات القلب.[١]

❃ ❃ ❃ ❃ ❃

---

(١) انظر: الفتوحات الربانية (٣/٦٥٠)، وفضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد (٢/٢٢)، وتحفة الذاكرين (٤٢٧). بتصرف كثير.

(٢٣) «اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي، ومن شر بصري، ومن شر لساني ومن شر قلبي، ومن شر منيي»، يعني فرجه.

عن شكل بن حميد رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله! علمني تعوذاً أتعوذ به، قال: فأخذ بكفي فقال: قل:[1]

وفي رواية: قلت يا رسول الله! علمني دعاءً أنتفع به، قال: قل:

«اللهم عافني من شر سمعي، وبصري، ولساني، وقلبي، ومن شر منيي».

قال وكيع: «منيي» يعني: الزنا، والفجور.[2]

الشرح:

هذا الدعاء الجليل، فيه مطالب عظيمة ومقاصد مهمة جليلة، وهي سؤال اللّه سبحانه العافية في الحواس التي خلقها اللّه تعالى وأودعها في جسد العبد، لينتفع بها في أمور دنياه ودينه وأخراه، وهو من جوامع الكلم.

أخذ ﷺ بكف الصحابي لمزيد من الاعتناء والاهتمام بالمتعلم، وفيه دلالة على حب الصحابة رضي اللّه عنهم للدعاء وحرصهم على الخير والنفع.

قوله: **«اللهم إني أعوذ بك من شرِّ سمعي»**: يا إلهي أتوسل إليك أن تعصمني من شر كل ما حرمت السماع منه ولا ترضاه: كالشرك، والكفر، والغيبة، والزور، والكذب، والبهتان، والمعازف، وسائر أسباب العصيان، أو بألا أسمع الحق من ذكر، ونصح، وموعظة، وأن تسلمني من كل آفة حسية في سمعي: كالصمم أو الأوجاع، فتضمنت هذه الدعوة السلامة من الآفات المعنوية، والحسية، والشرعية، كما دل الحديث الآخر **«اللهم عافني من شر سمعي».**

قوله: **«ومن شر بصري»**: كي لا أرى شيئاً لا ترضاه من المحرمات من النساء والمردة من الصبيان، ومنه النظر على وجه الاحتقار لأحد من الخلقية، أو أهمل النظر والاعتبار في مخلوقاتك العجيبة في الأرض وفي السموات العلية، وكذلك السلامة فيها: كالعمى، والرمد، وغيرها من العاهات والأمراض الحسية، وهذه

(١) رواه أحمد في المسند (١٥٥٤١)، وصححه محققو المسند (٢٤/٣٠٤).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٦٦٣)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥١٥).

الدعوة كسابقتها ولاحقها كما سيأتي، تتضمن السلامة في جميع آفات البصر البدنية، والمعنوية، والدينية.

قدم الاستعاذة بهما، لأنهما مناط التكليف فإن بالسمع يدرك آيات اللّه تعالى المنزلة على الرسل وهي: الأدلة، وبالعين تدرك آيات اللّه تعالى المنبثقة في الآفاق، فهما جامعان لدرك الآيات النقلية، والعقلية التي عليها الثواب والعقاب في الدار الأخروية.

قوله: «ومن شر لساني»: اعصمني من كل محرم أنطقه بلساني: كالكذب، والغيبة، والنميمة، والسب، والقذف، وغيره من المحرمات، فإن اللسان أكثر الخطايا والمهالك فيه، وتضمنت هذه الاستعاذة من جميع الآفات الشرعية التكليفية، وكذلك الحسية، كالبكم، والثقل، واللثغ.

والاستعاذة من شر اللسان تتضمن حصول نقيضه من النطق بالحق، والذكر، والثناء عليك، والشكر على نعمائك، وآلائك، ولا أتكلم فيما لا يُعنيني والسكوت عما يُغنيني، وحفظ الكلام من اللغو، واللهو، والباطل.

قوله: «ومن شر قلبي»: اعصمني من كل شر من السيئات في قلبي: كالنفاق، والحسد، والحقد، والرياء، والكبر، وسوء الظن، ومن كل الاعتقادات الفاسدة التي أعظمها: الشرك، والشك، والنفاق، والكفر، ومن الشهوات، والأمراض القلبية: كحب الدنيا والتعلق بها، والرهبة من الخلق، والخوف من فوات الرزق، فإن القلب سلطان البدن، وعنه يتولد كل سوء، وبلاء، ومحن.

قوله: «ومن شر منييِّ»: أي من شر فرجي، بأن أوقعه في غير محله، من الزنى، واللواط، والاستمناء، وغير ذلك من المحرمات، أو يوقعني في مقدمات الزنى من النظر واللمس والمشي والعزم، وأمثال ذلك، فإن شهوة الفرج من أعظم ما ابتلي به الإنسان، فقد تؤدي إلى المسالك الرديئة، وإلى المهالك البعيدة، وخاصة في هذا الزمن من كثرة دواعي الفتنة والفساد، وانتشارها، وكثرة وسائلها، وسهولة حصولها في كل مكان.

ولا يخفى بتخصيص الاستعاذة من هذه الجوارح لما فيها مناط الشهوة ومثار اللذة، ولأنها أصل كل شر وقاعدته ومنبعه، فإن الله الحكيم جل قدره خلق هذه الآلات والحواس للانتفاع بها في منابع الخير، كالطاعات وسبل الخيرات، والوقاية من الشرور والمعاصي المؤدية إلى المهلكات في الدنيا والآخرة.[1]

الفوائد:

دلَّ هذا الدعاء على أهمية البسط في الدعاء عن الإيجاز فإنه لو قال: «**أعذني من كل شر**»، لكفى المطلوب، لكنه فصل وأسهب في الاستعاذة من كل شر في حواسه الظاهرة، والخافية، حتى يستحضر ما يخافه، ويزداد الداعي تضرعاً وذلة وقرباً إلى الله تعالى، ومنها: «إن المطلوب من العبد أن يكون دائم الإقبال على ربه، ويتضرع إليه ليحفظه من هذه المكاره، فإنه محاط بالأخطار (في هذه الدار)، الظاهرة والباطنة، ولا يستطيع التغلب عليها إلا بعون من الله».[2]

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(٢٤) «اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل».

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان أكثر ما كان يدعو به:...............[3]

الشرح:

هذا الدعاء المبارك فيه من المستعاذات الجامعة، التي تعم كل شر مما عمله العبد، ومما لم يعمله، في الماضي، والحاضر، والمستقبل، لأن الشرور إذا اجتمعت في العبد أفسدت عليه دينه، ودنياه، وآخرته، ولهذا كان ﷺ أكثر ما يدعو به.

قوله: «**اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت**»: أي: من السيئات، أي من شر ما اكتسبته أو أتيته من عمل، مما قد يقتضي عقوبة في الدنيا، أو مما يقتضي

(١) انظر: الفتوحات الربانية (١/٦٩٩) (٣/٦٤١)، وفيض القدير (٢/١٣٥)، وشأن الدعاء (١٢٦)، ودليل الفالحين (٧/٣١٧)، والتنوير شرح الجامع الصغير (٣/١٤٩) بتصرف

(٢) شرح سنن النسائي للأيتوبي (٣٩/٤٠١).

(٣) مسلم (٢٧١٦)، وصحيح النسائي (٥٥٢٣) (٤٢٥٥).

عقوبة في الآخرة، ومن شر كل عمل يحتاج فيه إلى العفو والغفران، أو ما لم أقصد، فقد يعمل العبد العمل لا يقصد به إلا الخير، ويكون في باطن الأمر شر لا يعلمه.[1] ولا مانع من حمل جميع المعاني، فكل هذه الأفراد داخله في ذلك، والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم.

استعاذ النبي ﷺ وهو المعصوم ليلتزم خوف الله وإعظامه وإجلاله والافتقار إليه، وليبين صفة الدعاء ليقتدى به، فهو ﷺ أعماله، سابقها ولاحقها، كلها خير لا شر فيها.[2]

قوله: «**ومن شر ما لم أعمل**»: أي من الحسنات، أي من شر تركي العمل بها، أو من شر ما لم أعمله من السيئات والآثام بعد، ومن كل عمل لا يرضيك ويجلب غضبك، بأن تحفظني منه في المستقبل، أو المراد: شر من عمل غيري من العصاة[3]، ولا مانع من حمل الجميع، كما تقدم، لأن الأصل إبقاء العموم على عمومه، ما لم يخصه دليل، وبالجملة: أنها تضمنت الاستعاذة من جميع الشرور الدنيوية والأخروية، مما اكتسبها العبد أو غيره، الحالية، والمستقبلية، فإن هذا الدعاء وغيره من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ، التي تجمع المعاني الكثيرة الوفيرة، في ألفاظ موجزة ويسيرة.

الفوائد:

فيه دلالة على أهمية الاستعاذة من الشرور من جميع أنواعها، وفي هذه الاستعاذة إشارة إلى أن ما يصيب العبد من الشر، إنما هو بسبب ما عملته يداه، أو بسبب ما عملته أيدي الناس وإن لم يكن هو العامل المباشر، وفيه بيان ودلالة على ضعف الإنسان، وشدة افتقاره إلى مولاه وخالقه عز وجل، في إصلاح شؤونه واستقامة أموره، والوقاية من شرور نفسه وسيئات أعماله، وأنه لا غنى له عن ربه

(١) شرح صحيح مسلم للقاضي عياض (٢١٣/٨)، والنووي (٥٠/٩)، وفيض القدير (١٧٠/٢)، والمفهم (٦٣/٧).

(٢) تحفة الذاكرين (٤٢٠).

(٣) انظر: فيض القدير (١٠٧/٢)، وإنجاز الحاجة شرح سنن ابن ماجه (٤٣١/٨)، وصفة صلاة النبي ﷺ للألباني (١٠٠٧/٣).

وسيده طرفة عين[1] وأنه ينبغي له دائماً السير على هذا المنوال، حتى يظفر برضا ربه عز وجل، وفيه جواز الاستعاذة من الأمور التي لم تقع، وأنه داخل في رد القضاء بالدعاء، فاحرص يا عبدالله على هذا الدعاء العظيم واجعله من أكثر أدعيتك، اقتداء بحبيبك المصطفى ﷺ.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(٢٥) «اللهم أعنا على شكرك وذكرك وحسن عبادتك».

عن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: يا معاذ والله إني لأحبك، والله إني لأحبك، فقال أوصيك يا معاذ: لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول:[2]

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال، قال رسول الله ﷺ: أتحبون أن تجتهدوا في الدعاء؟ قولوا:[3]

«اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

المفردات:

«تجتهدوا»: من الجهد، وهو استفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو عمل[4]، والمقصود هنا الجد والمبالغة في الدعاء.

الشرح:

هذا الدعاء يا رعاك الله عظيم الشأن، جليل القدر، لشرف تعلقه، وهو: طلب العون من الله جل جلاله على القيام بطاعته على وجه الأمثل، والأكمل، الذي عليه فلاح العبد وسعادته في معاشه ومعاده.

ولهذا جاء في أمره ﷺ بقوله: **«أتحبون»:** إذ فيه من التشويق والترغيب إلى هذا الدعاء بأجمل لفظ، وأعذبه حثاً منه صلى الله عليه وسلم على ملازمته،

---

(١) فقه الأدعية (٤/٥٢٢).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، وصححه العلامة أحمد شاكر (٨/١٠١)، (٧٩٦٩)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/٥٢٤).

(٣) صححه الألباني في صحيح أبي داود (١٥٢٢)، وصحيح الأدب المفرد (٥٣٤).

(٤) النهاية (١٧٥).

وبذل السعي الحثيث في الهمة في التمسك به: قولاً، وفهماً، وعملاً، (أتحبون أن تجتهدوا).

وكذلك جاء في الوصية: إلى حبه معاذ بن جبل رضي الله عنه كما تقدم.

فجاء الأمر بهذا الدعاء عاماً إلى جميع أمته، وخاصاً إلى حبه من صحبته.

قوله: «اللهم أعني على ذكرك»: فيه الطلب من الله والعون على القيام بذكره، والذكر يشمل: القرآن وهو أفضل الذكر، ويشمل كل أنواع الذكر من التهليل، والتسبيح، والاستغفار، والصلاة على النبي ﷺ، والدعاء، والمقصود تيسيره، وشرح الصدر له، وإطلاق اللسان به، سأل الله تعالى الإعانة على ذكره لأنه أفضل الأعمال، وأحبها إلى الله تعالى، قال ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم...» قالوا: بلى يا رسول الله: قال: «ذكر الله».[1]

وقوله: «وشكرك»: أي: وأعني على دوام شكر نعمك الظاهرة والباطنة، الدنيوية، والأخروية، التي لا يمكن إحصاؤها، قال سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾ (النحل).[2]

طلب الإعانة عليها، لأنه عسر جداً، إلا لمن وفقه الله، ولذلك قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ (سبأ).[3]

والقيام بالشكر يكون بالأركان، كما قال سبحانه: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ (سبأ: ١٣).

ويكون كذلك، باللسان: بالحمد، والثناء، والتحدث بها، في كل الأحوال، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٣١﴾ (البقرة).

---

(١) صحيح الترمذي (٣٣٧٧).
(٢) الفتوحات الربانية (٣/٢٨٠).
(٣) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٢٣٣/٤).

ويكون بالجنان، بتذكرها، وعدم الغفلة عنها والنكران.

واعلم رحمني الله وإياك أن «كل نعمة على العبد من الله تعالى في دين، أو دنيا، تحتاج إلى الشكر عليها، ثم التوفيق للشكر عليها نعمة أخرى تحتاج إلى شكر ثان، ثم التوفيق للشكر الثاني نعمة أخرى، تحتاج إلى شكر آخر، وهكذا أبداً، فلا يقدر العبد على القيام بشكر النعم، وحقيقة الشكر: الاعتراف بالعجز عن الشكر.[(١)]

وينبغي أن يعلم: أن أعظم النعم التي أنعم الله بها علينا على الإطلاق، هي: نعمة الإسلام، والهدى، والبيان، المحروم منها معظم الأنام، فهي أولى بالشكر من نعم الأبدان، فلا تغفل عنها يا رعاك الله بالنسيان.

قوله: **«وحسن عبادتك»** أي: القيام بها على الوجه الأكمل والأتم بأركانها، وسننها، وآدابها، وخضوعها، وخشوعها، وحصول الإخلاص فيها.[(٢)]

ولا يكون كذلك إلا بركنين: الأول: الإخلاص التام فيها لله تعالى وحده، والثاني: الاتباع كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعدم الابتداع فيها.

وهذا «**لا يقوم بها إلا الموقنون، المعانون من الله عز وجل**».[(٣)]

الفوائد:

دل هذا الدعاء الذي هو من جوامع الكلم على أن مسائل الدين هي أهم المسائل وأهم المقاصد، والتي من أجلها: طلب العون من الله تبارك وتعالى على القيام بذكره، وشكره، وحسن العبادة له، فجمع بين ما أوجبه الله تعالى من حق اللسان، والأركان، والجنان، فالقيام بهذه الحواس في طاعة الله التي خُلقت من أجل ذلك، من أوجب واجبات الدين، قال ابن القيم رحمه الله: انفع الدعاء طلب العون على مرضاته، وأفضل المواهب: إسعافه بهذا المطلوب، وجميع الأدعية المأثورة مدارها على هذا،

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي (٣٠٢).

(٢) انظر: الفتوحات الربانية (١/٤٦٤).

(٣) تحفة الذاكرين (٤٤٦).

وعلى دفع ما يضاده، وعلى تكميله، وتيسير أسبابه فتأملها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «تأملت أنفع الدعاء، فإذا هو سؤال العون، على مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة في ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾»[1]. وفيه بيان أن الدعاء من أعظم الأسباب في الإعانة على أمور العبادة والطاعة.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(٢٦) «اللهم اغفر لي ذنبي كُلَّه، دِقه وجُله، وأوله وآخره وعلانيته وسره».

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده:......................[2]

المفردات:

دقه: صغيره وقليله.

جُلَّه: كبيره وعظيمه.[3]

الشرح:

قوله: «**اللهم اغفر لي ذنبي كله**»: يا إلهي استر وتجاوز عن ذنوبي جميعها، صغيرها وكبيرها، الظاهرة والباطنة، فإن المفرد إذا أضيف يُعمّ، ثم إن هذا التعميم والشمول في هذا الدعاء، يأتي لطلب الغفران لجميع ذنوب العبد ما علمه منها وما لم يعلم، لاسيما والمقام مقام تضرع وإظهار العبودية والافتقار، فناسب ذكر الأنواع التي يتوب العبد منها تفصيلاً، وهذا أبلغ من الإيجاز والاختصار.

قوله: «**دقه وجله**»: أي صغيره وكبيره، وهو تفصيل بعد التعميم، مما تقدم، وهذا من باب تكميل العبودية لله تعالى، «وفي تقديم الدق على الجل، لأن السائل يترقى في مسألته، الدال على التدرج في الإجابة، ولأن الكبائر تنشأ غالبا عن الصغائر، أو الإصرار عليها، وعدم المبالاة بها، فكأنها وسائل إلى الكبائر، ومن حق الوسيلة أن تقدم إثباتاً ورفعة».[4]

---

(١) مدارج السالكين (١/٧٨).

(٢) مسلم (٤٨٣).

(٣) النهاية (١٦١).

(٤) شرح مصابيح السنة للبيضاوي (١/٣٣٨)، ودليل الفالحين (٧/٢٥١).

قوله: «وأوله وآخره»: أي: أول ذنب اقترفته، وآخر ذنب سأقترفه، ففيه توكيد الدعاء، وتكثير الألفاظ فيه، إذ إن «أوله وآخره» داخل في «اغفر لي ذنبي كُله».

قوله: «وعلانيته وسره»: أي: ما أسررته في نفسي ولم يطلع عليه أحد غيري، كالحقد والحسد، وما ظهر مني على وجه العلانية، كالسب، والشتم، والقذف، واللمز، والغمز. وهذا كسابقه في التكثير والبسط والتوسع بالدعاء، فذكر هذا التفصيل بعد الإجمال «**اغفر لي ذنبي كله**» حتى يستحضر العبد الذنوب كلها التي اقترفها، فهذا أرجى في قبول دعوته لما يوجب ذلك من الخشوع والتضرع والاعتراف والإقرار، فإن تكرار الدعاء زيادة في العبودية، وخلوص النفس لرب البرية.

الفوائد:

دل هذا الدعاء على أهميته: وذلك أنه كان ﷺ يداوم عليه في أفضل الأعمال، وفي أفضل الأركان، وهو سجوده في الصلاة، قال النووي رحمه الله: «فيه توكيد الدعاء، وتكثير ألفاظه، وإن أغنى بعضها عن بعض».[(١)] لأن المطالب المهمة ينبغي للعبد أن يعظم رغبته فيها، وأن يبسطه ويكرره، ويلح فيه، ومن أعظم المطالب سؤال الله تعالى المغفرة، لأن بها زوال الشرور، وآثارها، وتبعاتها، في الدنيا والآخرة.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(٢٧) «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وعمل لا يُرفع، وقول لا يُسمع».

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول:..............[(٢)]

الشرح:

قوله: «اللهم إني أعوذ بك من قول لا يُسمع»: بصيغة المجهول، والقول يشمل

---

(١) شرح صحيح مسلم (٤/٤٢٣).

(٢) صححه الألباني في صحيح موارد الظمآن (٢/٤٥٤) برقم (٢٠٦٦)، وفي التعليقات الحسان برقم (٨٣)، وفي صحيح الجامع (١٢٩٥)، وصحح إسناده العلامة مقبل بن هادي الوادعي في صحيح المسند مما ليس في الصحيحين (١/٨٢) برقم (٨٨).

الذكر، بكل أفراده من: قراءة القرآن، والثناء، والتسبيح، والتهليل، والصلاة على النبي، وعلى هذا فمعنى قوله: (**لا يسمع**) أي: لا يقبل ثوابه، وكذلك يشمل (**الدعاء**)، لا يستجاب، أي: واستعيذ بك يا اللّه من قول لا يستجاب، ولا يقبل، فحكمه حكم عدم السماع، حيث لم يترتب عليه فائدة السماع المطلوبة منه، وهذا كما تقدم لا يكون إلا بفقدان أركانه، وشروطه، فتضمنت هذه الاستعاذة، التوفيق إلى السداد في القول.

قوله: «**وعمل لا يرفع**»: أي: لا يصعد إلى اللّه رب العالمين، وكونه لا يصعد، أي: لا يقبل كسابقه، لفقدانه شروط القبول، من الإخلاص، وما ضاده من الرياء، والسمعة، والشرك، وكذلك من المتابعة للرسول ﷺ، لما فيه من الابتداع، لأنه سبحانه وتعالى يصعد إليه العمل الصالح، قال جل جلاله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ (فاطر)، فمتى توفر هذان الركنان قبله اللّه تعالى، وصعد إليه عن طريق ملائكته.

وقوله: «**وقلب لا يخشع**»: أي: لا يخاف اللّه تعالى، ولا لاستماع كلامه، ولا لكلام رسول اللّه ﷺ ، وهذا القلب القاسي، الذي هو أبعد القلوب، من حضرة علام الغيوب.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(٢٨) «اللهم إني أسألك اليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة».

عن أبي بكر رضي الله عنه أنه خطب الناس فقال: قال رسول اللّه ﷺ: «يا أيها الناس إن الناس لم يُعطوا في الدنيا خيراً من اليقين والمعافاة فسلوهما اللّه عز وجل».[(١)]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «ما من دعوة يدعو بها العبد أفضل من «اللهم إني أسألك المعافاة في الدنيا والآخرة».[(٢)]

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٨)، وصحح إسناده العلامة شعيب الأرنؤوط في المسند (٢١٢/١)، وفي شرح السنة للبغوي (١٧٨/٥).

(٢) صحيح ابن ماجه (٣٨٥١).

المفردات:

اليقين: هو تمام العلم وكماله وهو المنافي للشك والريب.

المعافاة: أن يعافيك اللّه من الناس ويعافيهم منك، أي: يغنيك عنهم، ويغنيهم عنك، وأن يصرف إذ أهم عنك، وأذاك عنهم، فلا يكون يوم القيامة قصاص.[1]

الشرح:

دلت هذه الدعوة على أنها أفضل الدعاء، لأنها جمعت بين عافيتي الدنيا والدين، لأنه ليس شيء يعمل للآخرة يُتلقى إلا باليقين، وليس شيء من الدنيا يهنأ لصاحبه إلا مع العافية، وهي الأمن، والصحة وفراغ القلب، فجمع أمر الآخرة كله في كلمة، والدنيا في كلمة.[2]

ولما كان أعمال الجنان أهم من أعمال الأركان، قُدم في السؤال، فقال: «**اللهم إني أسألك اليقين**» وهو أعلى درجات الإيمان، كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اليقين: الإيمان كله»[3]، وقد ثبت عنه في دعائه: «**اللهم زدنا إيماناً، ويقيناً، وفهماً**»[4] فهو سؤال لأعظم مطالب الآخرة، فإذا رسخ اليقين في القلب، انقطع عن الدنيا، وتعلق بالآخرة، قال سفيان الثوري رحمه اللّه: «لو أن اليقين وقع في القلب كما ينبغي، لطار اشتياقاً إلى الجنة، وهروباً من النار»[5]، قال ابن حجر معلقاً: «فإذا أيقن القلب، انبعثت الجوارح كلها للقاء اللّه عز وجل بالأعمال الصالحة»[6]، واعلم يا عبداللّه أنه على قدر اليقين والإيمان، تكون الرفعة في الدرجات في الجنان، وسؤال اللّه عز وجل «المعافاة» هو: سؤال اللّه تعالى لأعظم مطالب الدنيا والدين، فهي: كلمة جامعة في دفاع اللّه تعالى عن العبد كل الشرور والمهالك، الدنيوية والدينية، الظاهرة،

---

(١) لسان العرب (٧٢/١٥)، والنهاية (٦٢٧)، وحاشية السندي على مسند الإمام أحمد (٢١/١).
(٢) فيض القدير (١٠٦/٤، ٣٤٣).
(٣) سلسلة الآثار الصحيحة (٥٣٦/٢).
(٤) صحح إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (٦٨/١).
(٥) المصدر السابق.
(٦) المصدر السابق.

والباطنة، الحسية والمعنوية، وفي الآخرة: السلامة، والنجاة من كل المكاره، والمساوئ من حال الاحتضار، وفي البرزخ، وفي الصراط، والسلامة من القصاص، والحقوق التي بينك وبين الرب، وبينك وبين الخلق، ولهذا كان هذا الدعاء هو أفضل الدعاء على الإطلاق، بخبر خيرالعباد، لأنها جمعت خيري المعاش والمعاد.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(٢٩) «اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة».

عن سمرة بن أبي أرطاة: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:................[١]

المفردات:

أحسن: الحسن: ضد القبيح، وحسَّنت الشيء تحسيناً: زينه.[٢]

«الخزي»: الذل والهوان، ويأتي بمعنى الهلاك والوقوع في بلية.[٣]

«عاقبتنا»: العاقبة آخر كل شيء.[٤]

الشرح:

قوله: **«اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها»:** يا الله أسألك بأسمائك الحسنى، وصفاتك العلا، أسألك أن تجعل عاقبة كل أمر من أموري حسناً طيباً، فإن الأعمال بالخواتيم، فاجعل كل أعمالنا طيبة مرضية عندك، وثبتنا على ذلك إلى أن نلقاك بأحسن أعمالنا، «وهذا الدعاء من جوامع الكلم، لأنه إذا أحسن الله عاقبة العبد في الأمور كلها، فاز في جميع أموره، ووقعت أعماله مرضية

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٧٥٦٠)، وقال محققه: حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح (٤٤١/١٣)، ورواه الطبراني في الدعاء (١٤٣٦)، وحسَّن إسناده محقق الكتاب محمد البخاري، وحسن إسناده شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان (٩٤٩).

(٢) القاموس المحيط (٢٩٠)، ومختار الصحاح (٨٥).

(٣) المفردات (٢٨١)، النهاية (٢٦٣).

(٤) القاموس (٨٩٢).

مقبولة، وجنَّبه ما لا يرضيه، ووفقه، وسدده، وثبته حتى تحسن عاقبة أموره، وأعظم الأمور وأجلها، وأهمها، حسن خاتمة عمره، فإن ربه على ما ختم له به، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر»[1]. لأن الميت يبعث على ما مات عليه، كما جاءت بذلك الأحاديث.

قوله: «**وأجرنا من خزي الدنيا**»: أي: اعصمنا من مصائب الدنيا، وغرورها، وشرورها، ومن كل ذل، وهوان، وفضيحة فيها، تضمنت هذه الدعوة سؤال اللّٰه تعالى السلامة في الدنيا

قوله: «**وعذاب الآخرة**»: أي أعذنا من جميع أنواع عذاب الآخرة، كما يفيد «إضافة اسم الجنس». فيشمل سؤال اللّٰه تعالى السلامة في البرزخ، وفي الفزع الأكبر، وفي العرصات، والصراط، والمآل.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(٣٠) «اللهم ارزقني حُبك، وحُبَّ من ينفعني حُبهُ عندك، اللهم ما رزقتني مما أحُب فاجعله قوة لي فيما تُحب. اللهم ما زوْيت عني مما أحب، فاجعله فراغاً لي فيما تحب».

عن عبدالله بن يزيد الخطمي رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول:....................[2]

المفردات:

«**زويت**»: صرفت وقبضت.[3]

الشرح:

هذا الدعاء فيه مطلب عظيم، ومقصد جليل، مأمل كل الأنبياء، والمرسلين، والصالحين، وهو سؤال اللّٰه تبارك وتعالى التوفيق إلى محبته سبحانه وتعالى

---

(١) تحفة الذاكرين (٨٧، ٤٤٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٩١) وحسنه، ووافقه عبدالقادر الأرنؤوط في جامع الأصول (٤/٣٤١).

(٣) النهاية (٤٠٥).

«على أكمل الوجوه، وأتمها»[1]، من الأعمال، والأقوال، والأخلاق، والتي هي أعظم المحاب وأجلها على الإطلاق، وإشغال ظاهره، وباطنه إلى هذا المطلب الكبير.

قوله: **«اللهم ارزقني حُبَّك»:** يا اللَّه أسألك أن ترزقني بفضلك حُبَّك، «لأنه لا سعادة لقلبي، ولا لذة، ولا نعيم، ولا صلاح، إلا بأن تكون أحب إليّ من كل شيء مما سواك».[2]

وتضمن هذا الدعاء سؤال اللَّه تعالى أن يرزقه سبحانه محبته، والتي لا يعدلها أي المحاب، فإن اللَّه تعالى إذا أحب عبده، رزقه القبول في المعاش، والنعيم الدائم في المعاد.

ودلَّ قوله: **«ارزقني حُبَّك»:** فيه معنى لطيف وهو: أن الرزق يطلق على رزق الأبدان، وعلى رزق الإيمان، فالرزق نوعان:

الأول: رزق به قوام الأبدان كالأقوات. وهذا يشمل المؤمن والكافر، والبر والفاجر، وحتى البهائم، والذر.

ثانياً: رزق القلوب والأرواح: وهذا يختص به أهل التوحيد والإيمان[3]، وهذا أعظم الرزق، وهو المقصود بهذا الدعاء الجليل، لأنه هو الذي يبقى ولا يفنى، بخلاف الأول، فإنه يبلى ولا يبقى.

قوله: **«وحبّ من ينفعني حبُّه عندك»:** وارزقني حبَّ نبينا محمد ﷺ باتباعه، لا ينفعني عندك إلا حبه، وارزقني حب أنبيائك، وملائكتك، وعبادك الصالحين، فإن محبتهم هي لأجل ابتغاء محبتك.

قوله: **«اللهم ما رزقتني مما أحب، فاجعله قوة لي فيما تحب»:** يا إلهي أسألك

---

(1) مجموع رسائل ابن رجب (١/١٧٨).
(2) تحفة الأحوذي (٩/٩).
(3) اللسان (٣/١٦٣٦)، وتفسير آل عمران لابن عثيمين (١/١٦٥).

ما رزقني مما أحب، من صحة البدن، وعافيته، وقوته ومتاع الدنيا من المال، والأولاد، والجاه، والفراغ، فاجعله قوة وعدة لي فيما تحب، بأن تصرفه فيما تحبه وترضاه، من الطاعة والعبادة، وهذا كله بسط في سؤاله تعالى أن يرزقه من القوة، والقوى الجسمانية، والروحانية، العلمية، والعملية، (في اكتساب محبته جل جلاله).

قوله: «اللهم ما زويْت عنِّي مما أحب، فاجعله فراغاً لي فيما تُحب»: اللهم ما صرفت وقبضت عني من محابي من المال، والأولاد، وزخرف الدنيا، وزينتها، فاجعله سبباً لفراغي بمحابك من الذكر، والفكر، من طاعتك وعبادتك، ولا تشغل قلبي وعقلي عن ذلك أبداً، وذلك أن الفراغ خلاف الشغل، فإذا ذوي عنه الدنيا ليتفرغ بمحاب ربه، كان ذلك الفراغ عوناً له على الاشتغال بطاعة الله تعالى.[1] وهذا في غاية التعظيم والخضوع، والرجاء، بأن يكون شغله الشاغل، وهمه الأكبر، هو محبته عز وجل.

الفوائد:

قد انطوى تحت هذا الحديث عدة مقامات عظيمة: مقام الحب، ومقام التوحيد، ومقام الصبر، ومقام الشكر، ومقام الرضى، ومقام التسليم، ومقام الأنس ومقام البسط، ومقام التمكين وغير ذلك، ولم يجتمع مثلها في حديث قصير إلا قليلاً[2]، فأنت ترى جُل مقامات العبودية قد دخلت فيه.

وفيه ينبغي للداعي أن يكثر من الدعاء حالة صحته وفراغه، وكذلك إذا وجد في نفسه الهمة والنشاط، وأن محبة الأنبياء والعلماء والصالحين، والأصفياء، من أهم الأسباب في نيل محبة الله تعالى.



(١) فيض القدير (٢/١٠٩)، وتحفة الأحوذي (٩/٩-١٠).

(٢) انظر: فيض القدير (٢/١٠٩).

(٣١) «اللهم إني أسألك عيشة نقية، وميتة سويةً، ومرداً غير مُخزٍ ولا فاضح».

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يدعو:................[١]

وفي لفظ: «اللهم إني أسألك عيشة تقيَّة».[٢]

المفردات:

«عيشة نقية»: خالية من الأكدار والمصائب.

«عيشه تقيَّة»: أي: عيشة مملوءة بالاستقامة والصلاح.

«وميتة سوية»: معتدلة.

«مرداً غير مخز»: الخزي: هو الذل والهوان، أي: أسألك مرجعاً إلى الآخرة سالماً من الذل، والعذاب، والهوان.

«ولا فاضح»: غير كاشف للمساوئ والعيوب.[٣]

الشرح:

قوله: «اللهم إني أسألك عيشة نقية»: أي: يا الله بأسمائك الحسنى، وصفاتك الكمال العليا، إنني أتوسل إليك أن تحيني حياة زكية، نقية، مرضية، خالية من الشدائد، والأكدار، خالصة من الشوائب، والمصائب، في هذه الدار.

سأل الله تعالى العيشة النقية: وهي الحياة الطيبة الخالصة عن كل ما يشينها في الدين، والدنيا، لأن النقي من كل شيء خياره، وأطيبه، لأنه لم يشب بما يمحقه، ولا خالطه ما يكدره.

وقوله: «أسألك عيشة تقية»[٤]: وأسألك حياة مليئة بالاستقامة، والصلاح والهدى، على دينك، على الوجه الذي يرضيك في حسن الطاعة، والعبادة.

(١) رواه أحمد في مسنده (١٩٤٠٢)، وحسنه شعيب الأرنؤوط (١٤٤/٢٣)، والحاكم (٥٤١/١) وصححه، ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد إسناد الطبراني جيد» (١٧٩/١٠).

(٢) رواه الطبراني في الدعاء (١٤٣٥)، وحسن إسناده محقق الكتاب (١٤٧١/٣).

(٣) تحفة الذاكرين (٤٣٣) وفيض القدير (١٣٥/٢).

(٤) كما في الرواية الأخرى.

قوله: «وميتة سوية»: أي: وأسألك عند الموت ميتة سهلة معتدلة، لا مشقة فيها ولا شدة، خالية من الأمراض، والأوباء، فلا أرد إلى أرذل العمر، ولا أقاسي مشاق الهرم، وتكون بحسن الخاتمة، بالتوفيق إلى التوبة والأوبة، والتخلص عما يجب عليه التخلص منه، من الحقوق، والواجبات، والختم بصالح العمل، والنطق بالشهادة عند الممات بآخر الكلم.

وقوله: «ومرداً غير مخز ولا فاضح»: وأسألك مرتجعاً إلى دار الآخرة سالماً من الذل، والهوان، ولا كاشف للمساوئ، والمعياب، أمام الأنام.(١)

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(٣٢) «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تُبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تُهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقُوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منَّا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدَّنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا».

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه:.............(٢)

المفردات:

قلما: تستعمل لمعنيين: أحدهما النفي الصرف، والثاني: إثبات الشيء القليل.(٣)

«اقسم»: قسمة ونصيباً.

«خشيتك»: الخشية: خوف مقترن بالتعظيم.(٤)

---

(١) تحفة الذاكرين (٤٣٣)، وفيض القدير (١٠٩/٢)، والتنوير (١٥١/٣)، وشرح كتاب الشبهات للعلامة عبدالقادر بن بدران الحنبلي (٦٣٣).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٥٢٨/١)، وصححه، ووافقه الذهبي، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٤٤٧)، وصححه سليم الهلالي (٥٠٦/٢)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٣٥٠٢)، في صحيح الجامع (١٢٦٨)

(٣) تحفة الأحوذي (١٨/٩).

(٤) المفردات (٢٨٣).

«**متعنا**»: المتاع: انتفاع ممتد الوقت.[1]

«**ما يحول**»: ما يحجب ويمنع.

«**واجعله الوارث منا**»: أي: أبقهما صحيحين سليمين إلى آخر العمر.[2]

تبلغنا: توصلنا.

«**اليقين**»: ارتفاع الريب في مشهد الغيب[3] وهو أعلى درجات الإيمان، فهو رسوخ الإيمان وثباته، دون ريب، ولا شك، فيه ولا تردد.

«**تسلط**»: السلاطة: التمكن من القهر.[4]

الشرح:

هذه الدعوة جامعةٌ لأبواب الخير والسعادة للعبد، في الدنيا والآخرة، والسلامة والنجاة فيهما، ولهذا كان ﷺ نادراً ما يتركها في مجلس من مجالسه المباركة، إلا وقد رطب لسانه بها، وهذا يدل على غاية أهميتها،، فيحسن بالعبد «أن يستكثر من طلبها، ويكرر سؤالها»[5]. وأن يتعلم معانيها، ويعمل بمقاصدها، ويكثر منها، خاصة في مجالسه، اتباعاً واقتداء بالنبي ﷺ.

قوله: «**اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك**»: اللهم اجعل لنا حظاً ونصيباً من خوفك المقترن بالتعظيم لك، ما يكون حاجزاً لنا ومانعاً من الوقوع في المعاصي والذنوب والآثام، وهذا فيه دلالةٌ على أن خشية اللّه، هي أعظم رادع وحاجز للإنسان عن الوقوع في الذنوب، ولهذا كان العلماء هم أكثر خشية للّه، لمعرفتهم وعلمهم باللّه جل وعلا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨﴾ (فاطر)، فكلما ازدادت معرفة العبد باللّه بما له من الأسماء

(١) المصدر السابق (٧٥٧).
(٢) النهاية (٩٦٧).
(٣) العلم الهيب (٥٢٤).
(٤) المفردات (٤٢٠).
(٥) تحفة الذاكرين (٤٤٨).

الحسنى والصفات العُلا[1]، امتلأ القلب خشية منه، وأحجمت الأعضاء والجوارح جميعها، عن ارتكاب المعاصي.

وقوله: «ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك»: ويسر لي من طاعتك ما يكون سبباً لنيل رضاك وبلوغ جنتك العظيمة.

وقوله: «ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا»: أي اقسم لنا من اليقين الذي هو أعلى الإيمان وأكمله، كما قال عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «اليقين هو الإيمان كله».[2]

فهو إيمان راسخ لا يشوبه شك ولا تردد، فالغائب عنده كالمشاهد من قوته لكماله، قال سفيان الثوري رحمه الله: «لو أن اليقين وقع في القلب، لطار اشتياقاً إلى الجنة وهروباً من النار».[3]

أي: ونسألك من اليقين ما يكون سبباً لتهوين المصائب والنوازل التي تحل علينا، واليقين كلما قوي في الإنسان كان ذلك فيه ادعى إلى الصبر على البلاء، لعلم الموقن أن كل ما أصابه وقدره سبحانه لا يخلو من حكمة، ومصلحة، ومع ما فيه من مزيد المثوبة، لأنه من عند الله الحكيم العليم، فيرضى ويسلم، وتكون عليه برداً وسلاماً على قلبه.

وقوله: «ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا»: أي: أبق لي السمع والبصر أتمتع وأنتفع بهما في مدة حياتي، خصهما بالتمتع من الحواس في السؤال، لأنهما الدلائل الموصلة إلى معرفته، وتوحيده سبحانه.

وقوله: «وقوتنا ما أحييتنا»: ونسألك يا إلهي أن تبقى لنا كل قوانا، التي أعظمها

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية المتقدمة: «الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير» التفسير الصحيح (١٧٢/٤)، وهذا من فقهه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. حيث ذكر فرداً منها وهو اسمه سبحانه (القدير) لأنه كلما كانت المعرفة بهما أي: أسمائه وصفاته أتم، والعلم بهما أكمل، كانت الخشية لله تعالى أعظم وأكثر، ولهذا ينبغي الاعتناء بهما أكثر من غيرهما من العلوم.

(٢) سلسلة الآثار الصحيحة (٥٣٦/٢).

(٣) فتح الباري (٦٣/١).

قوة القلب الذي عليه مدار إيماننا ويقيننا، وباقي قوانا الحسية، الظاهرة والباطنة، متمتعين بها مدة حياتنا، حتى نقوم بطاعتك ما دمنا فيها.

وقوله: «واجعله الوارث منا»: اجعل يا اللّه تمتعنا بالحواس والقوى صحيحة وسليمة إلى أن نموت، وقوله «الوارث منا»: هو كناية عن استمرارها إلى آخر الحياة. لأن ضعف وسقوط القوى، في الكبر، يضر العبد في دينه ودنياه.

وقوله: «واجعل ثأرنا على من ظلمنا»: أي وفقنا للأخذ بثأرنا ممن ظلمنا، دون أن نتعدى فنأخذ بالثأر من غير الظالم.

قوله: «وانصرنا على من عادانا»: أي اكتب لنا الظفر والفوز، على من تعدى علينا بغير حق، في أمر ديننا، أو دنيانا، بالحجة والبيان، وبالسيف والسنان.

قوله: «ولا تجعل مصيبتنا في ديننا»: أي: لا تُصبنا بما ينقص ديننا، ويُذهبه من اعتقاد سيئ، أو تقصير في الطاعات، وفعل المحرمات، أو كتسليط الكفار والمنافقين والظلمة، على أهل الدين والإيمان، لأن مصيبة الدين، هي أعظم المصائب، خلاف مصائب الدنيا.

ثم لما كانت الدنيا حقيرة وقصيرة والبقاء فيها ذاهب قال: «ولا تجعل الدنيا أكبر همنا»: أي: لا تجعل أكبر قصدنا وتعلقنا وحزننا لأجل الدنيا، فإن من كان أكبر همه الدنيا كان في معزل عن الآخرة، وفي هذا دليل على أن القليل من الهم لا بُدَّ منه في الدنيا، مرخص فيه.

قوله: «ومبلغ علمنا»: لا تجعل أكثر علمنا وتفكيرنا في أحوال الدنيا كالكافرين، قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾ (الروم).

ومفهوم المخالفة ينبغي أن يكون أكثر همّ العبد ومبلغ علمه في أمور العاقبة، والدار الآخرة، وهذا هو العلم الحقيقي الدائم نفعه.

قوله: «ولا تسلط علينا من لا يرحمنا»: أي: لا تجعلنا مغلوبين مُسلطين من الكفار، والظلمة، والفجرة، ولا تجعلهم علينا حاكمين، فيكونوا سبباً لتعذيبنا في ديننا

ودنيانا. فإن تسليط من لا يرحم، على من لا يقدر على الدفع عن نفسه، من أعظم محن الدنيا، وأشد مصائبها، ويدخل في هذا الدعاء على ملائكة العذاب في القبر، وفي النار، والله سبحانه أعلم».[1]

ولقد حكى الله تعالى في عدة آيات، سؤال الأنبياء والمؤمنين، السلامة من الظالمين والكافرين، كما حكى الله عن موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢١﴾ (القصص) وإبراهيم والذين معه: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ (الممتحنة: ٥) ونبينا محمد ﷺ: ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٩٤﴾ (المؤمنون).

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(٣٣) «اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد»

عن بريده رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول في تشهده:..........

فقال: رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى».[2]

المفردات:

الأحد: اسم من أسماء الله تعالى الحسنى، ومعناه الفرد الذي لا نظير له في ذاته، ولا في صفاته، وأسمائه[3] وأفعاله، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا الله.

الصمد: في اللغه «القصد» وهو من أسمائه تعالى الحسنى، والمعنى المقصود في الحوائج والسؤال في الرغبة والرهبة، الذي كمل في كل أنواع الشرف، والسؤدد.[4]

كفواً: مثيلاً، وشبيهاً، ونظيراً.[5]

(١) انظر: العلم الهيب في شرح الكلم الطيب (٥٢٣ . ٥٢٦) وفيض القدير (١٣٢/٢) والفتوحات الربانية (٢٧٠/٣) وتحفة الذاكرين (٤٤٨)، وتحفة الأحوذي (٢١٨/٩).

(٢) صححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٤٧٥)، وصحيح ابن ماجه (٣٨٥٧).

(٣) انظر: لسان العرب (٢٧٧/١).

(٤) المصدر السابق (٢٤٩٥/٤)، وتفسير ابن كثير (٥٧٠/٤)، والصواعق المرسلة (١٠٢٤/٣).

(٥) تفسير الطبري (٣١٩/١)، تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية (٣٥).

الشرح:

قوله: «**اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله**»: أي: يا الله أسألك سؤال مستيقن، وشاهد شهادة إقرار، بأنك أنت «الله» المتفرد بهذا الاسم الكريم عن كل العالمين، المستلزم لجميع الأسماء الحسنى، والصفات العليا الثبوتية بنوعيها، الذاتية والفعلية، والصفات المنفية: المتصلة، والمنفصله، وهذه مجامع أقسام صفات الرب جل جلاله.

وهذا «قسم استعطافي، أي: أسألك باستحقاقك لتلك الصفات الثبوتية، و(المنفية) السلبية، ولم يذكر المسؤول لعدم الحاجة إليه».[1]

قوله: «**لا إله إلا أنت**»: وأشهد وأقر بأنه لا يوجد في هذا الوجود معبود يستحق العبادة سواك.

قوله: «**الأحد الصمد**»: أي: وأشهد بأنك أنت الأحد، الذي لا نظير لك، ولا شبيه، ولا عديل، الذي توحدت وتفردت بكل الكمالات التي لا تحصى، البابن في أحديتك، جميع الموجودات، المتفرد بالربوبية، والألوهية، عن كل المخلوقات.

قوله: «**الصمد**»: أي: أنك أنت السيد الذي ليس فوقك أحد، فأنت «السيد الذي قد كمل في سؤودده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته...».[2]

وأنت المصمود في الحوائج، المقصود في الرغائب، المستغاث به عند المصائب، المنزه عن صفات المخلوقين، كالأكل، والشرب».[3]

قوله: «**لم يلد ولم يولد**»: هذا تأكيد للصمدية، والوحدانية، فهو لأحديته، وكمال صمديته: لم يلد ولم يولد، أي: ليس له ولد، ولا والد، ولا صاحبة، «وهو الذي لا

---

(١) الفتوحات الربانية (٣/٦٣٦).

(٢) صح عن ابن عباس رضي الله عنهما، انظر تفسير الصحيح (٤/٦٨١).

(٣) انظر: الطبري (٣٠/٢٢٢)، وابن كثير (٤/٥٧) وغيرهما.

يموت، ولا يورث، لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، والله تعالى لا يموت، ولا يورث».[1]

وهذه المعاني من الصفات المنفية، والتي تتضمن كمال ضد المنفي عنه، أي: أنه ﴿لم يلد ولم يولد﴾ لكمال غناه، وعدم حاجته إلى سواه.

قوله: «ولم يكن له كفواً أحد»، أي: ليس له مماثل، ولا شبيه، ولا نظير، ولا عديل يقرب منه، أو يساويه في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وسلطانه بوجه من الوجوه، وهذا النفي كذلك متضمن لكماله تعالى من جميع الوجوه، فهو والذي قبله يسمى نفي منفصل، وضابطه: «تنزيه الله تبارك وتعالى عن أن يشاركه أحد من خلقه في شيء من خصائصه، التي لا تبغى إلا له».[2]

قوله: «لقد سألت الله باسمه الأعظم....»: فيه دلالة أن لله تعالى اسماً أعظم، من ثمراته: أنه من دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى، وفيه دلالة على تفاضل بين أسماء الله تعالى، فهناك اسم أعظم، وهناك اسم عظيم، فأسماء الله تعالى وصفاته العليّة، كلها عظيمة وجليلة، لا نقص فيها ألبتة، وقد بين النبي ﷺ: أن هناك اسماً هو أعظم الأسماء، المذكور في هذا الحديث، والذي قبله، والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(٣٤) «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، المنان، يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حيّ يا قيوم: إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار».

عن أنس رضي الله عنه، أنه كان مع رسول الله ﷺ جالساً ورجلُ يصلي ثم دعا:....................

فقال النبي ﷺ: لقد دعا الله تعالى باسمه العظيم وفي روايه «الأعظم» الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى».[3]

---

[1] صح عن أبي بن كعب رضي الله عنه، انظر: صحيح الترمذي (٣٣٦٤).

[2] انظر: الصفات الإلهية للشيخ أمان الجامي رحمه الله (٦٣)، وشرح القصيدة النونية (٢/٥٧).

[3] رواه أحمد في المسند (١٢٢٠٥)، (١٢٦١١)، وصحح إسنادهما شعيب الأرنؤوط (١٩/٢٣٨) (٢٠/٦١)، والألباني في صحيح النسائي (١٢٩٩)، وصحيح ابن ماجه (٣٨٥٨).

المفردات:

الحمد: هو الثناء بأوصاف الكمال مع المحبة، والتعظيم، فإن كان الثناء عن غير محبة، سُمِّي مدحاً، و«أل» في «الحمد: للاستغراق جميع أنواع المحامد.[1]

المنَّان: من صيغ المبالغة، أي: كثير المن، والعطاء، وهو الإحسان إلى من لا يستثيه، ولا يطلب عليه الجزاء، والمنّة: هي النعمة الثقيلة، أي: صاحب النعم المتتالية دون عوض، ولا غرض[2]، وهو من أسماء اللّه تعالى الحسنى.

بديع السموات والأرض: البديع، المبتدع، يقال: أبدعت الشيء: اخترعته لا على مثال سابق[3]، وهو من أسماء اللّه المضافة.

ذو الجلال والإكرام: ذا الجلال، أي: صاحب العظمة، والكبرياء، يقال: جلّ فلان في عيني، أي: عظم.[4] وهو من الأسماء المضافة كذلك.

والإكرام: هو سعة الفضل، والجود، الذي ليس له حدود.

الحيّ: هو الذي له الحياة الدائمة الكاملة، المستلزمة لجميع صفات الذات، التي لا تنفك عنه تعالى بأي حال.

القيُّوم: القائم بنفسه، المقيم لغيره، فلا قيام لأحد إلا به، وهذا الاسم الكريم مرجع كل صفات الأفعال إليه، التي تقوم بمشيئته، وإرادته، وقدرته[5].

الشرح:

بدأ في هذا الدعاء الجليل بمقدمة من الثناءات على اللّه تعالى، واستحقاقه

---

(١) تفسير سورة الفاتحة لابن عثيمين (٩/١)، وكتاب «الفاتحة أم القرآن وسر الصلاة تفسير وتأمل» لمعالي الشيخ صالح آل الشيخ (٤٤).

(٢) المفردات: (٧٧٧)، واللسان (٤٢٧٧/٧).

(٣) الصحاح (١١٨٣/٣)، والنهاية (٦٧).

(٤) اللسان (١١٦/١١)، وتفسير الطبري (٢٧٨/٢٢).

(٥) انظر: تفسير ابن جرير (٣٨٦/٥) ومجموع الفتاوى (٣١١/١٨)، والتبيان في أقسام القرآن (٢٠٥)، وشرح العقيدة الطحاوية (١٢٥).

للحمد، بكل أقسامه وأنواعه، ما علمها العباد، ومما لم يعلموها، وكذلك إثبات اختصاصه تعالى بالوحدانية، وألوهيته بالعبادة، دون أحد سواه، بقوله: «**لا إله إلا أنت**»، أي: لا معبود بحق إلا أنت، وحدك لا شريك لك في ذلك، ثم شرع في التوسل بجملٍ من أسمائه الحسنى، وأفراد من صفات الجلال العليا، مقدمة بين يدي دعائه تفائلاً ورجاءً، ورغبة في حصول مراده، فجمع في هذا الدعاء العظيم التوسل بالعمل الصالح للّه تعالى، وهو: إقراره بالوحدانية له سبحانه، وإثبات المحامد كلها له تعالى، وتوسلاً بما له من الكمالات التي لا تحصى.

وكذلك: «أنه أقسم قسم استعطافي في قوله: «**إني أسألك**»، أي: أسألك باستحقاقك لتلك المحامد...».[1] رجاء عظيماً في قبول دعوته، لما شملته وتضمنته أسمى مطلوب في اليوم الموعود، وهو: «**الجنة**»، واستعاذة من أعظم مرهوب في ذلك العظيم، وهو «**النار**».

فقال: «**يا بديع السموات والأرض**» أي: يا خالق ومنشأ السموات والأرض من غير أصل، على غير مثال سابق، فأوجدتهما وأبدعتهما في غاية ما يكون من الحسن، والخلق البديع، والنظام العجيب.[2]

قوله: «**يا ذا الجلال والإكرام**» أي: يا صاحب العظمة، والكبرياء، والمجد، المستحق أن يُعظّم ويُجلّ لأجله، «**والإكرام**»، أي: ويا واسع الفضل، والجود، والكرم، تكرم أوليائك، وخواص خلقك، بأنواع الكرم والجود، بما ليس له حدود، ولا مقيد بقيود، الذي له التكريم من جميع أوليائه المؤمنين، فيكرمونه، ويكرمهم، فالجلال: في ذاته، (وصفاته)، والكرامة فائضة منه على خلقه، وفنون إكرامه خلقه لا تكاد تنحصر، وتتناهى.[3]

فالإكرام: بمعنى: التكريم، وهو صالح لأن يكون الإكرام من اللّه تعالى لمن أطاعه، وممن أطاعه له.[4] أي: أولياؤه.

---

(١) التنوير (٢/٣٦٦).

(٢) اشتقاق أسماء الله للزجاجي (٧٣)، وتفسير السعدي (٥/٣٠٣).

(٣) جامع البيان (٢٢/٢١٨)، وتفسير السعدي (٥/٣٠٢)، والمقصد الأسنى (١٢٥).

(٤) شرح الواسطية لابن عثيمين (٢/٣٥١).

قوله: «**يا حيّ**»: يا دائم الحياة، الذي ليس لك ابتداء، وليس لك فناء، ولا انتهاء.

قوله: «**القيوم**»: القائم بنفسك في تدبير خلقك فلم تحتج إلى أحد، وكل الخلق إليك محتاج في كل لحظة، وخطوة، وخطرة، فلابقاء لها، إلا بك.

توسل بهما لأن كل أسمائه تعالى الحسنى، وصفاته العلا الذاتية، والفعلية ترجع إليهما، ولهذا يقرن اللّه عز وجل بهما في كتابه وكذلك في سنة نبيه، «لأن عليهما مدار الأسماء الحسنى كلها، وترجع معانيها إليهما، فهما يتضمنان إثبات صفات الكمال أكمل تضمن، وأصدقه، وانتفاء النقص والعدم عنهما أزلاً وأبداً، فكمال الأوصاف في: «**الحي**»، وكمال الأفعال في: «**القيوم**».[1]

قوله: «**لقد دعا اللّه باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى**»: بمعنى: أنه يعطي عين المسؤول، بخلاف الدعاء بغيره، فإنه وإن كان لا يرد لكونه بين إحدى الثلاث.

(إما أن تعجل، وإما أن تؤجل، أو تدخر إلى يوم الآخر، كل ذلك على مقتضى حكمته تعالى بما يصلح للداعي)، أو أنه قد يفيد أصل التعجيل، أو زيادته، أو كمالاً في المستجاب، أو في بدل المدعو به، أو نحو ذلك.[2]

وقد اختلف العلماء في تحديد اسم اللّه الأعظم، والذي عليه الأكثر هو اسم الجلالة «اللّه»، وهو مروي عن: عبداللّه بن عباس رضي اللّه عنهما، وجابر بن زيد وغيرهما من الصحابة.

قال الطرطوشي: «وبهذا المذهب قال معظم أهل العلم».[3]

وقال الطحاوي: «هذه الآثار قد رويت عن رسول اللّه ﷺ متفقة في الاسم الأعظم، أنه «اللّه» عز وجل».[4]

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/٣١١)، وشرح العقيدة الطحاوية (١٢٥)، والأسنى (٣٧٨).

(٢) الفتوحات الربانية (٣/٦٣٨)، وفيض القدير (١/٥١٠).

(٣) الدعاء المأثور للطرطوشي (٩٧).

(٤) مشكل الآثار (١/٦١ - ٦٢، ١٦١).

وسأذكر بعض أسباب اختيار اسم الجلالة:

١ ـ أنه الاسم الوحيد الذي ورد في كل الأحاديث التي أخبرها بها المصطفى ﷺ، أن فيها اسم اللّه الأعظم.

٢ ـ أنه أكثر الأسماء وروداً في كل الأحاديث التي أخبرها بها المصطفى أن منها اسم اللّه الأعظم.

٣ ـ هو الاسم الجامع لجميع أسماء اللّه الحسنى، المتضمن لسائر صفاته العلا، ولهذا يضيف اللّه إليه أسماءه، قال سبحانه: ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ (الأعراف: ١٨٠)، فيقال: «الرحمن» «الرحيم» من أسماء اللّه.

٤ ـ أنه أكثر ما يدعى اللّه: «اللهم»، ومعناه: يا اللّه، وغير ذلك من الأدلة الكثيرة.[١]

وذهب بعض أهل العلم (ابن السعدي) إلى أن الاسم الأعظم يحتمل أن يكون مجموع الأسماء، بمعنى: أنه مقرون مع غيره من الأسماء، إذا دل على جميع صفاته الذاتية، والفعلية، أو دلَّ على معاني جميع الصفات، ونعوت الجلال، فهذا هو الاسم الأعظم، لما دلّ عليه من المعاني، التي هي أعظم المعاني، وأوسعها مثل «اللّه»، فإنه الاسم الجامع لمعاني الألوهية كلها، وهي جميع أوصاف الكمال (وذكر أسماء أخر).[٢]

فاجتهد رعاك اللّه بهذين الدعائين، فإن الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى قد أخبرك أنه موجود فيهما، وقد أخفى عليك تعينه كما أخفى علينا ليلة القدر، حتى تشد ساعد الجد، في الهمة العالية، والرغبة الصادقة في سؤال ربك تعالى أعظم المنازل، وارفع المراتب الدنيوية، والأخروية، ولا تنسى صاحب هذه الكلمات أن تقتطف له من دعواتك ونصيبك.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(١) مدارج السالكين (١/٣٢)، وانظر بتوسع «الاسم الأعظم» للدكتور عبدالله الدميجي ص ١٣٠، وأسماء الله الحسنى د. عمر الأشقر (٣٣).

(٢) انظر: مجموع الفوائد (٢٥٠)، وفتح الرحيم الملك (٢٦)، وانظر: الفتوحات الربانية (٣/٦٣٧).

(٣٥) «اللهم ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبل السلام، ونجنا من الظلمات إلى النور، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا، وأزواجنا، وذرياتنا، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم، واجعلنا شاكرين لنعمك، مُثنين بها عليك، قابلين لها، وأتممها علينا».

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات:..............

وفي لفظ: أنه كان ﷺ يدعو بهؤلاء الدعوات في آخر قوله، وبها يختم بقوله:...............[١]

المفردات:

ألف: اجتماع مع التئام.

السبل: جمع سبيل وهو: الطريق، ويستعمل لكل ما يتوصل به إلى الشيء خيراً كان أو شراً[٢]. الفواحش: ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال كالزنى.[٣]

الظلمات: أصل الظلمة عدم النور، وهما متقابلان، ثم يعبر بالظلمة عن الشرك، والجهل، والفسق.[٤]

الشرح:

هذا الدعاء عظيم المنافع والفوائد، فيه مطالب مهمة، لهذا كان ﷺ يعلمهم هذه الكلمات كما أخبر عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وكذلك: أنه كان ﷺ يقولها في تشهده الآخير، ويختم بها، وتعظم فائدة هذه الدعوات: حينما يقوم بها العبد داعياً بها، مستحضراً لمعانيها، ودلالتها، عاملاً بلوازمها ومتمماتها من بذل الأسباب، والجد مع

---

(١) رواه أبو داود (٩٦٩)، والحاكم واللفظ له (٢٦٥/١)، وقال: «صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي» (٢٦/١)، وصححه الألباني في الأدب المفرد موقوفاً (٦٣٠)، وأخرجه الطبراني في الدعاء (١٤٢٩، ١٤٣٠) وحسنه محقق الكتاب (١٤٦٨/٣، ١٤٦٩).

(٢) المفردات (٣٩٥).

(٣) النهاية (٦٩٣).

(٤) عمدة الحفاظ (١٢/٣).

الاجتهاد لتحصيلها، «لأن اللّه تعالى جعل المطالب كلها أسباباً بها تنال، وأمر بفعلها، مع قوة الاعتماد على اللّه تعالى...».[1]

قوله: «**اللهم ألف بين قلوبنا**»: يا اللّه: اجمع بين قلوبنا على الخير، واجعل بينها الإيناس، والمودة، والتراحم، لنثبت على الإسلام ونقوى على الإيمان، ونكون على قلب واحد كالجسد الواحد.

قوله: «**وأصلح ذات بيننا**»: أبعد عنا يا اللّه الشحناء، والفراق، والشقاق بين الخصماء، ونكون على المحبة والإخاء، فيما بيننا إلى يوم اللقاء.

قوله: «**واهدنا سبل السلام**»: أي: دلنا ووفقنا على الطريق الذي فيه السلامة من الآفات، والمهلكات، والضلالات، وارشدنا إلى فعل الخيرات، واجتناب المنكرات، حتى نصل إلى دار السلام، في الجنات ﴿ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (الأنعام: ١٢٧).

قوله: «**ونجنا من الظلمات إلى النور**»: أي: انقذنا من ظلمات الدنيا، وهي المعاصي والشرور والآثام، والتي أقبحها: الشرك، والكفران،إلى نور الطاعات والصالحات، والإحسان، والتي أعظمها: التوحيد الخالص، والإيمان، فقد جمع كلمة «ظلمات» ووحد «النور» لأن طرق الشر كثيرة، وطريق الحق واحد، كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ (الأنعام: ١).

قوله: «**وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن**»: أي: أبعد عنا قبائح الذنوب القولية والفعلية، التي تستقبحها كل العقول السليمة، الظاهرة منها والباطنة، مثل: الزنى، واللواط، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ (الأنعام: ١٥١)، فسماها اللّه فواحش لتناهي قبحها. وفيه بيان أن العبد لا قوة له في دفع الشرور والسيئات، إلا باللّه تعالى، لضعف العبد وعجزه.

قوله: «**وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا**»: فيه سؤال اللّه أن توظف هذه الأعضاء في الطاعات، والزيادة في الخيرات. فإن البركة هي: النماء والثبات على الخير، وفي تخصص السؤال بهذه الحواس، لأن هذه الثلاثة هي عمدة الإنسان،

(١) مجموع الفوائد لابن السعدي (٩٨).

وهي طرق الإيمان، والكفر، وهي التي سلب الله سبحانه الكفار الانتفاع بها، وجمع بينهما[1] في قوله: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم﴾ (البقرة: ٣).

قوله: «وأزواجنا وذرياتنا»: بتوفيقهم للطاعات، والإكثار من النسل الطيب فتقر أعيننا بهم في الدنيا والآخرة. فإنه لا أقر لعين العبد إلا أن يرى أهله على الهدى والصلاح.

قوله: «وتب علينا» أي: وفقنا للتوبة، واقبلها، ثم علل طمعه في ذلك بأن عادته جل شأنه التفضل والتطول، فقال:

«إنك[2] أنت التواب الرحيم»: أي: الرجاع بعباده إلى مواطن النجاة، وهو كالتعليل لما قبله[3]، أي: ما سألتك ورجوتك إلا لأنك الموصوف بالتوبة والرحمة.

و«التواب»: اسم من أسماء الله تعالى الحسنى، وهو من صيغ المبالغة، وصف ربنا سبحانه بالمبالغة:

أولاً: لكثرة توبته على عبده، فهو يعصيه ثم يتوب عليه، ثم يعصيه ثم يتوب عليه، مهما تكرر الذنب، وتاب منه العبد، تاب عليه الرب، على طول الزمان، في أي وقت.

وثانياً: على كثرة من يتوب الله سبحانه عليهم من الخلق.

و«الرحيم»: أي: كثير الرحمة، من صيغ المبالغة كذلك: الرحمة هي: العطف، والرأفة، والشفقة، وخصت الرحمة الواسعة بـ(الرحيم) للمؤمنين يوم الدين، أما اسم (الرحمن) فالرحمة الواسعة فيه في الدنيا لكل الخلق أجمعين، للبر والفاجر، والمؤمن والكافر، وحتى البهائم.

وفي الجمع بين الاسمين هنا، وهو من باب التوسل بأسمائه الحسنى، جمع بين الوقاية، والعناية: ففي التوبة: الوقاية من الذنوب وتبعاتها وشؤمها في الدارين.[4]

---

(١) هكذا في الأصل، والأولى بينها، لأنها أكثر من اثنين.

(٢) تقدم بيانه أن «إن» المكسورة المشددة من أحرف التعليل.

(٣) انظر: فيض القدير (٢/١١٨)، والتنوير (٣/١١٨)، وفضل الله الصمد (١/٦٠٩)، وشرح الأدب المفرد (٢/٢٨٢) بتصرف.

(٤) انظر: معاني هذين الاسمين في كتابنا «الجامع» أسماء الله الحسنى جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسنة (٦٤) (٢٩٨).

وفي الرحمة: العناية، وهو دخول جنات اللّه سبحانه الواسعة.

قوله: «**واجعلنا شاكرين لنعمك**»: أي: إنعامك، بأن توفقنا إلى شكر جميع نعمك الدينية، والدنيوية، التي لا تعد ولاتحصى، بأن نشكرها في الليل والنهار، وفي السر والجهار، فإن شكرها يقيض حفظها، ودوامها، وبالكفر بها تزول وتتوارى.

قوله: «**مثنين بها عليك**» «مثنين: من الثناء، وهو المدح، والمراد هنا التحدث بالنعم، كما أمر سبحانه وتعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ (البقرة: ٢٣١) ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ (الضحى).[1]

قوله: «**قابلين لها**»: أي: متلقين لها بالقبول، والرضا، والشكر، وجماع ذلك: اجتناب نهيه[2]، والعمل بأمره.

قوله: «**وأتممها علينا**»: «فيه طلب حفظ النعمة، وتمامها»[3]، وكمالها، وعدم نزعها بسبب التقصير عن شكرها، فتضمن هذا الدعاء: سؤال اللّه تعالى دوام التوفيق بشكر النعم، ولا يكون إلا بطاعة الرحمن، واجتناب الذنوب، والعصيان.

الفوائد:

ينبغي للداعي أن يجعل نصيباً من أدعيته لزوجه وذريته، وأن يدعو بحسن ظن ويقين، كما في قوله: ﴿إنك أنت التواب﴾، وأن يقدم أهم المطالب في السؤال كما في تقديم (السمع) على (الإبصار)، أهمية سؤال البركة وتعميمها، في الأمور الظاهرة والباطنة.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(٣٦) «اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار، وفتنة القبر وعذاب القبر، وشر فتنة الغنى، وشر فتنة الفقر، اللهم إني أعوذ بك من شر فتنة المسيح الدجال».

عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان يقول:..............[4]

---

(١) شرح الأدب المفرد (٢/٢٨٣).

(٢) التنوير (٣/١٢١).

(٣) شرح الأدب المفرد (٢/٢٨٣).

(٤) صحيح البخاري (٨٣٢)، (٦٣٧٧)، ومسلم (٥٨٩).

المفردات:

الفتنة: الامتحان والاختبار من قولهم: فتنت الذهب: إذا اختبرته بالنار لتظهر جودته، واستعملت في الشرع في اختبار كشف ما يكره العبد.

المسيح الدجَّال: الدجَّال على وزن «فعَّال» أي كثير الكذب والتلبيس، وهو من الدجل وهو التغطية وسمي بذلك لأنه يغطي الحق بباطله «والمسيح» هو الممسوحة إحدى عينيه فهو أعور.(١)

الشرح:

هذه الاستعاذات في غاية الأهمية، لتضمنها الاستعاذة من أخطر شرور في الدنيا، والدين، والآخرة، ولهذا كان ﷺ يستعيذ بها في كل صلاة قبل التشهد الأخير، بل كان يأمر بها، ويعلمها الصحابة، كما يعلمهم السورة من القرآن.(٢)

قوله: **«اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار»:** أي: الفتنة التي تؤدي إلى دخول النار، ومنها سؤال خزنتها لأهلها، على سبيل التوبيخ كما قال تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِۖ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٞ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٞ ٨﴾ (الملك).

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٞ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٧١﴾ (الزمر).

قوله: **«وعذاب النار»:** أي: بالإحراق بعد فتنتها.

قوله: **«وفتنة القبر»:** وهو التحير عند سؤال الملكين في القبر، وقد جاء في تسميتهما منكر ونكير(٣)، وهي فتنة عظيمة، لا يثبت عندها إلا المؤمن قال تعالى:

---

(١) المفردات (٦٢٣)، والنهاية (٦٩١)، (٢٩٨)،والفتح (٢/٤١١).
(٢) مسلم (٥٩٠).
(٣) صحيح الترمذي (١٠٧١)، وصحيح الترغيب والترهيب (٣٥٦٠).

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ (إبراهيم)، نزلت في عذاب القبر.[1]

قوله: «وعذاب القبر»: عطف العام على الخاص، فعذابه ينشأ منه فتنة، بأن يتحير في الجواب، فيعذب لذلك كما في الكافر والمنافق، كما ثبت في الأحاديث الصحيحة، وقد يكون لغيرها، كأن يجيب بالحق ولا يتحير، ثم يعذب على تفريطه في بعض المأمورات، أو المنهيات، كإهمال التنزه من البول، والنميمة، والنوم عن الصلاة المكتوبة، وردَّ القرآن وغير ذلك.[2]

وقوله: «وشر فتنة الغنى»: قيد الاستعاذة بالشر، لأنه فيه خير باعتبار، وشر باعتبار آخر، فالاستعاذة من شره يخرج ما فيه من الخير، وشره مثل: البطر، والطغيان، والتفاخر، والاستعلاء، وإزدراء الفقراء، وصرف المال في المحرمات، والشح بما يجب إخراجه من واجبات المال ومندوباته، أو الإسراف، والانخراط في الشهوات.

وقوله: «وشر فتنة الفقر»: أيضاً قيده بالشر كسابقه، ففيه خير وشر، وشره ما ينشأ عنه من حسد الأغنياء، والطمع في أموالهم، والتذلل لهم بما يدنس العرض وينقص الدين ويوجب عدم الرضا بما قسم اللّه به، والسخط، والقنوط لمن لا صبر له يمنعه من ذلك إيمان قوي يدفعه عن ذلك، وقد يدفع إلى التورط بعظائم الأمور بما لا يليق بأهل الدين والمروءه، كالزنى، والقتل، والسرقة، والحرابة.

قوله: «ومن شر فتنة المسيح الدجال»: استعاذ منه ﷺ لأنه هو أعظم الفتن الكائنة في الدنيا، لهذا ما من نبي بعثه اللّه إلا حذر منه قومه وأنذر، قام رسول اللّه ﷺ يوماً في الناس، فأثنى على اللّه بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال: «إني أُنذركموه، وما من نبي إلا وقد أنذر به قومه».[3]

فمن صفاته الخَلْقية أنه أعور العين اليمنى.

---

(١) صحيح البخاري (٤٦٩٩) وصحيح مسلم (٢٨٧١).

(٢) فيض القدير (٢/١٢٧)، ودليل الفالحين (٧/٣٠٩).

(٣) البخاري (٧١٢٢)، ومسلم (٢٩٣٧).

ومن صفاته الخُلقية أنه خداع ويُلبّس الأمور على الناس بالكذب، فهو منبع من منابع الكفر والضلال، ومصدر من مصادر الفتن الكبرى، لما يظهر على يده من الأمور الخارقة، من ادعاء الألوهية، فهو يضل ضعيف الإيمان، وهو من أشراط الساعة الكبرى.[1]

الفوائد:

قال ابن دقيق العيد رحمه الله: «ظهرت العناية بالدعاء بهذه الأمور، حيث أمرنا بها في كل صلاة، وهي حقيقة بذلك، لعظم الأمر فيها، وشدة البلاء في وقوعها، ولأن أكثرها أو كلها، أمور إيمانية غيبية، فتكررها على الأنفس يجعلها ملكة لها».[2]

❃ ❃ ❃ ❃ ❃

(٣٧) «اللهم زدنا ولا تنقُصنا، وأكرمنا ولا تُهنَّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تُؤثر علينا، وأرضنا وارض عنَّا».

عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا نزل عليه الوحي سمع عند وجهه دوي كدوي النحل، فأنزل عليه يوماً فمكثنا ساعة، فسري عنه، فاستقبل القبلة، ورفع يديه وقال:............[3]

المفردات:

آثرنا: الاستئثار الانفراد بالشيء من دون غيره، واستأثر فلان بالشيء: استبد به، وخصَّ به نفسه.[4]

الشرح:

قوله: «اللهم زدنا» يا الله ذا الأسماء الحسنى والصفات العلا زدنا من خيرك وفضلك وعطائك من خيري الدارين، ومن العلوم والمعارف، وفي المراتب، وفي هذا مشروعية طلب الزيادة من نعم الله الواسعة، كما دل «حذف مفعوله الثاني مصدراً

---

(١) انظر: الفتح (٢١٢/١١)، والمفهم (٢٦/٧)، والفتوحات الربانية (٦٣٩/٣) شرح صحيح مسلم للقاضي عياض (٢٠٢/٨)، والتنوير (١٣٥/٣).

(٢) إحكام الأحكام (٨٢٩/٣).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٢٣)، وصحح إسناده أحمد شاكر (٢٦٣/١)، ورواه الترمذي (٣٧١٣) وحسنه الشيخ عبدالقادر الأرنؤوط في تحقيقه «جامع الأصول» (٢٨٢/١١).

(٤) الصحاح (٢٨)، والنهاية (٥٢).



للتعميم، أي: من كل خبر ديني، ودنيوي»[1]، ولما كانت الزيادة ربما تكون في شيء من أمور الدين والدنيا، ويلحق النقص بشيء آخر قال «ولا تنقصنا»: أي لا تذهب منا شيئاً مما أعطيتنا إياه.

قوله: «**وأكرمنا**»: من عطاياك الدنيوية المباركة، ومنها قضاء حاجاتنا في هذه الدار، وأكرمنا في ديننا، ومن أعظم ذلك: التقوى، كما قال سبحانه: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ (الحجرات: ١٣)، وأكرمنا في الآخرة، برفع درجاتنا في الجنان، لأنك أنت أكرم الأكرمين.

قوله: «**ولا تُهنا**»: أي: لا تذلنا بتسليط الكفار والأعداء علينا، بسبب ذنوبنا وتقصيرنا، ولا تهنا برد دعائنا، تضمن هذا المطلب والذي قبله: سؤال اللّه تعالى التوفيق للأعمال الصالحة، وعدم الاقتراف الأعمال السيئة، فإن سبب الإكرام، والخذلان في الدارين، منوط بهما.

قوله: «**وأعطنا ولا تحرمنا**»: قال الطيبي: عطف الأوامر وهي «زدنا، وأكرمنا، أعطنا» على النواهي «لا تنقصنا، ولا تُهنا، ولا تحرمنا» تأكيداً، ومبالغة، وتعميماً، أي: وأعطنا ما سألناك، ومن خير ما لم نسألك، ولا تمنعنا من خيرك وفضلك، ولا تجعلنا من المحرومين.

قوله: «**وآثرنا ولا تُؤثر علينا**»: اخترنا بعنايتك ورحمتك، ولا تؤثر علينا غيرنا فتعزه وتذلنا، ولاتغلب علينا أعداءنا، فإنه من أشد الإيثار على الغير.

قوله: «**وارضنا**»: أي: اجعلنا راضين بما قضيت لنا، أو علينا، بإعطائنا الصبر والقناعة والرضا، والتوفيق للشكر، بما قسمت لنا من الرزق، وفي كل ما هو آتٍ منك، حتى ندرك رضاك.

قوله: «**وارض عنا**»: بجهدنا اليسير في طاعتك، وتقصيرنا في عباداتك، ختم الدعاء بسؤال رضاه الذي هو أعظم مطلب ومرغوب يأمله منك كل مخلوق.[2]

(١) التنوير (٣/١٠٠).

(٢) **انظر**: فيض القدير (٢/١٠٧)، وتحفة الذاكرين (٤٤٥)، والتنوير (٣/١٠٠)، وتحفة الأحوذي (٨/١٤٩) بتصرف.

الفوائد:

يلوح من هذا الدعاء الاستبشار والفوز بالمباغي، ونيل الفلاح في الدنيا والعقبى[1] وفيه بيان أنه ينبغي للداعي أن يعظم رغباته، ويختار في دعواته أجل الألفاظ التي تدل على أوسع المعاني، وفيه مشروعية السؤال الزيادة في الخيرات الدنيوية والدينية والأخروية، على الدوام، وأن الاحتراز في الألفاظ من حسن الدعاء، وكماله. كما في قوله: (زدنا ولاتنقصنا) (اعطنا ولا تحرمنا...).

❃ ❃ ❃ ❃ ❃

(٣٨) «اللهم اغسل خطاياي بماء الثلج والبرد، ونق قلبي من الخطايا، كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي، كما باعدت بين المشرق والمغرب».

عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان يقول:..................[2]

المفردات:

«اغسل»: أي أزل وامحُ.

«الدنس»: الوسخ.

«باعد»: صيغة مفاعلة للمبالغة، أي: المبالغة في طلب السلامة من الذنوب.[3]

الشرح:

هذا الدعاء المبارك فيه سؤال الله تعالى السلامة من الذنوب كلها الظاهرة، والباطنة، والتي هي أعظم الأسباب في ضياع الدنيا والآخرة.

قوله: «اللهم اغسل خطاياي بماء الثلج والبرد»: جمع بينهما مبالغة في التطهير، أي: طهرني منها بأنواع مغفرتك، وخصها لأنها لبردها أسرع لإطفاء حر عذاب النار

---

(١) انظر: فيض القدير (١٠٨/٢)

(٢) البخاري (٦٣٦٨) (٦٣٧٧)، ومسلم (٢٧٠٥).

(٣) النهاية (٦٢، ٦٦٩)، والفتح (٢١١/١١).

التي هي غاية الحر، وجعل الخطايا بمنزلة جهنم لكونها سببها، فعبر عن إطفاء حرارتها بالغسل تأكيداً لإطفائها، وذكر أنواع المطهرات المنزلة من السماء التي لا يمكن حصول الطهارة الكاملة إلا بأحدها، تبياناً لأنواع المغفرة التي لا يخلص من الذنوب إلا بها.

قوله: «ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس»: أي: نظف قلبي من الذنوب، كما ينظف الثوب الأبيض من الوسخ، لأن زوال الوسخ في الثوب الأبيض أظهر بخلاف سائر الألوان، والقصد من هذا التشبيه أن ينظف قلبه من كل الذنوب، كنظافة الثوب الأبيض المنظف من الوسخ، فلا يبقى فيه أي أثر، وخص القلب بالذكر، لأنه هو ملك الأعضاء، واستقامتها باستقامته، والمقصود من تنقيته (من الخطايا): هي الأخلاق الذميمة، والصفات الرديئة، والتي أعظمها: الشرك، والنفاق، وكذلك: من الحقد، والحسد، والكبر، وفيه إيماء إلى أن القلب بمقتضى الفطرة سليم نظيف، وأبيض ظريف، وإنما يتسود بارتكاب الذنوب، والتخلق بالعيوب.

قوله: «وباعد بيني وبين خطاياي، كما باعدت بين المشرق والمغرب»: أي: باعد بيني وبين خطاياي من محو ما حصل من الخطايا السابقة، وترك المؤاخذة عليها، والوقاية والعصمة من الوقوع بها مستقبلاً، وعبر بصيغة المفاعلة «باعد» مبالغة في البعد بينه وبين خطاياه، وشبه ذلك ببعد المشرق والمغرب، أو لأن التقاء المشرق والمغرب مستحيل، فكأنه أراد ألا يبقى لها منه اقتراب بالكلية.[1]

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(٣٩) «اللهم أنت ربي، وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي، يا رب: اغفر لي ذنبي، إنك أنت ربي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أوفق الدعاء أن يقول الرجل:..................[2]

(١) انظر: زاد المعاد (٤/٢٩٣)، وفتح الباري (١١/٢١٢)، وفيض القدير (٢/١٧٢)، والفتوحات الربانية (١/٤٣٨)، وتحفة الذاكرين (١٥٣، ١٦٠)، وشرح النسائي للعلامة الأيتوبي (٤٠/١٧).

(٢) رواه أحمد في المسند (١٠٦٨٢)، وصححه شعيب الأرنؤوط (١٦/٤٠١)، والألباني في السلسلة الصحيحة (١١٢).

المفردات:

أوفق الدعاء: أي أكثره موافقة للداعي.[1]

الشرح:

هذا الدعاء جليل القدر، لتضمنه مقاصد عظيمة، ووسائل جليلة، في طلب أهم المطالب الشرعية، وهي سؤال المغفرة، ولهذا صدره ﷺ في غاية الجلال في الوصف: فقال «أوفق» على وزن (أفعل) للتفضيل: أي: «أكثر موافقة في الإجابة»[2]، وفي حال الداعي، أو: «لطلب المغفرة»[3] لأن الذنوب شرها كان مستطيراً في الدنيا والآخرة، ولما كان العبد لا ينفك عنها في ليله ونهاره، شرع ﷺ في سؤالها تعليماً وإرشاداً إلى أمته إلى ملازمتها، في أجمل ما يكون من الصيغ الطلبية.

قوله: **«اللهم أنت ربي»:** جمع في سؤاله اسم الجلالة الأعظم **(الله)**[4] الجامع لكل الأسماء الحسنى، والصفات العلا، وكذلك الربوبية **(رب)** الجامعة للصفات الفعلية العليَّة كلها، التي من لوازمها ومقتضاياتها القبول والإجابة، وتوسط بينهما «ضمير الفصل (أنت) الذي يفيد التوكيد، والحصر والقصر»[5]، مبالغة في الضراعة والخضوع، واستعطافاً للإجابة، واعطاء المأمول. أي: يا الله أنت إلهي ومعبودي بحق: المربيني على آلائك ونعمك، المالك كل أموري، أخصك وحدك دون سواك، بالألوهيية، والربوبية.

قوله: **«وأنا عبدك»:** إقرار بالعبودية والذل له تعالى، التي هي أجل أوصاف العبودية.

قوله: **«ظلمت نفسي واعترفت بذنبي»:** إقرار بعد إقرار بفقره وعجزه إلى مولاه،

---

(١) فيض القدير (٣/٧٩).

(٢) التنوير (٤/٣٢٠).

(٣) من كلام السندي في حاشيته على المسند (١٦/٤٠٢).

(٤) لأنه كما تقدم أن معنى اللهم «يا الله».

(٥) تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين (١/٣٥٩).

أن يغفر خطاياه، دل ذلك على أن الاعتراف بالذنب، وإقراره للرب، من آكد أسباب في حصول الطلب، فإنه كما سبق من التوسلات الجليلة في السؤال والطلب.

قوله: «**يا رب فاغفر لي ذنوبي**»: ناداه تعالى بالربوبية مرة أخرى، مبالغة في استدعاء الإجابة، أي: يا مالك أموري، القائم على تدبيري، وتربيتي، أسألك أن تستر وتتجاوز عن كل ذنوبي الصغيرة والكبيرة، السرية والعلانية.

قوله: «**إنك أنت ربي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»، «فيه الإقرار بوحدانية الباري سبحانه، واستجلاب للمغفرة بهذا الإقرار».[1] أي: ما سألتك إلا لأنك أنت السيد المدبر، الذي تقدر على ذلك، لا أحد يقدر على ذلك سواك.

(٤٠) «اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي لساني نوراً، واجعل في سمعي نوراً، واجعل في بصري نوراً، واجعل من تحتي نوراً، واجعل من فوقي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن شمالي نوراً، ومن أمامي نوراً، ومن خلفي نوراً، واجعل في نفسي نوراً، وأعظم لي نوراً، وعظِّم لي نوراً، واجعل لي نوراً، واجعلني نوراً».

«اللهم أعطني نوراً، واجعل في عصبي نوراً، وفي لحمي نوراً، وفي دمي نوراً، وفي شعري نوراً، وفي بشري نوراً».[2]

«اللهم اجعل لي نوراً في قبري...، ونوراً في عظامي[3] وهب لي نوراً على نور».[4]

«وزدني نوراً، وزدني نوراً، وزدني نوراً».

عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول في دعائه:...............[5]

(١) شرح سنن النسائي للأثيوبي (١٥/٢٢٨).
(٢) صحيح البخاري (٦٣١٦)، ومسلم (٧٦٣).
(٣) الترمذي (٣٤١٩).
(٤) رواه ابن أبي عاصم في «كتاب الدعاء»، كما نقله ابن حجر في الفتح (١١/١١٨).
(٥) صححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٣٦).

المفردات:

النور: ما يتبين به الشيء، ويظهر، سواء كان حسياً، أو معنوياً.[1]

الشرح:

ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقول هذا الدعاء في أكثر من موضع: إذا خرج إلى الصلاة[2]، وفي سجوده، وبعد انقضاء الصلاة[3]، فيستحب الاقتداء به ﷺ.

وهذا الدعاء العظيم من سيد المرسلين سؤال اللّه تعالى أن يجعل له النور محاطاً به في كُل ذراته الظاهرة والباطنة، وأن يجعله محيطاً به من جميع جهاته، وأن يجعل ذاته الطاهرة وكل جملته نوراً عظيماً، ففيه دلالة على عظم هذا المطلب، وعلو منزلته وقدره في السؤال.

قوله: **«اللهم اجعل في قلبي نوراً»:** سأل اللّه «نوراً» عظيماً في كل عضو كما يفيده التنكير، ويدل على ذلك الخبر عن النبي ﷺ كما تقدم: **«إذا سأل أحدكم ربه، فليعظم الرغبة»** سأل اللّه أن يتجلى القلب بالنور، وهو العلم، والهداية، والمعرفة، والإيمان القوي الثابت، وأن يتعرى عن ظلم المعاصي، والجهالة، وقدم القلب لأنه أعظم الأعضاء، وأهمها، فإذا استنار، فاض نوره على الجسد كله.

قوله: **«وفي لساني نوراً»:** سؤال اللّه أن يجعل في لسانه نوراً في أن ينطق بالحق وسداد القول من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وذكر اللّه تعالى، والمعنى أن يشغل هذه الآلة في طاعة اللّه ومرضاته، في كل أحواله.

قوله: **«وفي سمعي نوراً»:** بأن يشغله كذلك في مرضاة اللّه وطاعته من الاستماع إلى الذكر، والعلم، والبعد عن كل سماع محرم.

قوله: **«وفي بصري نوراً»:** للنظر في آياته الكونية العجيبة، والاشتغال بالعلم، والفكر، والبعد عن النظر إلى كل محرم.

---

(١) انظر: القاموس المحيط (١٣٢٣).

(٢) مسلم (٧٦٣).

(٣) صفة صلاة النبي ﷺ (٢/٧٦٧) للعلامة الألباني، وبهذا رجح ابن حجر كما في نتائج الأفكار (٢٦٦/١).

وخص القلب و(اللسان) والسمع والبصر بـ«في» الظرفية، لعظم شأن هذه الأعضاء، والتي خلقت من أجل استعمالها في مرضاة اللّه تعالى وطاعته، وعبادته.

قوله: «**اجعل من تحتي نوراً ومن فوقي نوراً وعن يميني نوراً وعن شمالي نوراً، ومن أمامي نوراً ومن خلفي نوراً**» سأل اللّه تعالى أن يكون محفوفاً بالنور العظيم من كل الجهات، في كل الأوقات، فكأنه سأل أن يزج فيه النور زجاً لتتلاشى عنه الظلمات من كل مكان، وتتكشف له المعلومات، من كل الجهات، وأن يكون محفوظاً من كل المهلكات والضلالات، وأن يجعل تقلبه وتصرفه في هذه الجهات على سبيل الحق، والهدى.

قوله: «**واجعل في نفسي نوراً**»: عطف العام على الخاص، أي: اجعل لي نوراً شاملاً للأنوار السابقة وغيرها.

قوله: «**وأعظم لي نوراً وعظّم لي نوراً**»: أجزل لي من عطائك نوراً عظيماً لا يكتنه كنهه، لأكون دائم السير والترقي في أنوار المعارف، لا ينقطع مسيري، ولا يضل سبيلي.

قوله: «**واجعل لي نوراً**»: طريقاً أتمسك وأهتدي به إلى معارف الحق والهدى.

قوله: «**واجعلني نوراً**»: في ذاتي، وفي نفسي.

قوله: «**واجعل في عصبي نوراً، وفي لحمي نوراً، وفي دمي نوراً، وفي شعري نوراً وفي بشري نوراً**»: أي: منصرفاً إلى القوت الذي به يتغذى البدن، ومنه تستمد هذه الأعضاء قواها،فهذا السؤال يتضمن أن يتخلل النور في كل جزء فيه، ليكون باطنه وظاهره نوراً.(1)

وقوله: «**اللهم اجعل لي نوراً في قبري**»: أي: وأسألك أن تنور لحدي، الذي هو محل الظلمة، والتنوير في القبر يتضمن النعيم فيه كما جاءت بذلك الأحاديث.

(1) انظر: فتح الباري (١١/١٤١)، والمفهم (٢/٣٩٥)، وشرح مسلم للنووي (٦/٤٥)، وشأن الدعاء (١٤٤)، وشرح مصابيح السنة (١/٣٩٤)، وتحفة الأحوذي (٨/٤٢٠)، وفضل اللّه الصمد (٢/٤٤)، وفيض القدير (٢/١٣٦).

قوله: «وزدني نوراً، وزدني نوراً، وزدني نوراً»: ختم الدعاء بسؤال الله في الزيادة في النور ثلاث مرات مبالغة في تأكيد مطلوبة، وهذا من الإلحاح الذي يرجى معه الإجابة، وهذا يدل على شدة العناية في سؤال الله الترقي في الزيادة بالنور منه.

والحكمة في سؤال الله الأنوار في كل عضو من أعضاء جسمه، بل في كل أجزائه وأحواله، وتصرفاته، وتقلباته، وجهاته، بهذا التفصيل، مع أنه كان يمكن الإجمال بما هو أعم، وأخصر، كأن يقال: اجعل لي في كل جزء من أجزاء البدن نوراً، وحطني بنور؟ فلوجيء بذلك لم يحصل له إلا نور واحد يوزع على الأجزاء، وأما عند التفصيل فيحصل لكل عضو نور تام، وغير ذلك أن الدعاء عبادة، والثواب على قدر المشقة، فكلما أكثر منه زاد الأجر والثواب.

وفي تفصيله ﷺ في سؤال ربه تعالى النور في كل عضو من أعضائه الظاهرة والباطنة، بل البدنية والمعنوية، وفي تصرفاته وتقلباته، وكل حالاته، حتى يتحلى كل عضو بأنوار المعرفة والهداية، والطاعة، فإن كل عضو من أعضائه محتاج إلى الهدى لما خلق له بالتثبت والتأييد، وحتى يتعرى عن الظلم والجهالة والضلالة، فإن الشيطان يأتيه من الجهات الست بالوساوس والشبهات، ولا مخلص عن ذلك إلا بأنوار تستأصل شأفة تلك الظلمات، فبهذا النور يميز العبد بين الحق والباطل.[(١)]

ولا مانع من حمل هذه الأنوار على ظاهرها، يُستضاء بها من ظلمات يوم القيامة، وهي أيضاً متضمنة العلم والهداية والمعرفة للحق في الدنيا، فجمع هذا الدعاء العظيم الجليل بين الأنوار الروحية والمعنوية، والحسية، والدنيوية والبرزخية، والأخروية، فمن الأول: كما قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ (الأنعام: ١٢٢) وفي الآخرة يكون النور محاطاً بالمؤمن ويطلب المنافقون من المؤمنين منه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ

(١) شرح صحيح مسلم للقاضي عياض (١٢٦/٣)، وفضل الله الصمد (٤٥/٢)، وحاشية السندي على المسند أحمد (١٦٢/٣)، بتصرف.

(١٣) ﴿ (الحديد: ١٣) وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾ (التحريم: ٨).

ففي أثر عبدالله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**يجمع الله الناس يوم القيامة... إلى أن قال: فيعطون نورهم على قدر أعمالهم، وقال: فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطى نوره نحو ذلك...**» الحديث.[1]

فتضمن مما تقدم أن سؤال الله النور يعم في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا النور المعنوي، الذي يميز الإنسان بين الحق والباطل، ويوظف كل عضو في طاعة ربه، وفي الآخرة النور الحسي، الذي يستضيء به في البرزخ، وفي الصراط.

الفوائد:

أن أولى الحواس في السؤال هو القلب، لعموم المنفعة الحاصلة به الظاهرة والباطنة. «ولأنه أمير البدن، وهو الذي يستعمل سائر الأعضاء، وهي على إرادته تتصرف، فإذا استنار القلب، انبث نوره في سائر البدن، وفاض على جميع أجزائه».[2] أن كل العباد حتى الأنبياء محتاجون إلى ربهم عز شأنه في إسباغ النور عليهم في كل أحوالهم الحسية والمعنوية. أهمية هذا المطلب فإن منافعه وآثاره تكون في الدنيا والآخرة. إن المطالب المهمة ينبغي أن يكثر منها الداعي تنويعاً، وتبسيطاً، وتطويلاً، وتكريراً، فإنها أرجى في الإجابة، وأكمل في العبادة.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(٤١) «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن، والبخل، والهرم، والقسوة، والغفلة والعيلة، والذّلة، والقلّة، والمسكنة، وأعوذ بك من الفقر والكفر والشرك، والفسوق، والشقاق، والنفاق، والسمعة والرياء، وأعوذ بك من الصمم، والبكم، والجنون والجذام، والبرص، وسيئ الأسقام».

عن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ يدعو يقول:.........[3]

(١) صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٩١).

(٢) شأن الدعاء (١٤٦).

(٣) صححه الألباني في صحيح موارد الظمآن (٢/٤٥٦)، (٢٠٧٢)، وصحيح الجامع (١٢٨٥).

الشرح:

استعاذ ﷺ من آفات البدنية، وآفات الدينية، العلمية، والعملية، السرية، والعلنية، الخَلّقية والخُلقية، لما ينشأ عنها من المفاسد في الحياة الدنيوية، والأخروية، ولهذا توافرت الاستعاذات في السنة النبوية ﷺ منها لشدة خطورتها، وسوء مآلها.

فبدأ بأول هذه الاستعاذات:

قوله: «**العجز**»: تقدم في حديث رقم (٤)، معناه: وهو تخلف العبد عن أسباب الخير لسلب قدرته وقوته، واستعاذته من ﷺ لأنه يمنع من أداء الحقوق الواجبة عليه الدينية والدنيوية، وعجزه عن القيام بمهمات العبادات الناشئة عن ارتكاب الذنوب، لأنها توجب لمرتكبها توالي العوائق، وتسابق الموانع إليه، وقد ذم اللّه جل وعلا العاجز في كتابه، وضرب فيه مثلاً للعبرة، والاتعاظ، قال عز شأنه: ﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ ﴾ (النحل: ٧٥).

قوله: «**الكسل**»: وهو تخلف العبد عن أسباب الخير مع وجود القدرة وإمكان فعله، وهي صفة ذميمة تدعو إلى التثاقل عما لا ينبغي التثاقل عنه، بسبب عدم انبعاث النفس إلى الخير، إيثاراً لراحة البدن، فيضيع على العبد كثير من المنافع الدنيوية، والشرعية، وقد ذم سبحانه وتعالى المنافقين، وذكر من صفاتهم الكسل: ﴿وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ٥٤﴾ (التوبة).

قوله: «**البخل**»: صفة ذميمة، تمنع صاحبه من إنفاق الحقوق المالية عليه، كالزكاة، والضيافة، والإنفاق على من يعول،والحقوق القولية، كعدم الصلاة على النبي ﷺ ، وعدم الرد على السلام.

قوله: «**الجبن**»: الخوف من العدو الشامل للصورى، وهو: الكافر، والمعنوي: النفس والشيطان، يمنعه المحاربة، أو يحمله على الموافقة، فبسببه يفوت عليه أجل الطاعات، وأفضل أعمال الصالحات، كالجهاد في سبيل اللّه، والصدع بالحق من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ونصرة المظلوم، وغير ذلك مما لا يحصى.

قوله: «الهرم»: كبر السن المؤدي إلى تساقط القوى، ومن اختلال العقل، والحواس، وتشوه المنظر، والعجز عن القيام بكثير من الطاعات والتساهل في بعضها، وقد يصبح ثقيلاً على غيره. فيكون كالطفل في المهد والعياذ بالله.

قوله: «القسوة»: غلظة القلب، وصلابته، بحيث لا يقبل الموعظة الحسنة، ولا يخاف العقوبة، ولا يرحم من يستحق الرحمة، كما حكى الله تعالى عن بني إسرائيل: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ (البقرة).

قوله: «الغفلة»: وهي: غيبة الشيء عن البال، وذهول عن الخير، وعدم تذكره، والتنبه لما ينبغي التنبه له، مما يجب على العبد، ويحرم عليه، واستعمل في تاركه إهمالاً وإعراضاً، كما قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ١﴾ (الأنبياء).

قوله: «العيلة»: بفتح العين المهملة، وهي الفاقة، والحاجة، وعدم القدرة على القيام بما يحتاج إليه، هو، ومن يعوله.

قوله: «الذلة»: بالكسر، الهوان على الناس، ونظرتهم إليه بعين الاحتقار، والاستخفاف، وهي ضد العزة.

قوله: «المسكنة»: قلة المال، وسوء الحال، وهي الخضوع والذلة، لما يعرض عن الحاجة.

قوله: «الفقر»: أصله كسر فقار الظهر، وهو خلو اليد من المال.

قوله: «الكفر»: أصله الستر، وهو عدم الإيمان بالله، وهو نوعان: اعتقادي، وهو أنواع منه: كفر العناد، وكفر الجحود، وكفر عناد، وكفر استكبار، والنفاق، وهو مخرج عن الملة، والنوع الثاني: كفر عملي، وهو كذلك أنواع: مثل إتيان المرأة وهي حائض، أو في دبرها، وأورده عقب الفقر لأنه قد يفضي إليه.

قوله: «الشرك»: وهو نوعان كذلك: النوع الأول: الأكبر: وهو أن يجعل مع الله نداً، أو شريكاً، في ربوبيته، أو في ألوهيته، أو في أسمائه وصفاته، وهو الشرك الأكبر المخرج عن الملة، والعياذ بالله تعالى. والنوع الثاني: الأصغر مثل الرياء، والحلف بغير

اللّه، وهو ما ورد في النصوص تسميته شركاً، ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر، أو هو: كل وسيلة قولية، أو إرادية، أو فعلية، توصل إلى الشرك الأكبر، وهو غير مخرج عن الملة، وهو من الكبائر كذلك.

قوله: «**الفسوق**»: الخروج عن الاستقامة بارتكاب المعاصي، والوقوع في المحرمات.

قوله: «**الشقاق**»: وهو: الخلاف والتنازع، ومخالفة الحق، وأصله: أن يصير كل واحد من المتنازعين في شق وناحية أخرى، وهو من أعظم الأسباب في تمزيق الأمة، وتشتيت شمل الإخوة، فتحصل بسببه العداوة والبغضاء، مما يؤدي إلى ضعف القوة، ووهن الأمة، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ (الأنفال).

قوله: «**النفاق**» وهو إظهار عكس ما ينطوي عليه القلب، وهو نوعان: نفاق اعتقادي: وهو أن يظهر الإيمان ويبطن الكفر، وهو مخرج عن الملة، والعياذ باللّه، ونوع عملي: كالإخلاف في الوعد، والكذب، وخيانة الأمانة. والغدر، والفجور في المخاصمة، وهو نفاق أصغر.

قوله: «**السمعة**»: بضم السين، التنويه بالعمل ليسمع الناس، ويشتهر بذلك فيما بينهم، فلا يعمله للّه خالصاً.

قوله: «**والرياء**»: بكسر الراء والمد، إظهار العبادة ليراها الناس فيحمدوه، ولا يريد بذلك وجه اللّه، وذكر هذه الخصال، لكونها أقبح خصال الناس، فاستعاذته ﷺ منها إبانة عن قبحها، وزجر الناس عن التخلق بها، بألطف وجه، وأحسن عبارة.

قوله: «**الصمم**»: بطلان السمع، أو ضعفه.

قوله: «**البكم**»: بالتحريك، هو الخرس. وعدم استطاعته النطق بالكلام.

قوله: «**الجنون**»: زوال العقل، الذي هو منشأ الخيرات العلمية، والعملية.

قوله: «**الجذام**»: علة تسقط الشعر، وتفتت اللحم، وتجري الصديد منه، مما ينفر الناس منه لبشاعته، والقذارة فيه.

قوله: «البرص»: علة تحدث في الأعضاء بياضاً رديئاً، مما تغير الصورة والشكل.

استعاذ النبي ﷺ من هذه الأمراض مع أن في الصبر عليها مزيد الأجر، خشية من ضعف الطاقة عن الصبر، والوقوع في الضجر، فيفوت به الأجر.

ثم عمم بعد تخصيص المذكورات بالاستعاذة فقال: «سيئ الأسقام»: أي الأمراض الفاحشة الرديئة الخطيرة، كالفالج، والسل، والأمراض المزمنة، كأمراض هذا الزمان، مثل السرطان، وأنواعه، والإيدز، وغير ذلك. ولم يستعذ ﷺ من سائر الأسقام من الأمراض لأن منها: ما إذا تحامل الإنسان فيها على نفسه بالصبر، خفت مؤنته، مع عدم إزمانه، كالحمى والصداع والرمد، وغير ذلك.

وإنما قيد الاستعاذة بسيئها وهو السقم الشديد المزمن، لأن الأمراض مطهرة للآثام، مرقاة مع الصبر للأنام، فأراد ألا يسد باب الأجر خصوصاً وقد جاء أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأولياء. فالنفوذ من جميع الأسقام ليس من دأب الكرام، وكذلك إنما خصها بالاستعاذة، لأنه ينتهي بصاحبه إلى حال يفر منه الحميم، والصديق، ويقل معه الأنيس، والجليس، والمداوي ويقل معه العمل الصالح، أو يحصل عدم الصبر والعياذ بالله، مع ما يورثه الشين.

والاستعاذة من «سيئ الأسقام»: مع دخول الثلاثة «الجنون والجذام والبرص»، فيه هو من عطف العام على الخاص، لكونها أبغض شيء إلى العرب، لما تُفسد الخِلْقة، وتغيّر الصورة، وتورث الآفات والعاهات، لهذا عدوا من شروط الرسالة: السلامة من كل ما ينفر الخَلق ويشوّه الخُلق.[1]

الفوائد:

دل هذا الدعاء الجليل على جواز الدعاء بما يشاء على التفصيل، والجملة.[2]

وفيه: أن الشارع الحكيم أمر بسؤال العافية من كل بلاء قبل حلوله، والصبر على ما يقع من البلاء عند نزوله.[3]

(١) شأن الدعاء، (١٧٢)، وفيض القدير (٢/١٢٢، ١٥٠)، والفتوحات الربانية (١/٦٧٧، ٧٠٧)، (٣/٦٤١)، وتحفة الذاكرين (٤١٨)، ودليل الفالحين (٧/٣١٧)، والتنوير (٣/١٢٦ - ١٢٧).

(٢) شرح صحيح مسلم للقاضي عياض (٨/٢٠٣).

(٣) الفتوحات الربانية (٣/٦٤٢).

وأنه يشرع الاستعاذة من الشرور بذكر أوصافها على سبيل الأفراد، والتعميم، وأن الشرور الخطيرة، يندب تكرار الاستعاذة منها.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(٤٢) «اللهم إني أعوذ بك من الهدم، وأعوذ بك من التردِّي، والغمّ، والغرق، والحرق، والهرم، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموتَ، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مُدبراً، وأعوذ بك أن أموت لديغاً».

عن أبي يسر أن رسول الله ﷺ كان يدعو:............[1]

المفردات:

الهدم: بسكون الدال، أي: سقوط البناء، ووقوعه على الشيء.

التردي: السقوط من مكان عال، إلى مكان منخفض، كالوقوع من شاهق جبل، أو في بئر.

الغرق: بفتح الغين والراء، الموت غرقاً بالماء[2].

الغم: ألم يصيب القلب في الحاضر، بسبب الحزن، فيغمّ القلب، أي: يستره ويُغشّيه.

وهو مجهد للقلب، والعقل، والجسد.[3]

الحرق: الالتهاب بالنار.

يتخبطني: «الخبط: الضرب على غير استواء، كخبط البعير الأرض بيده، والرجل والشجر بعصاه، والمقصود هنا: صرع الشيطان واللعب به».[4]

مدبراً: المولى دُبره، المنهزم في الجهاد.

---

(١) صححه الألباني في صحيح النسائي (٥٥٣٢)، وصحيح أبي داود (١٥٥٣).

(٢) الفتوحات الربانية (١٤٣/٣) وفيض القدير (١٤٨/٢).

(٣) عمدة الحفاظ (١٧٤/٣).

(٤) المفردات (٢٧٣)، والنهاية (٢٥٣).

الشرح:

استعاذ ﷺ من هذه لأمور مع ما فيها من نيل الشهادة، كما دلت على ذلك الأحاديث، لأنها مجهدة، مغلقة، لا يثبت المرء عندها، فربما استزله الشيطان، فحمله على ما يخل بدينه، ولأنه يعد فجأة ومؤاخذة أسف، ولأنها في الظاهر مصائب ومحن وبلاء، يثاب ويؤجر عليها، حتى لو كانت شوكة، كالأمراض السابقة المستعاذ منها.

ومع ذلك فالعافية أوسع، مع أن ظاهر هذه المذكورات مشعر بالغضب صورة، والفرق بين الشهادة الحقيقية، وبين هذه الشهادة، أن الشهادة الحقيقية متمنى كل مؤمن ومطلوبه، وقد يجب عليه السعي لها في بعض حالات القتال، بخلاف هذه الأمور، يجب التحرز عنها، والسعي لعدم الوقوع فيها، ولو سعى فيها لعصى، لأن الموت حينها يكون بغتة، دون توبة، ورد للمظالم، وإقرار للوصية، وعدم النطق بالشهادة، لما يفجؤه من فزع وهلع، وما يدهمه من الخوف.

قوله: **«والغمّ»:** وهو شدة الهم والحزن في القلب، في زمن الحاضر، لما فيه وقع شديد على البدن، والعقل والنفس، فيضيع على المرء مصالح عديدة، دنيوية، وشرعية، وهو من أعظم الأسباب في حصول الأمراض النفسية، والبدنية.

قوله: **«وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت»:** أي: أعوذ بك أن يصرعني، والشيطان يلعب بي، ويفسد ديني، أو عقلي عند الموت، بنزغاته التي تزل بها الأقدام، وتصرع العقول، فقد يستولي على المرء عند فراق الدنيا فيضله، فيحسِّن له ما هو قبيح، ويقبح له ما هو حسن، أو يمنعه من التوبة، أو عن مظلمة بالتحلل منها، أو ييئسه من رحمة الله، أو يُكرهّه في الموت والدار الآخرة، ويؤسفه على الحياة، ويمنع عنه النطق بالشهادة، وغير ذلك من الضلالات، التي تكون في أخطر الأوقات.[1]

قوله: **«وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبراً»:** أي: أعوذ بك أن أموت في حال

---

(١) فيض القدير (١٤٨/٢)، والفتوحات الربانية (٦٤٢/٣)، وحاشية السندي على مسند أحمد (٢٨٣/٢٤)، بتصرف يسير.

هروبي من قتال أعدائك، فاراً من الزحف أثناء الجهاد في سبيلك، وهو من الكبائر الموبيقات، كما جاء في الصحيح.

قوله: **«وأعوذ بك أن أموت لديغا»**: أي: أعوذ بك أن أموت عقب لدغ ذوات السم، كالحية والعقرب وغيرهما، فيكون من قبيل موت الفجأة، فلا يستطيع إعداد الوصية، والتوبة، وقد يتأخر موته فينشغل بالألم الشديد من شدة اللدغ، ولا يخفى ما في أهمية هذه الاستعاذات لما فيها من الشرور والمساوئ الحسية، البدنية، والمعنوية، في حياة المؤمن، وهو يشاهد ويسمع من وقع فيها، فإنها أمور مفزعة، ومقلقة، فينبغي التوخي عنها قدر الاستطاعة، ببذل الأسباب، والاستعانة بالله جل وعلا بالدعاء.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(٤٣) «اللهم كما حسَّنت خَلقي، فحسِّن خُلُقي».

عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:................[١]

المفردات:

أحسنت: الحُسْن: عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه، والحسن أكثر ما يقال في تعارف العامة في المستحسن بالبصر يقال: رجلٌ حسنٌ وحُسّانٌ، وامرأة حسناء وحُسّانة، وأكثر ما جاء في القرآن من الحسن، فللمستحسن من جهة البصيرة، قال تعالى: ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ (الزمر: ١٨)، والإحسان يقال على وجهين: أحدهما: الإنعام على الغير، يقال: أحسن إلى فلان، والثاني: إحسان في فعله، قال تعالى: ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾.[٢] ومن أسمائه تعالى الحسنى الكريمة «المحسن».

---

(١) أخرجه أحمد برقم (٣٨٢٣)، وصححه العلامة أحمد شاكر، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٠٧)، وفي إرواء الغليل (١/١١٣)، برقم (٧٤)، وفي صحيح موارد الظمآن (٢/٤٤٩)، برقم (٢٠٥٦).

(٢) المفردات (٢٣٦).

الشرح:

قوله: «**اللهم كما أحسنت خلقي**»، أي: يا اللّه كما جعلت خلقي مستقيماً معتدلاً في غاية الإحسان، والإتقان، أسألك أن تحسِّن أخلاقي فتكون في غاية الحسن، والكمال، كهيئة خلقي، فيحسن ظاهري، وباطني «لأقوى على أثقال الخلق، والتخلق بتحقيق العبودية، والرضى بالقدر».[1]

سأل اللّه تعالى أن يحُسِّن خُلقه كما أحسن خلقته، فإن ذلك أدعى لقبول الناس له بالموعظة، والإصلاح، والدعوة، والتعليم، والمخالطة له، وهذا الدعاء المبارك فيه توسل إلى اللّه تبارك وتعالى بصفة الإحسان الفعلية المشتقة من اسمه الجليل «المحسن»، فهو تعالى المحسن الذي أحسن كل شيء خلقه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**الذي أحسن كل شيء خلقه**﴾ (السجدة: ٧).

وقوله: «**كما حسَّنت**»: فيه توسل آخر جليل، وهو توسل بنعمه، وعوائده، الجميلة السابغة، فـ«توسل بالإحسان السابق، إلى طلب الإحسان اللاحق كما قال زكريا عليه السلام: ﴿**ولم أكن بدعائك رب شقياً**﴾» (مريم: ٤).[2]

فجمع بين توسلين عظيمين قبل الدعاء، لما يترب عليهما من الاستجابة والعطاء.

وسؤال النبي ﷺ أن يُحّسن خلقه تعليما له ولأمته في سؤاله، لما له من شأن عظيم، وفضل كبير، وموقع جليل في قلوب العباد، فقد جاءت الأحاديث الكثيرة في بيان فضله، وعلو شأنه: فعن عبداللّه بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما قال: لم يكن رسول اللّه صلى اللّه فاحشا ولا متفحشا، وكان يقول: «**إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً**».[3]

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «**ما من شيء أثقل في ميزان**

(١) فيض القدير (٢/١٢٠).

(٢) التنوير (٣/١٢٣).

(٣) البخاري (٣٥٥٩)، ومسلم (٢٣٢١).

المؤمن يوم القيامة، من حسن الخلق».[1]، وهو من أعظم الأسباب في القرب من النبي ﷺ قال: «**إن من أحبكم إلي، وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا**».[2]

وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة في فضل حسن الخلق.

«وحسن الخلق يكون مع اللّه تعالى، ويكون مع عباد اللّه، فحسن الخلق مع اللّه تعالى: يكون الرضا بحكمه شرعا وقدرا، وتلقي ذلك بالانشراح وعدم التضجر، وعدم الأسى والحزن، وحمده وشكره على بلائه ونعمائه سرا وعلنا، وحسن الخلق مع الخلق هو كف الأذى، وبذل الندى، وطلاقة الوجه.

كف الأذى: بألا يؤذي الناس لا بلسان، ولا بجوارحه.

وبذل الندى: يعني العطاء، من مال، وعلم، وجاه، وغير ذلك.

وطلاقة الوجه:أن يلاقي الناس بوجه منبسط.[3]

الفوائد:

دل هذا الدعاء المبارك على أهمية التوسل إلى اللّه تعالى بأفعاله المشتقة من أسمائه الحسنى، فإنه يتوسل بها في الدعاء، كما يتوسل إليه بأسمائه.

مشروعية الدعاء بضرب الأمثلة الحسية، على الأمثلة المعنوية.

أهمية التوسل إلى اللّه تعالى بسابق إحسانه، وآلاءه وإنعامه، وفيه فضيلة حسن الخلق، حيث خُصّ بالدعاء والسؤال.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) صححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٠٠٢) وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة (٨٧٦)، وفي صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٤١).

(٢) صححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٠١٨) وفي التعليقات الحسان (٤٨٢)، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧٩١).

(٣) شرح رياض الصالحين للعلامة ابن عثيمين رحمه الله (٢/٢٤١).



(٤٤) «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق، والأعمال، والأهواء، والأدواء».

عن زياد ابن علاقة عن عمه قال: كان رسول الله ﷺ يدعو بهؤلاء الدعوات:.............[١]

وفي رواية: كان رسول الله ﷺ يدعو بهؤلاء الكلمات:

«اللهم جنبني مُنكرات الأخلاق، والأهواء، والأسواء، والأدواء».[٢]

المفردات:

المنكرات: ضد العرفان، والمنكر: كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه، والشريعة في تحريمه.

الأهواء: جمع هوى، وهي الزيغ، والانهماك في الشبهات، والشهوات.

الأدواء: جمع داء، وهو السقم والمرض.

الأسواء: السوء: وهو كل ما يغمُّ الإنسان من الأمور الدنيوية، والأخروية، ومن الأحوال النفسية والبدنية والخارجية، ويعبر عن كل ما يقبح بالسوآى.[٣]

الشرح:

هذه الدعوة المباركة في غاية الأهمية، وذلك أنها تتضمن الاستعاذة من جميع الشرور والمهلكات الدنيوية، والدينية، العلنية والسرية، الحسية، والمعنوية، والخُلُقية.

قوله: «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق»: يا اللَّه أجرني من جميع الأخلاق السيئة التي تستقبحها وتنكرها في شرعك المطهر، وكذلك ما استقبحتها العقول، والفطر السليمة من عبادك، كالحقد، والحسد، والبخل، والجبن، وسوء اللسان، من السب، والشتم، والقذف، والتعدي بالجوارح بالضرب باليد، أو الرجل، فإن الأخلاق المنكرة سبب لجلب كل شر، ودفع كل خير.

---

(١) أخرجه ابن أبي العاصم في السنة (١٣)، وصحح الألباني إسناده (١٢)، وفي صحيح الترمذي (٣٥٩١)، وفي التعليقات الحسان (٣/٩٤٥)، وفي صحيح الجامع (١٢٩٨).

(٢) صححه الألباني في صحيح موارد الظمآن (٢/٤٤٩)، برقم (٢٠٥٥)

(٣) النهاية (٩٤١) والمفردات (٤٤١، ٧٢٣)، فيض القدير (٢/١١٠).

قوله: «**والأعمال**»: وأعوذ بك يا إلهي من جميع الأعمال المنكرة والقبيحة، كالقتل، والزنى، وشرب الخمر، والسرقة، والبطش، والتعدي، والظلم بغير حق، وغير ذلك[1]، تضمنت هذه الاستعاذة من منكرات وشرور الأفعال الظاهرة.

قوله: «**الأهـواء**»: جمع هـوى، وهـو هـوى النفس وميلها إلى المستلذات، والانهماك في الشهوات الباطلة، والاستعاذة كذلك من الزيغ والضلالات الفاسدة، في الاعتقادات والشبهات، فإن الشر كل الشر أن يكون الهوى يُصيِّر صاحبه باتباعه كالعابد له، فلا شيء في الشر أزيد منه، لأنه يضيع الدنيا والدين، والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ (الجاثية: ٢٣) وتضمنت هذه الاستعاذة من جميع الشرور الباطنة.

قوله: «**والأدواء**»: وأعوذ بك من منكرات الأسقام والأمراض الخطيرة، مثل الجذام، والبرص، والسل والسرطان والإيدز وغير ذلك، فهذه كلها بوائق الدهر، وإنما استعاذ ﷺ من هذه الأربعة المنكرات، لأن ابن آدم لا ينفك منها في تقلبه في ليله ونهاره.[2] وتضمنت هذه الاستعاذة: من جميع الأمراض العضوية، والمعنوية.

وقوله «**والأسواء**»: كما في الرواية الأخرى: أي: وأعوذ بك من كل ما يسوؤني في ديني ودنياي، وهذه الاستعاذة تعم كذلك كل الشرور الظاهرة والباطنة، فهي من عطف العام على الخاص، إذ تعم كل الاستعاذات التي تقدمت. والله تعالى أعلم.



(١) تحفة الأحوذي (١٠/٥٠). بتصرف.

(٢) انظر: تحفة الذاكرين (٤٢٣)، وفيض القدير (٢/١١٠)، والفتوحات الربانية (٣/٦٤٠).



(٤٥) «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، واستغفرك لما لا أعلم».

عن أبي بكر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده للشرك أخفى من دبيب النمل» فقال أبو بكر رضي الله عنه: وهل الشرك إلا من جعل مع الله إلهاً آخر؟ قال ﷺ: ألا أدلك على شيء إذا قلته ذهب عنك قليله وكثيره؟ قال: قل:..............[1]

وفي رواية عن أبي موسى الأشعري: قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «يا أيها الناس، اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل، فقال من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: قولوا: «اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلم».[2]

الشرح:

اشتمل هذان الحديثان على أعظم شر وأخطره، يستعاذ بالله منه، وهو: الشرك، فإن الشرك بالله العظيم أعظم الظلم والجرم، قال تعالى حاكياً عن لقمان وهو يعظ ابنه: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (لقمان).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (النساء:٤٨).

أخبر النبي ﷺ أن العبد غير آمن من الوقوع في الشرك، وأنه لشدة خفائه أخفى من دبيب النمل، فقد يقع فيه العبد، ويتسلل إلى نفسه، وهو لا يعلم ولا يدري، هذا الإخبار من الرسول لخير البشرية بعد الرسل وهم الصحابة رضوان الله عليهم، الذي عصرهم هو خير العصور، فكيف بنا نحن، ولا شك في هذا بيان أن أفضل الناس قد يقع منه الشرك من حيث لا يعلم «والمراد بالشرك هنا الرياء والسمعة، والعجب، وكقول القائل: ما شاء الله وشئت، وهذه الذمائم لا تذهب عن

(١) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٢٨٧)، وصححه سليم الهلالي (٣٣٩/١)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٥١)، وصحيح الجامع (٣٦٢٥).

(٢) رواه أحمد في المسند (١٩٦٠٦)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦).

الرجل ما لم يعرف نفسه، وإذا عرف نفسه عرف أن المحامد كلها لله سبحانه»[1]، وهكذا ينبغي للعبد أن يراقب نفسه ويحاسبها بين الحين والآخر حتى لا يقع في هذه الأمور العظام.

فعليك يا أخي أن تلتجئ إلى الله أن يُعيذك من الشرك بكل أنواعه، وأفراده، وأن تبذل كل ما في وسعك من الطاقة والسعي في الابتعاد عنه قولاً، وفعلاً، وأن تكثر من هذا الدعاء العظيم، فإن الله رب العالمين، لا يخيب من ألتجأ إليه وأخلص له في قوله، وعمله، ودعائه.

الفوائد:

أرشد النبي ﷺ إلى هذا التعوذ، لئلا يتساهل الإنسان في الركون إلى الأسباب، ويرتبك فيها، حتى لا يرى التكوين والتدويم إلا رؤية الإيمان بالغيب، فلا يزال يضيع الأمر ويهمله، حتى تحل العقدة منه عقلة الإيمان، فيكفر وهو لا يشعر، فأرشده إلى الاستعاذة بربه ليشرق نور اليقين على قلبه.[2]

وفي قول أبي بكر رضي الله عنه: «وهل الشرك إلا من جعل الله إلهاً آخر»، فيه تعظيم أبي بكر للشرك، وأن بعض المسائل قد تخفى على كبار العلماء».[3]

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(٤٦) «اللهم إني أسألك علماً نافعاً، وأعوذ بك من علم لا ينفع».

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سلوا الله علماً نافعاً، وتعوذوا بالله من علم لا ينفع».[4]

---

(١) فضل الله الصمد (٦٨١/٢).

(٢) فيض القدير (٣٧٦٢/٦).

(٣) شرح الأدب المفرد للعواشيه (٣٩٥/٢).

(٤) صحيح ابن ماجه (٣٨٤٣).

الشرح:

أمر رسولنا ﷺ أن نسأل اللّه علماً نافعاً، لأن ذلك هو ثمرة العلم وفائدته، وهو الذي يهذب الأخلاق الباطنة، فيسري إلى الأعمال الظاهرة، فيصلح الظاهر والباطن، والعلم النافع هو العلم بالشريعة، مما يتعلق بأمور الدين، من عباداته، ومعاملاته، وأخلاقه، وسلوكه.

وأفضل العلوم النافعة وأولها، العلم باللّه جل شأنه، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله والذي يجوز في حقه تعالى وما لا يجوز، فهذا هو أعظم العلوم وأنفعها، وهو الفقه الأكبر، ومن علامة إرادة اللّه الخير لعبده، التوفيق لطلب العلم، وتفقهه، قال ﷺ: «من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين».[1]

قوله: «وتعوذوا بالله من علم لا ينفع»: وهو العلم الذي لا يُعمل به، ولا يُعلمه، ولا ينتفع به، ولا يُهذب الأخلاق، والأقوال، والأفعال، فهذا حجة على صاحبه، ويدخل كذلك مما لم يؤذن في تعلمه إذن شرعي، كالعلوم الفاسدة، مثل: السحر، وغيره من العلوم التي تضر في الدين، أو الدنيا.[2]

الفوائد:

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «العلم النافع هو ما باشر القلوب، فأوجب لها السكينة، والخشية، والإخبات للّه، والتواضع، والانكسار له، وإذا لم يباشر القلب ذلك من العلم، وإنما كان اللسان فهو حجة اللّه على ابن آدم يقوم على صاحبه وغيره، قال الحسن: «العلم علمان: علم باللسان، وعلم بالقلب، فالعلم بالقلب هو: العلم النافع، وعلم اللسان هو حجة اللّه تعالى على ابن آدم».[3]



(١) البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).
(٢) فيض القدير (٢/١٥٣).
(٣) الذل والانكسار للعزيز الجبار (٤٥).

(٤٧) «اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتدّ، ونعيماً لا ينفد، ومرافقة نبينا محمد في أعلى درجة الجنة، جنَّة الخلد».

عند عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أنه سُئل ما الدعاء الذي دعوت به ليلة قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم: سَلْ تعطه سل تُعطه؟ قلت:[١]

وفي لفظ: «**نعيماً لا يبيد، وقرة عين لا تنفد**».

وفي رواية أخرى: «**اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد، ونعيماً لا ينفد، ومرافقة محمد في أعلى علِّيين في جنانك، جنان الخلد**».[٢]

المفردات:

لا يرتد: الردُّ: صرف الشيء بذاته، أو بحالةٍ من أحواله، يقال: رددته فارتد، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ (المائدة: ٥٤)، والمقصود: الرجوع من الإيمان إلى الكفر.[٣]

درجة: المنزلة الرفيعة[٤]، وتكون حسية، ومعنوية.

لا ينفد: لا ينقطع. لا يبيد: لا ينتهي.

عليين: صيغة مبالغة من العلو، وهو أعلى مكان في الجنة.

الشرح:

هذا الدعاء الجليل من الأدعية العظيمة، لاشتماله على أعظم مقصدين، وأرجا مطلبين، وأعلى الأماني، على الإطلاق في الدنيا، وفي العقبى، فقد دعا

(١) أخرجه أحمد (٣٧٩٧) (٤٢٥٥) (٤٣٤٠)، وصحح هذه الروايات بشواهدها شعيب الأرنؤوط (٣٤٦/٦) (٢٨٨/٧، ٣٥٩)، وصححه الألباني في صحيح موارد الظمآن (٣٥٤/٢)، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٣٠١)، وفي التعليقات الحسان برقم (١٩٦٧)، ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٨٦٩) وحسنه محقق الكتاب (٤٩٧).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣/٧١٣) وصححه ووافق الذهبي، وصححه الأرنؤوط في تحقيقه لمسند الإمام أحمد (٢٨٨/٧).

(٣) المفردات (٣٤٨).

(٤) المصدر السابق (٣١٠)

به من خيرة الصحابة الميامين عبدالله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وعن الصحابة أجمعين، في الثبات على الدين، وهذا أجل المقاصد في الدنيا، وفي مرافقة سيد الأولين والآخرين معه في أعلى جنات النعيم المقيم، ولا شك أن هذا المطلوب هو أعظم المطالب، وأفضل المواهب، وأعلى المنازل يوم الدين، ولهذا كان رضي الله عنه يلازم هذا الدعاء في خير الأعمال وأفضلها، ألا وهي: الصلاة، يقول رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «قد صليت منذ كذا وكذا، ما صليت فريضة ولا تطوعاً إلا دعوت الله تعالى به في دبر كل صلاة».[1]

وقال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إن من دعائي الذي لا أكاد أن أدع».[2]

أي: هذا الدعاء الجليل، وهذا يدل على كمال وقوة همته، وشدة حرصه لمطلوبه.

وهذا الذي ينبغي أن يكون عليه اللبيب، أن ينظر في حاله ومآله، فحينما ينظر إلى هذه الدار يرى نظرة متوسم[3] أنها فانية، والآخرة، هي دار القرار الباقية، وإنها درجات عالية، منازل بعضها فوق بعض سامية، كلما علت درجاتها زاد نعيمها وبهجتها، فعند ذلك تكون تلكم الدار الخالدة هي مأمله، وهمته، وغايته، التي يسعى إليها في كل أحواله.

قوله: **«اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد»**: قدم أعمال القلوب لأنها أصل أعمال الجوارح، ومادتها التي تمدها وتدفعها إلى المسارعة في الطاعة، والمعنى: يا الله بأسمائك الحسنى، وصفاتك الذاتية، والفعلية الكمال العليا، أسألك إيماناً ثابتاً، راسخاً، قوياً لا يعتريه شك، ولا تردد بوجه من الوجوه، يعصمني من الوقوع في الردة، وهي الكفر بعد الإيمان، واليقين، وهذا يتضمن التوفيق إلى الأسباب العلمية والعملية لتحقيقه، وهذا السؤال هو أعظم مطلوب في الدنيا، لأنه أفضل الأعمال

---

(١) تاريخ ابن عساكر (٣٣/٩٦)، وبنحوه أحمد، (٧/٣٥٩)، برقم (٤٣٤٠).

(٢) صححه لغيره الأرناؤوط في تعليقه على مسند أحمد (٦/١٧٨)، برقم (٣٦٦٢)، (٤١٦٥).

(٣) أي: المعتبر، والمتعظ، قال سبحانه (إن في ذلك لآيات للمتوسمين) (الحجر: ٧٥) المفردات (٨٧١).

عند الله تبارك وتعالى، فعن عبدالله بن حُبشي الخثعمي، أن النبي ﷺ سئل: أي العمل أفضل؟ قال: «إيمان لا شك فيه».[1]

قدم دعاءه في سؤال الله تعالى الإيمان الثابت، قبل سؤاله أعلى الجنان، لأن هذه المنزلة العلية لا تنال إلا بالإيمان الكامل الراسخ، فحسن التقديم، ولذلك «ينبغي للعبد أن يتعاهد إيمانه، وينميه».[2]

قوله: «ونعيماً لا ينفد»: أي: وأسألك يا إلهي نعيماً دائماً لا ينتهي، ولا ينقص، ولا ينقطع، وهو نعيم الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ (ص)، أما نعيم الدنيا فهو زائل، ومُنقِّص، قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ (النحل: ٩٦).

قوله: «ومرافقة نبينا محمد في أعلى درجة الجنة جنة الخلد»، بعد أن سأل الله تعالى النعيم المقيم في الجنة، سأل الله الكريم العظيم أن يكون مرافقاً للنبي ﷺ في أعلى درجة في الجنة، وهو من عطف الخاص على العام، لعظم، وأهمية هذه المرتبة، والمنزلة العالية فيها، فهي أعظم النعيم، وأرفعه، وأكمله، وأعلاه على الإطلاق أن يكون مع النبي ﷺ في أعالي درجات الجنان، ولا شك أنه أعظم مطلب أخروي من جميع الوجوه، عملاً واتباعاً لقوله ﷺ: «إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة، فإنه لا يتعاظم على الله شيء»، وفي لفظ: «فإن الله عز وجل لا يتعاظم عليه شيء أعطاه».[3]

أي: فليطلب طلباً جازماً من غير شك، ويجتهد في عقد قلبه على الجزم، بوقوع مطلوبه إحساناً للظن، بكرم ربه تعالى.[4]

قوله: «في أعلى درجة الجنة».[5] سأل الله سبحانه وتعالى أعلى درجة فيها، لأن

---

(١) صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٥٠٤)، وفي صحيح النسائي (٢٥٢٦) وفي صحيح الترغيب والترهيب (١٣١٨).

(٢) تفسير السعدي (٣١٥).

(٣) رواه أحمد في المسند (٩٩٠٠)، وقال محققو المسند: «إسناده صحيح على شرط» وبنحوه في مسلم (٢٦٧٨)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٣٣)، وفي صحيح موارد الظمآن (٢٠٣٧).

(٤) فيض القدير (١/٣٤٢).

(٥) كما في الرواية الأخرى عند النسائي في عمل اليوم والليلة (٨٦٩).

في الجنة مائة درجة، كما قال ﷺ: «**فإن في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض**».[1]

وأعلى درجة في الجنة، هي: الفردوس الأعلى، قال النبي ﷺ: «**والفردوس أعلاها درجة**».[2]

ولهذا حثنا نبينا نبي الرحمة ﷺ أن نسألها كما تقدم بقوله: «**فإذا سألتم الله تعالى فسلوه الفردوس الأعلى**».[3]

وفي رواية أخرى عن علي رضي الله عنه، أنه قال: «فأثنى عبدالله بن مسعود على ربه وحمده، فأحسن في حمده على ربه، ثم سأله فأجمل المسألة، وسأله كأحسن مسألة سألها عبد ربه: «... ومرافقة محمد ﷺ في أعلى عليين في جنانك، جنان الخلد».[4]

وهذه الرواية تدل: على فقهه وحكمته، وكمال همته رضي الله عنه في دعائه، حيث قدم أحسن الثناء، والحمد قبل السؤال، وذلك أن الوسيلة مقدمة على الغاية، وكذلك دلت على عظم شأن هذه الدعوة، كما في قول علي رضي الله عنه.

«وسأله كأحسن مسألة سألها عبد ربه»، وهذا يدل كذلك على فقه علي رضي الله عنه، وهذا يؤكد كماتقدم أن هذه الدعوة فيها أجل وأعظم مطلبين في الدارين، وأن الصحابة رضي الله عنهم كان إعتناهم في أمور الدين، والدار الآخرة، فوق كل شيء.

وهذه الرواية الجليلة تفسِّر الرواية السابقة، وهي أن يكون في أعلى درجات الجنان، لأن «عليّون» صيغة مبالغة من العلو، والعلو هو: السمو والارتفاع، وعظم الشأن والقدر.[5]

---

(١) صحيح البخاري برقم (٢٧٩٠)، والترمذي واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٥٣٠).

(٢) الترمذي برقم (٢٥٣١)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (٩٢١)، وصحيح الترمذي برقم ٢٥٣١.

(٣) تقدم شرحه عند الدعاء رقم (١٢).

(٤) رواه الحاكم (٣/٣١٧)، وصححه، ووافقه الذهبي، وصحح إسناده بشواهده الأرناؤوط في تعليقه على المسند برقم (٤٣٤٠)، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان برقم (١٩٦٧).

(٥) اللسان (٥/٣٠٨٨)، والمفردات (٥٨٢).

فعليون متضمنة لعلو المكان، والمكانة، وعلو المنزل، والمنزلة، وهذا غاية الأماني والمطالب العالية، قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ ﴾، ثم فخمه، وعظم مرتبته، وشأنه، فقال: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (المطففين).

وقد صح عن مجاهد رحمه الله أنه قال: «عليين» «في السماء ا لسابعة».[(١)]

قال الفراء: عليون: ارتفاع بعد ارتفاع، وشرف بعد شرف، لا غاية له.[(٢)]

أنه منقول من جمع عليّ من: العلو، قال الزجاج: هو أعلى الأمكنة.[(٣)]

قال ابن كثير: والظاهر أن عليين مأخوذ من العلو، وكلما علا الشيء وارتفع، عظم واتسع، ولعظم شأن هذا المكان قال الله تعالى: ﴿ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ أي: الملائكة المقربون.[(٤)]

ولقد جاء في السنة المطهرة ما يدلُّ على أن عليين هو أعلى مرتبة، وأسمى منزلة، كما في حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه الطويل الجليل، عن النبي ﷺ وهو يصف أدنى أهل الجنة منزلة... فيقول الله عز وجل له: «**ألم ترض أن أعطيك مثل الدنيا منذ خلقتها إلى يوم أفنيتها، وعشرة أضعافه**»؟

ثم ذكر ما له من نعيم ما لا يتصوره عقل، ولا يصفه واصف... فقال عمر رضي الله عنه: «ألا تسمع ما يحدثنا ابن أم عبد (عبد الله بن مسعود) يا كعب عن أدنى أهل الجنة منزلاً، فكيف أعلاهم؟ فقال كعب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين: «**ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، إن الله عز وجل جعل داراً، فجعل فيها ما شاء من الأزواج، والثمرات، والأشربة، ثم أطبقها، فلم يرها أحد من خلقه، لا جبريل، ولا غيره من الملائكة**، ثم قرأ كعب: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (السجدة).

(١) حسن إسناده أ.د. حكمت بشير في التفسير الصحيح (٤/٦٠٦).

(٢) معاني القرآن (٣/٢٤٧)، وانظر: تفسير البغوي (٨/٣٦٦).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥/٢٩٩).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/٦٥٣).

قال: **خلق دون ذلك جنتين، وزُيِّنهما بما شاء**، وأراهما من شاء من خلقه، ثم قال: من كان كتابه في **«عليين» نزل تلك الدار التي لم يرها أحد**، حتى إن الرجل من أهل «عليين» ليخرج فيسير في ملكه، فما تبقى خيمة من خيم الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه، **فيستبشرون بريحه، فيقولون: واهاً**[1]، لهذا الريح! هذا ريح رجل من أهل «عليين» قد خرج يسير في ملكه[2]».[3]

فانظر يا أخي في الله في علو هذه المنزلة الجليلة، وتأمَّل ما جاء فيها من النعيم المقيم، بعد ذلك ألا يهفو قلبك إلى هذه المنزلة العظيمة الأبدية؟ ألا تريد أن تكون من ساكنيها وأهلها أبد الآبدين لا تحول عنها، ولا تزول؟

فشمّر ساعد الجد في الدعاء من الآن، ولا تؤجل إلى وقت آخر، وأكثر من هذين الدعائيين في الليل والنهار، وفي كل فرض ونفل، كما كان يفعل هذا الصحابي الجليل، مع حسن ظن بالله ذي الجلال والإكرام، وأكثر طرق الباب، فإنه سوف يفتح لك.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «جدّوا في الدعاء، فإنه من يكثر قرع الباب يوشك أن يفتح له».[4]

وتذكر الحديث القدسي، واجعله دائماً مرآة أمام عينيك، الذي يقول فيه رب العزة والجلال: **«يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط[5] إذا أدخل البحر»**.[6]

فأكثر من هذه الدعوة يا عبدالله، وكن عظيم الهمة والرغبة، واقتد بهذا

---

(١) أي: عجباً.

(٢) الطبراني في المعجم الكبير (٣٠٤/٨)، (٩٦٤٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٠٤).

(٣) وكلام أبي بن كعب رضي الله عنه بعد حديث النبي ﷺ هو حكمه حكم المرفوع، أي: عن النبي ﷺ إذ إن أمور الغيب لا تتلقى إلا عن الشارع الحكيم، ولهذا لم ينكره عمر رضي الله عنه، بل أخذه بالإيمان والتسليم.

(٤) المصنف لابن أبي شيبة (٢٠٢/١٠) والمصنف لعبدالرزاق (٤٤٢/١٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٢/٢).

(٥) الإبرة، والمعنى: لا ينقص شيئاً أصلاً، وضرب المثل بالمخيط والبحر، لأنه غاية ما يضرب به المثل في القلة.

(٦) مسلم (٢٥٧٧).

الصحابي، الذي قال عنه النبي ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر، وتمسكوا بعهد ابن مسعود».[١]

والذي قال عنه أبو حذيفة رضي الله عنه: «كان أقرب الناس هدياً، ودلاً، وسمتاً برسول الله ﷺ».[٢]

الفوائد:

شدة اعتناء الصحابة رضي الله عنهم بالدعاء، وملازمتهم له، وإيثارهم لأمور الدين والآخرة، وإن الصلاة من أعظم أسباب الإجابة: في السجود، أو قبل التشهد كما في دعائه، أنه كلما أكثر العبد في دعائه من الثناء والتعظيم، كانت دعوته أقرب للإجابة، كما قال علي رضي الله عنه: «إنه أثنى على ربه وحمده بأحسن ما أثنى عبد على ربه، وحمده ثم سأله...».

إنه ينبغي للداعي أن يجتهد في الدعاء، ويكون على رجاء الإجابة مهما كانت عظم المسألة، فإنه يدعو رباً كريماً لا يوازيه أحد في مثل كرمه وعطائه، وأنه ينبغي تقديم الأهم والأولى في مطالبه، كما في تقديم سؤال «الإيمان» على أعالي الجنان، لأن المنازل العالية، والدرجات السامية منوطة فيها، على قدر الإيمان، دلّ عليه قول النبي ﷺ: «إن أهل الدرجات العلا ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء».[٣]

وفي رواية «أن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدُّري الغابر[٤] من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم»، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: «بلى، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».[٥]

---

(١) صححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٨٠٥)، وفي صحيح ابن ماجه (٧٩)، وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة: إسناده صحيح.
(٢) صححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٩٤٤).
(٣) صحيح الترمذي (٣٦٥٨).
(٤) أي: البعيد.
(٥) مسلم (٢٨٣١).

وفي صحيح الترمذي: «وأقوام آمنوا بالله ورسوله وصدقوا المرسلين».[1]

أي: وكذلك أناس غير الأنبياء والمرسلين «ولم يذكر عملاً، ولا شيئاً سوى الإيمان، وتصديق للمرسلين، وذلك ليعلم أنه عنى الإيمان البالغ وتصديق المرسلين، من غير سؤال آية، ولا تلجلج[2]»[3].

يحسن بالداعي أن يعتني بمدلول الألفاظ، كعطف الخاص على العام، وغيره والذي ينبو عن تعظيم الرغبة في الأمور المهمة، مشروعية سؤال مرافقة الأنبياء، ومنهم نبينا محمد ﷺ في أعالي الجنان، وأنه ليس من التعدي في الدعاء، وذلك: أن المرافقة لا تدل على التساوي في المنزلة معه من كل وجه، وإنما تدل على علو المنزلة، والقرب منه، والله تعالى أعلم.

وفيه بيان: على أهمية الدعاء، وأنه تعالى يعطي أهله أعلى المنازل.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(٤٨) «اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علماً، وأعوذ بالله من حال أهل النار».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول:...............[4]

وفي لفظ: «وارزقني علماً تنفعني به».[5]

الشرح:

هذا الحديث اشتمل على دعوة جامعة تتعلق بالعلم، وما ينبغي أن يكون عليه شأن المسلم، وطالب العلم مع العلم، وهو يتكون من أربع جمل، ثلاث منها

(١) صحيح الترمذي (٢٥٥٦).

(٢) اللجاج، واللجاجة: الخصومة، واللجلجة والتلجلج: التردد في الكلام، القاموس المحيط (١١٦٦).

(٣) التذكرة في أحوال الموتى للقرطبي (٤٣٣).

(٤) صححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٥٩٩)، وصحيح ابن ماجه (٢٥١).

(٥) أخرجه الطبراني في الدعاء برقم (١٤٠٥)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤٢٥/٧) (٣١٥١).

في تحقيق هذا المطلب الجليل، والمقصد العظيم للعلم.[1] ولهذا جاء في سؤاله في سياق البسط، والتطويل، والتنويع في الأزمنة الثلاثة: الماضي، والحاضر، والمستقبل، فبدأ بالأول:

قوله: «**اللهم انفعني بما علمتني**»: أي: أسألك يا اللّٰه الانتفاع بما تعلمته في الأزمنة السابقة من العلوم المفيدة، يعني: بالعمل بمقتضاه خالصاً لوجهك الكريم، لا للانتفاع به في أغراض الدنيا وزخرفها، ومن رياء، وسمعة، فإن العلم النافع هو المقصود والوسيلة به إلى التعبد للّٰه تعالى، فيصلح الأعمال والأقوال، الظاهرة والباطنة، ولا يكون كذلك إلا بالعمل به، وتبليغه لغيره.

قوله: «**وعلمني ما ينفعني**»: فيما بعد، مضافاً إلى ما علمتنيه فيما سبق، وهذا يتضمن في الحال والاستقبال، كما أفاد الفعل المضارع: (**ينفعني**)، وبه ظهر أن العلم وسيلة للعمل، وهما متلازمان لا ينفكان، فتضمن مطلوبه سؤال اللّٰه أن يَمُنَّ عليه بالعلم النافع، وهو علم الشريعة الذي فيه صلاح الدين، والدنيا، والآخرة، من العبادات والمعاملات، والعلم باللّٰه وبأسمائه وصفاته، الذي هو أشرف العلوم، وأعلى المعارف. وما يجب له من القيام بأمره، وتحقيق طاعته.[2]

قوله: «**وزدني علماً**»: أي: زدني علماً نافعاً إلى ما علمتني، كما قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ (طه)، ولم يأمر سبحانه نبيه بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم، فإن الزيادة فيه ترقى العبد إلى الزيادة في المعارف الربانية، والحقائق الإيمانية، والتي تقتضي إلى حسن العمل، في العبودية للّٰه تعالى بكل أصنافها وهيئاتها، فإن العلم وسيلة للعمل الصالح. وفيه إشارة إلى أن من عمل بما علم، ورثه اللّٰه سبحانه علم ما لم يعلم.

فإن العلم النافع يا رعاك اللّٰه هو أول المعارف، وأصلها، ومنتهاها، وهو بداية

(١) فقه الأدعية والأذكار (٤/٥٩٤).
(٢) فيض القدير (٢/١٣٤)، وفقه الأدعية (٤/٤٩٦) بتصرف.

الطريق إلى الله تعالى، وأوسطه، وآخره، قال جل جلاله: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ﴾ (محمد: ١٩).[١]

قال العلامة السعدي: «وهذا العلم الذي أمر الله تعالى به، وهو العلم بتوحيد الله فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد كائنا من كان، بل كل مضطر إلى ذلك».[٢]

وقوله: **«وارزقني علماً ينفعني به»:** فيه دليل على أن الرزق يطلق على غير رزق الأبدان ، ففيه بيان على أن الرزق يطلق على نوعين: الأول: رزق الحسي، وهو كما تقدم رزق الأبدان، والثاني رزق معنوي: وهو رزق الأرواح والإيمان، وهو أشرف النوعين، فالأول: منقطع في الحياة الأولى، والثاني: دائم النفع في الدنيا، والعقبى، ولهذا ينبغي للعبد أن يستحضر هذه المعاني السامية حال دعواته.

وقوله: **«وأعوذ بالله من حال أهل النار»:** من الكفار، والمنافقين، والفاسقين.

استعاذ من حالهم لما هم فيه من الألم الشديد، والعذاب المديد، وهذا حال من لم ينتفع بعلمه، ولم يعمل به من العبيد، فكان حاله ومصيره، هو عذاب السعير، وبئس المصير، «والاستعاذة من حالهم تضمن الطلب للتوفيق للأعمال الصالحة»[٣]. التي تقتضي السلامة من سوء الحال في الخاتمة.

الفوائد:

هذا الدعاء من جوامع الكلم التي لا مطمح ورائها.[٤]

فينبغي للداعي أن يلازمه، وأن يكثر من سؤاله الذي في مضمونه من أجل

---

(١) فيض القدير (٢/١٣٤) فقه الأدعية (٤/٤٩٦)، وشرح سنن ابن ماجه للشيخ محمد علي جانباز (١/٦٠٥) بتصرف كبير.

(٢) التفسير (٧٨٧).

(٣) التنوير (٣/٦٤١).

(٤) فيض القدير (٢/١٢٩).

المطالب الشرعية: وهو (العلم) لأنه ميراث الأنبياء ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر لا مثيل له، إن أعظم الرزق على الإطلاق: هو العلم النافع، «أنه لا يطلب من العلم إلا النافع، والنافع ما يتعلق بأمر الدين، والدنيا، فيما يعود فيها على نفع الدين».[1]

أنه ليس كل من أعطى علماً يوفق إلى العمل به كاليهود، أن أفضل العلم ما كان مقتضياً للعمل، فهما متلازمان، وهذا هو العلم النافع، المانع، أن ليس كل علم مفيد نافع، بل إن من العلوم ما هو مفسد للدين، والدنيا، والأخرى، وإن من لم ينتفع بعلمه يخشى عليه أن يكون من أصحاب النار، وبئس الدار

❃ ❃ ❃ ❃ ❃

(٤٩) «اللهم اغفر لي ذنبي، ووسِّع لي في داري، وبارك لي في رزقي».

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً قال: يا رسول الله سمعت دُعاءك الليلة فكان الذي وصل إليَّ منه أنك تقول:.......................

قال صلى الله عليه وسلم: «**فهل تراهُنَّ تركْنَ شيئاً**».[2]

المفردات:

وسِّع: السعة تقال في الأمكنة، وفي الحال، وفي الفعل، كالقدرة والجود والغنى.[3]

الشرح:

قوله: «اللهم اغفر لي»: يا الله بأسمائك الحسنى، وصفاتك العليا، أسألك أن تستر، وتتجاوز عن ذنوبي كلها، صغيرها وكبيرها، سرها وعلانيتها، لأنه مفرد مضاف يفيد العموم، كما هو معلوم عند أهل الأصول، فإن الذنوب إذا تراكمت قسّت القلب، وفسدت الحال، والمآل، وأوردت دار البوار.

---

(١) تحفة الأحوذي (١١٢/٩).

(٢) رواه أحمد في مسنده: (١٦٥٩٩)، وحسنه شعيب الأرنؤوط (٢٣١١٤)، (١٤٤/٢٧) (١٤٥/٣٨)، والألباني في صحيح الجامع (١٢٦٥)، وفي ضعيف الترمذي (٣٥٠٠).

(٣) المفردات (٥٢٣)، وتفسير الطبراني (٤٥١/١).

قدم سؤال المغفرة على غيره لأنه كما سبق بيانه: أن في حصول المغفرة يأمن العبد ويسلم من آثار الذنوب وتبعاتها، من المصائب، والشرور، والخطوب، لأنها هي سبب المصائب، والمهالك في الدارين، ولهذا ينبغي للداعي أن يعتني بهذا المطلوب الجليل، كما اعتنى به الشارع الحكيم، ويضمنه في أكثر أدعيته.

قوله: «ووسّع لي في داري» أي: ووسّع محل سكني في الدنيا، لأسعد بالسكن الواسع الهنيء، لأن ضيق المرافق والدار يضيق الصدر، ويشتت الأمتعة، ويجلب الهم، ويشغل البال، والمراد من التوسع هنا: بما يقتضيه الحال، لا الترفه والتبسط في الدنيا، بل إنما يسأل حصول قدر الكفاية لا أزيد، ولا أنقص، وقيل المراد بالقبر، إذ هو الدار الحقيقية».[1]

أي: فوسّع قبري، واجعله روضة من رياض الجنة، ولا مانع من إرادة الجميع لأن «الدار تعم: دار الدنيا، والبرزخ، والعقبى، في الدنيا: (بالسعة الحسية والمعنوية)، وفي البرزخ الذي هو الدار الحقيقية، بأن يجعلها له واسعة كما جاءت الأحاديث الصحيحة في ذلك من النعيم الذي منه أنه يوسع القبر على المؤمن مد البصر، وكذلك إدخال الروّح والريحان، والزلفى في الجنان».[2]

قوله: **«وبارك لي في رزقي»**: أي: اجعل رزقي حلالاً طيباً محفوظاً بالنماء والزيادة في الخير (الحسي والمعنوي، الدنيوي والديني)، ووفقني بالرضا بما قسمته لي، وعدم التفلت إلى غيره، مع أني لا أنال إلا ما رزقتني، وإن جهدت.[3]

قوله: **«فهل تراهن تركه شيئاً»**: هذا الاستفهام منه ﷺ لبيان أنهن لم يتركن شيئاً من خيري الدنيا والآخرة، وهذا من جوامع الكلم التي أوتيها النبي ﷺ.



(١) فيض القدير (٢/ ١١٠).

(٢) انظر: التنوير (٣/ ١٠٢ - ١٠٣)، والفتوحات الربانية (١/ ٣١٩).

(٣) فيض القدير (٢/ ١١٠).

(٥٠) «يا حيُّ يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين».

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة رضي الله عنها: ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيتك به، تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت:................[1]

المفردات:

الحيُّ: هو الذي له كمال الحياة عز وجل، الذي ليس لحياته ابتداء، ولا يعتريها نقص ولا فناء، وهذا الاسم جامع لجميع صفات الذات.

القيوم: هو القائم بنفسه، المقيم لغيره من في السموات والأرض، بتدبيرهم وأرزاقهم والقيام على جميع أحوالهم، وهو يجمع جميع صفات الأفعال.[2]

الشرح:

هذا الحديث من جوامع الكلم، لأن إصلاح الشأن كله يتناول جميع أمور الدنيا والآخرة، فلا يقر شيء منها، فيفوز قائل هذا إذا تفضل الله عليه بالإجابة بخيري الدنيا والآخرة، مع ما في الحديث من تفويض الأمور إلى الرب سبحانه وتعالى، فإن ذلك من أعظم الإيمان وأجل خصاله، وأشرف أنواعه.[3] لهذا أمر ﷺ ابنته أن تلازمه في صباحها ومسائها.

قوله: **«يا حيُّ يا قيوم»:** الياء حرف منادى يُراد به الاستعطاف وهو توسل بأسمين عليهما مدار كل الأسماء الحسنى، والصفات العلا، حتى عدهما جماعة من أهل العلم أنهما اسم الله الأعظم.[4]

قوله: **«برحمتك أستغيث»:** أي: أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء، قال

---

(١) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة برقم (٥٧٠)، وقال محقق الكتاب: إسناده حسن، رجاله ثقات، ورواه الحاكم في المستدرك (١/٥٤٥)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/٧١٤)، برقم (٦٦١).

(٢) النونية (٢/٢٣٦)، وشرح الطحاوية (١٢٥)، وتفسير ابن السعدي (٥/٣٠٣).

(٣) تحفة الذاكرين (١٠٣).

(٤) كابن تيمية، وابن القيم، انظر زاد المعاد (١/٢٠٤)، ومدارج السالكين (١/٤٤٨).

سبحانه وتعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٦) توسل بها؛ لأن معناها: العطف، والشفقة، والرأفة، ومن أجل مقتضياتها وآثارها إزالة الحزن والهم، وتفريج الكربات والغم، وقوله: «استغيث»: أي: طلب الغوث وهو العون، وتأخير الفعل «أستغيث» للاختصاص، أي: أخصك بالإستعانة.[١]

قوله: «أصلح لي شأني كله»: أي: أصلح أموري وأحوالي كلها، لإفادة «كل» العموم، فهذا سؤال لإصلاح كل جزئية من جزئيات شؤونه، وكل جانب من جوانبه.

قوله: «ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين»: أي: لا تتركني إلى نفسي لحظة واحدة، فإني لا غنى لي عنك في أي حال، ولا لمحة، ولا في أي طرفة، ولا في أي شأن من شؤون حياتي، وآخرتي، «لأنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضعف، وعورة، وذنب وخطيئة»[٢]، وهذا فيه غاية الافتقار والالتجاء إلى الرب الكريم الغفار.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(٥١) «اللهم احفظني بالإسلام قائماً، واحفظني بالإسلام قاعداً، واحفظني بالإسلام راقداً، ولا تشمت بي عدواً ولا حاسداً، اللهم إني أسألك من كل خير خزائنه بيدك، وأعوذ بك من كل شر خزائه بيدك».

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يدعو:..............[٣]

المفردات:

احفظني، الحفظ: مراعاة الشيء، وهو نقيض النسيان، والحفيظ: الموكل بالشيء يحفظه لا يغفل عنه.[٤]

---

(١) العلم الهيب في شرح الكلم الطيب (٣٣٧).

(٢) الفتوحات الربانية (٢/١٦٧).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك، (١/٥٢٥)، وصححه، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/٤٥)، (١٥٤٠)، وفي صحيح الجامع (١٢٦٠).

(٤) معجم مقاييس اللغة (١/٨٧)، واللسان (٢/٩٢٩).

تشمت: الشماتة هي الفرح العدو ببلية العبد.[1]

حاسداً: الحسد تمني زوال نعمة المحسود.

الخزائن: جميع خزينة، وهي ما يحفظ فيه ويودع من الذخائر.[2]

الشرح:

هذا الدعاء المبارك من الأدعية الشريفة المهمة، لتضمنه على مطلب مهم جليل، وهو: سؤال اللّه تعالى الثبات على دين الإسلام، الذي لا يقبل اللّه تعالى غيره من الأديان، ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يلازمه ويداوم دعائه، كما أخبر عبداللّه بن مسعود رضي اللّه عنه بقوله: «إن رسول اللّه كان يدعو» بالفعل المضارع بعد كان والنكتة فيه معروفة، وهي: الملازمة، والمداومة.

قوله: «**اللهم احفظني بالإسلام قائماً**»، أي: اجعلني يا اللّه متمسكاً بالإسلام حال قيامي، قوله: «**احفظني**»: سأل اللّه تعالى بصيغة الوصف،المشتق من اسمه الكريم «**الحفيظ**».

وقد تقدم بيان أن الإسلام إذا أطلق: يتضمن الإيمان، وإذا قرن مع الإيمان، يطلق الإسلام على: أعمال الجوارح، والإيمان: على أعمال القلوب.

ولما كان هذا المطلب في غاية الأهمية، شرع في سؤاله بسياق البسط والإسهاب بإعادة ذكر وتكرير كل فرد بصريح لفظه، فقال: «**واحفظني بالإسلام قاعداً**»: أي: وثبتني بالإسلام والإيمان في حال قيامي.

قوله: «**واحفظني بالإسلام راقداً**»، أي: واجعلني متمسكاً به في حال كوني راقداً، والمعنى: اجعلني متمسكاً متشبثاً به في كل أحوالي وشؤوني، في حركاتي، وسكناتي، ومتقلباتي، لأن هذه الأحوال المذكورة متقلب الإنسان كلها، وتضمن كذلك: الثبات عليه حتى الممات، كما أمر تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ (آل عمران)، هذا من تعظيم الرغبة، وعلو الهمة لمطلوبه الجليل.

---

(١) النهاية (٤٩١).

(٢) المفردات (٢٨٠).

قوله: «ولا تشمت بي عدواً ولا حاسداً»: أي: وأسألك ألاتجعل عدوي يفرح بما ينزل عليَّ من البلاء والمكاره، ولا حاسداً يتمنى زوال نعمتي، فيسوء حالي وعيشي، استعاذ منهما لما يفضيان من الهم والحزن، وربما إلى الحقد، وإرادة الانتقام.

«ولما كانت النفوس مجبولة على طلب الإفضال (في الحال والمآل) قدم في السؤال ما هي إليه أرغب»[1] بقوله: «اللهم إني أسألك من كل خير خزائنه بيدك»: فيه سؤال الله تعالى من كل أنواع الخير، وأقسامه وجوامعه المخزونة عنده تعالى، المخفية والعلنية، والدنيوية والأخروية، كما دل «كل» الذي يفيد العموم والشمول.

قوله: «وأعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك»: أي أستعيذ بك من كل الشرور، وأنواعها مما أعلمها، ومما لا أعلمها، وهو كسابقه يتضمن العموم والشمول.

فاحرص رعاك الله تعالى على هذه الدعوات، فإننا في زمن لا يأمن العبد على دينه أن يسلب منه من شدة الفتن، والأهواء المضلة، والمحن.

❦ ❦ ❦ ❦ ❦

(٥٢) «اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كُل بر، والفوز بالجنة والنجاة من النار».

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ:..............[2]

المفردات:

موجبات: بكسر الجيم، جمع موجبة، وهي الكلمات التي توجب لقائلها الرحمة.

عزائم: جمع عزيمة، وهي عقد القلب على إمضاء الأمر.

البر: بكسر الباء، الطاعة، وهو التوسع في فعل الخير، والإحسان.

الغنيمة: اسم لكل ما ظفر به غنماً كان أو غيره.[3]

---

(١) التنوير (٣/٩١).

(٢) رواه الحاكم (١/٥٢٥)، وصححه، ووافقه الذهبي، وحسنه الشيخ عبدالقادر الأرنؤوط في الأذكار النووية (٣٤٠).

(٣) عمدة الحفاظ (٣/١٧٦)، ولسان العرب (١/٢٥٢)، والنهاية (٩٥٩).

الشرح:

قوله: «**اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك**»: يا الله إنا نسألك من الأفعال، والأقوال، والخصال، التي بسببها ننال الرحمة الواسعة منك، فإن رحمتك وسعت كل شيء، كما قلت سبحانك: ﴿**ورحمتي وسعت كل شيء**﴾ (الأعراف: ١٥٦).

قوله: «**وعزائم مغفرتك**»: ونسألك أن ترزقنا العزيمة في قلوبنا على الطاعات، من الأعمال الصالحات، واجتناب المنكرات، التي توجب مغفرتك وعفوك.

قوله: «**والسلامة من كل إثم**»: ونسألك العصمة والحفظ، من الوقوع في الذنوب والآثام، من عزم، وقصد، وتمنٍّ، وإصرار، وغير ذلك من النكران، في الحال، وفي الاستقبال.

قوله: «**والغنيمة من كُل بر**»: والحرص على كل طاعة[1] وخير يقربنا إليك، ومنه: استجابة الدعاء، والتعبير بالغنيمة «ما تزود به من دار الدنيا، لدار الآخرة، كالغنيمة التي تؤخذ من غير مال الإنسان، وذلك لأن دار الدنيا ليست بدار حقيقية، ولا مالها مال اتخاذ وبقاء، فما أخذ منه فما هو إلا غنيمة».[2]

قوله: «**والفوز بالجنة والنجاة من النار**»: والظفر بأعظم كرامة عندك وهي الجنة، والسلامة من أعظم المذلة والإهانة، وهي النار.

كما قال تعالى: ﴿**فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ**﴾ (آل عمران: ١٨٥). تضمنت هذه الدعوات التوفيق إلى علو الهمة في القيام على طاعة الله تعالى، وأن تلك الدعوات التي ذكرت هي من أعظم الأسباب في نيل هذين المطلوبين الجليلين.



---

(١) انظر: فيض القدير (٢/١٢١) وتحفة الذاكرين (٤٥٠)، والفتوحات الربانية (٢/٤٢٨) (٣/٦٥٣).

(٢) التنوير (٣/١٢٤).

(٥٣) «اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدّيْن، وغلبة العدو، وشماتة الأعداء».

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يدعو بهؤلاء الكلمات:............[١]

المفردات:

غلبة الدين: شدته وثقله.

غلبة العدو: تسلط العدو بغير حق.

شماتة: الفرح بمصيبة نزلت.[٢]

الشرح:

هذه الدعوة على قلة ألفاظها فيها استعاذات من الشرور المالية، والنفسية، والبدنية، التي بين العبد والخلق، فشرع في الاستعاذة أولاً من الشرور المالية.

قوله: «**اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدّيْن**»: استعاذ ﷺ من شدة الدين وثقله بحيث لا قدرة على وفائه سيما مع الطلب، لما فيه من الوقوع بالمحذورات الشرعية، كالخلف في الوعد، والكذب، كما أخبر النبي ﷺ[٣]، والانشغال عن الطاعات، وكذلك لما فيه من الغم على القلب، واتعاب العقل، ووهن الجسد، والنفس، وإنما استعاذ من غلبته، لأن الاستدانة بدون غلبة، قد يحتاج إليها كثير من العباد، وقد مات ﷺ ودرعه مرهونة في أصواع من شعير.

قوله: «**وغلبة العدو**»: والاستعاذة من تسلط العدو بغير حق، لأنه يتحكم بمن يعاديه وينزل به، أنواع المضار، في دينه، ودنياه، وعرضه، وماله، ونفسه، وهذه الاستعاذة من الشرور البدنية.

قوله: «**وشماتة الأعداء**»: والاستعاذة من شماتة الأعداء، وهي فرحهم ببلية تنزل على من يعادونه، فإن في ذلك موقعاً عظيماً في القلب، وتأثيراً كبيراً في النفس، ولا

---

(١) رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي (١/٥٣١)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (٥٤٧٥). وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٥٤١).

(٢) المصباح المنير (١٨٧).

(٣) انظر حديث رقم (٥٦).

سيما إذا كان كافراً، أو منافقاً، وربما يفتن عن الدين والعياذ بالله تعالى، فإنه يولد الحقد، والضغينة، والانتقام، كما قال تعالى حكاية عن هارون عليه السلام: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ (الأعراف: ١٥٠)[١]، وهذه الاستعاذة من الشرور المعنوية.

ولا يخفى في أهمية الاستعاذة من كل الأمور السابقة لما فيها من المضار والمساوئ في الدين، والنفس، والمال، والعرض، والعقل، فإنها من مقاصد الشارع الحكيم التي جاء بحفظها.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(٥٤) «اللهم ألهمني رُشدي، وأعذني من شرِّ نفسي».[٢]

المفردات:

الهمني: الإلهام: إلقاء الشيء في الروع، أي: أن يُلقي الله تعالى في النفس أمراً يبعثه على الفعل أو الترك.[٣]

الشرح:

هذا الدعاء المبارك على قلة كلماته متضمن لأصول السعادة، الدنيوية، والشرعية، التي عليها النجاة في الدار الأخروية، وفيه استعاذة كذلك على أحد أصول، ومنابع، وأبواب الشر المعاشية، والدينية، والتي تورد شر الموارد المعادية، وهي: النفس الأمارة بالسوء.

قوله: **«اللهم الهمني رُشدي»:** أي: يا الله بأسمائك الحسنى، وصفاتك العلا، ألق في نفسي وروعي الهداية، والصلاح، والرشاد.

سأل الله تعالى أن يوقع في نفسه الرشد، وهو طاعة الله ورسوله، قال ﷺ في خطبته البليغة: **«من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى»**.[٤]

---

(١) انظر: تحفة الذاكراين (٤٢٣)، وفيض القدير (٢/١٤٧)، وذخيرة العقبى (٤/٢٧) بتصرف.

(٢) رواه الترمذي (٣٤٨٣)، وأحمد في المسند (١٩٩٩٢)، وقال محققو المسند «صحيح على شرط الشيخين» (٣٣/١٩٧).

(٣) النهاية (٨٤٨).

(٤) مسلم (٧٨٠).

قوله: «واعذني من شر نفسي»: أي: واستجير بك أن تعصمني من شر نفسي، لأنها أمارة بالسوء، فشر النفس أحد منابع الشر، وأصوله، وطرقه المؤدية إلى الهلاك، إذا لم يعصم الله تعالى العبد منها، قال تعالى: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ (يوسف).

وتضمنت هذه الاستعاذة أيضاً: السلامة من محرك الأعظم، والأخطر في الشر والسوء، وأصل منبعه، ومبعثه، ونتائجه، وهو «الشيطان»، لأنه هو الذي يوسوس في الصدور، وفي النفوس، ويلقي في الروع الشر، والباطل، وسوء الظن، وجُلّ أسباب الفساد ظاهره وباطنه منه، فدلت هذه الدعوة المباركة على أنها من جوامع الكلم مما لا يخفى، فتشبث بها، وأكثر منها رعاك الله، فوالله لنحن محتاجون إليها في دقائق أوقاتنا، وتقلبات حركاتنا، وشؤوننا في حياتنا، فالنفس والشيطان هم أقربا إلى الشخص من أي شيء آخر، لا يفارقانه أبداً.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(٥٥) «اللهم ربَّ جبرائيل، وميكائيل، وربَّ إسرافيل، أعوذ بك من حرِّ النار، وعذاب القبر».

«اللهم ربّ جبريل، وإسرافيل، وميكائيل، ومحمد النبي ﷺ، أعوذ بك من النار» (ثلاث مرات).

الحديث الأول: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:..............[1]

والثاني: عن أسامة بن عمير رضي الله عنه أنه صلى ركعتي الفجر. وأن رسول الله ﷺ صلى قريبا منه ركعتين خفيفتين، ثم سمعه يقول وهو جالس....[2]

المفردات:

الرب: هو السيد والمالك، والمنعم، والمربي، والمصلح.

(١) رواه أحمد في المسند (٢٤٠٥)، وصححه متمم تحقيق المسند لأحمد شاكر (٢٩٦/١٧)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (٥٥١٩)، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٥٤٤).

(٢) أخرجه الحافظ ابن حجر في (النتائج) (٣٢٨/١)، وقال عقبة: هذا حديث حسن، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٣٠٤)، وأخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (١٠٣)، وحسنه محقق الكتاب حلمي الرشيدي (١١٩).

«**جبرائيل**»: هو أعظم الملائكة وهو الموكل بالوحي.

«**ميكائيل**»: الملك الموكل بالقطر والنبات.

«**وإسرافيل**»: الملك الموكل بالنفخ في الصور[1] يوم الحشر والنشور.

الشرح:

هذا الدعاء الجليل فيه توسل عظيم في ربوبية اللّه تعالى لأشرف أربعة من الخلق، ثلاثة منهم في السماء، وهم الملائكة المذكورون، وواحد في الأرض وهو نبينا محمد ﷺ، وجاء هذا التوسل الجليل في الاستعاذة من أشد مرهوبين في الدارين: القبر، والنار، أعاذنا اللّه بلطفه منها.

قوله: «**اللهم رب جبرائيل**»: فيه توسل بربوبية اللّه تعالى لجبريل، وهو الموكل بالوحي الذي فيه حياة القلوب، وهدايتها، بدأ به لأنه هو أفضل وأعظم الملائكة على الإطلاق.

قوله: «**وميكائيل**»: وهو كسابقه توسل بربوبية اللّه سبحانه لميكائيل، الموكل بالقطر والنبات الذي فيه حياة الأرض والحيوان، والأبدان.

قوله: «**ورب إسرافيل**»: وهو الموكل بالنفخ في الصور، الذي هو سبب حياة العالم، وعودة الأرواح إلى الأشباح.

فوجه تخصيص السؤال بربوبيته لهؤلاء الملائكة وهو تعالى رب كل شيء، من إضافة العظيم له دون ما قد يحتقر عند الدعاء[2]، مبالغة في التعظيم، ودليلاً على كمال القدرة، والملك، وكذلك لانتظام هذا الوجود بهم، ولأنهم أشرف الملائكة، لما أنها موكلة بالحياة بأنواعها، والإتيان على هذا الترتيب لفضل مراتبهم بالذكر.

---

(١) زاد المعاد (١٨٨/٤)، وفيض القدير (١٠١/٢)

(٢) قال النووي رحمه الله: «قال العلماء: خصهم بالذكر، وإن كان الله تعالى رب كل المخلوقات كما تقرر في القرآن والسنة من نظائره، من الإضافة إلى كل عظيم المرتبة وكبير الشأن دون ما سيحتقر ويستصغر، فيقال له سبحانه وتعال: رب السموات والأرض، ورب العرش الكريم، ورب الملائكة والروح... إله الناس، رب العالمين إلى أن قال: فلا يقال: رب الحشرات، وخالق القردة والجنازير، وشبه ذلك من الأفراد....» شرح صحيح مسلم (٥١٣/٣).

فالتوسل إلى الله سبحانه وتعالى بربوبيته هذه الأرواح العظيمة الموكلة بالحياة، له تأثير كبير في حصول المطلوب من الحاجات، ووصول المهمات، والتي أخطرها عذاب القبر، والنار.(١)

قوله: «**ومحمد النبي ﷺ**»: وهو توسل كذلك بربوبية الله لسيد البشر من الأولين والآخرين.

قوله: «**أعوذ بك من حر النار**»: سأل الله النجاة من النار بعد توسله بربوبيته العظيمة لهذه الأملاك العظيمة، ولسيد البرية، لعظم أمرها، وخطورة شأنها، وشدة هولها، وهذا من أفضل أنواع التوسل قبل الدعاء كما سبق. وهو التوسل بربوبيته تعالى، الذي هو من أعظم أسمائه الحسنى، وصفاته العلا.

قوله: «**وعذاب القبر**»: القبر هو أول منزل من منازل الآخرة، وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**القبر أوَّل منازل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشد**».

وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما رأيت منظراً قط، إلا والقبر أفظع منه**». (٢)

فعذابه حق وثابت، ولهذا كان المصطفى يأمر بالاستعاذة منه في كل صلاة، فلا ينجو منه، إلا المؤمن الموحد المخلص في عبادته، ودعائه لربه تعالى.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(٥٦) «اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم».

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يُكثر التعوذ من المأثم والمغرم؟ فقال له القائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم يا رسول الله: فقال: إن الرجل إذا غرم حدَّث فكذب، ووعد فأخلف.(٣)

(١) انظر: المفهم (٢/٣١٩)، وشرح صحيح مسلم للنووي (٣/٣١٥) وزاد المعاد (٤/١٨٨)، وفيض القدير (٢/١٢١).

(٢) صحيح الترمذي (٢٣٠٨)، و صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٥٠).

(٣) صحيح البخاري (٢٣٨) (٢٣٩٧) ، ومسلم (٥٨٩).

المفردات:

المأثم: الإثم، وما يجر إلى العقوبة والذم.

المغرم: الدَّين.[١]

وكلاهما دين: «المغرم: دين الآدمي، والمآثم: دين الله تعالى».[٢]

الشرح:

كان النبي ﷺ يكثر من الاستعاذة من الإثم، والمعاصي، والذنوب وما يوجبها، من الأسباب في الأقوال والأفعال والأخلاق، وكذلك كثرة استعاذته ﷺ من الديْن، لأنه كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ قد يحتج صاحبه بالكذب، وإخلاف الوعد، وهما من صفات أهل النفاق، ولأنه قد يشتغل به قلبه، وربما مات قبل وفائه، فبقيت ذمته مرتهنة به، ونفسه محبوسة عن دخول جنة الخلد، قال ﷺ «نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه»[٣]، وهو إما الاستدانة فيما يكرهه الله، أو فيما يجوز ثم عجز عن أدائه، أما الدين الذي احتاج إليه وهو قادر على أدائه فلا يستعاذ منه، ويدخل في الدين ما يلزم الإنسان أداؤه بسبب جناية، أو دية، أو معاملة ونحو ذلك، وقد أخبر ﷺ أن من استدان وأراد أن يرد ولم يستطع، كان معه العون من الله قال ﷺ: «إن الله مع المدين حتى يقضي دينه»[٤] هذا ما لم يكن فيما يكرهه الله.[٥]

الفوائد:

يستفاد من هذا الحديث سد الذرائع، لأنه ﷺ استعاذ من الدين، لأنه في الغالب ذريعة إلى الكذب في الحديث، والخلف في الوعد[٦]، والانشغال عن الواجبات الشرعية،

---

(١) انظر: النهاية (٦٦٩)، والمفهم (٢/١٦٧)، وشرح النووي على مسلم (٩/٣٦).
(٢) من كلام ابن عثيمين رحمه الله في «التعليق على المنتقى» (١/٢٧٦).
(٣) صحيح الترمذي (١٠٧٨).
(٤) صحيح الترغيب والترهيب (١٨٠٨).
(٥) النهاية (٦٦٩)، والفتوحات الربانية (١/٦٠٤)، وشرح النووي (٩/٣٦).
(٦) الفتح (٥/٧٦).



والأعمال الصالحة. وأنه ينبغي للداعي أن يكثر الاستعاذة منهما اقتداء بالمصطفى ﷺ، والاستعاذة من كل سبب يوقع العبد في الضرر والشر، في أمور دينه وآخرته.

❃ ❃ ❃ ❃ ❃

(٥٧) «اللهم إني أسألك صحَّة في إيمان، وإيماناً في حسن خلق، ونجاحاً يتبعه فلاح، ورحمة منك وعافية، ومغفرة منك ورضواناً».

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دعا سلمان الخير فقال: إن رسول الله يريد أن يمنحك كلمات تسألهن الرحمن، وترغب إليه فيهن، وتدعو بهن في الليل والنهار، قل:............[1]

المفردات:

الصحة هي: العافية.

النجاح: هو حصول المطلوب والمنوال.

والفلاح: الفوز بالبغية والظفر.[2]

الشرح:

قوله: **«اللهم إني أسألك صحة في إيمان»:** أسألك يا الله بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا صحةً في بدني، مع تمكن التصديق في قلبي، وأسألك صحة إيماني، وقوة يقيني[3]، أي: أن يكون إيماناً صحيحاً عن كل ما يفسده من أمراض: الشهوات، والشبهات[4]، جمع في مطلبه العافية والسلامة الظاهرة والباطنة، الحسية والمعنوية، وهذا من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ، وخص في مطلبه أعظم مقصود وهو الإيمان، الذي عليه الفلاح في الدنيا، ويوم لقاء الديان.

قوله: **«وإيماناً في حسن خلق»:** وأسألك إيماناً مصاحباً مع حسن خلق، فسأل

---

(١) رواه النسائي في الكبرى (١٠٤٠٤)، وأحمد في المسند (٢/٣٢١)، والحاكم في المستدرك (٢/٥٢٣)، وقال: «صحيح الإسناد» وصححه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (١/٣٨).

(٢) انظر المعاني السابقة في النهاية مادة (صحح)، (نجح)، (فلح).

(٣) فيض القدير (٢/١٤١).

(٤) انظر: التنوير (٣/١٥٩).

اللّه أن يجمع له كمالين، كمال الباطن وهو: الإيمان الصحيح، وكمال الظاهر وهو: الخلق الحسن، وهو بذل المعروف قولاً، وفعلاً، وكف الأذى قولاً، وفعلاً.

قوله: «ونجاحاً يتبعه فلاح»: أسألك يا اللّه نجاحاً يتبعه حصولاً للمطلوب في الدنيا، ويتبعه فوزاً ونجاةً في اليوم الموعود.[1]

قوله: «ورحمةً منك وعافية»: نكّر الرحمة، أي أسألك رحمة عظيمة، لا يدرك كنهها إلا أنت، لأن في حصول رحمتك: تتوالى الآلاء والنعم، وفي عافيتك: السلامة من كل المصائب، والشرور، والنقم.

قوله: «ومغفرةً منك ورضواناً»: نكر المغفرة كذلك، لتعم كل الذنوب بالصفح، والستر، أي: وأسألك ستراً عظيماً لذنوبي، ورضواناً منك، الذي هو مناط الفوز بخيري الدنيا والآخرة، كما قال تعالى ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ (التوبة). أي رضا اللّه أكبر وأجل وأعظم من كل نعيم، في روضات الجنان.

الفوائد:

إنَّ التوفيق إلى الدعاء من أعظم المنح الربانية. أن من كمال رحمته تعالى: أنه يجيب من دعاه ولا يخيبه. أن الأدعية المهمة ينبغي للعبد أن يدعو بها في ليله ونهاره. من فقه الداعي أن يعتني بمدلولات الألفاظ، وما تحمله من جليل المعاني، كمعرفة التنكير كما في (الرحمة)، والتنوين كما في (صحةً، وإيماناً...). أن إرشاد وتعليم الدعاء للغير ينبغي أن يختار فيه من الألفاظ المشوقة والمرغبة فيه. أن المطالب الشرعية هي أهم المقاصد الذي ينبغي للداعي ملازمتها وتكرارها، في غالب أدعيته والتي من أجلها مسائل الإيمان، الذي عليها مدار الفلاح في دار الأفراح، كما في قوله «صحةً في إيمان»، و«إيماناً في حسن خُلق».

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

---

(١) أوراد الذاكرين (١٦٠) بتصرف.

(٥٨) «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال».

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول:.......[١]
وجاءت رواية عن عبدالله بن عباس: أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن.[٢]

الشرح:

هذا الحديث في غاية الأهمية والشأن لذا كان ﷺ ما صلى أربعاً أو اثنين إلا دعا به[٣] وأمر به بعد كل تشهد كما في هذه الرواية، وكان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن وهذا يدل على غاية الاعتناء والاهتمام به.

قوله: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم»: قدم التعوذ منها، لأنها الغاية التي لا أعظم منها في الهلاك والعياذ بالله، وجهنم اسم للنار التي أعدها الله للكفار يوم القيامة.

قوله: «ومن عذاب القبر»: وعذابه حق وثابت في الكتاب والسنة، وهو نوعان: دائم وهو للكفار والمنافقين، ومؤقت لعصاة المسلمين ،فيعذبون على قدر ذنوبهم ثم يرفع عنهم، كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ، وحكم تقديم ذكر عذاب القبر على فتنة الدجال وغيرها، أن عذابه أطول زمناً، وأبلغ مكانة، وأفظع موقعاً، وأخوف هلاكاً.

قوله: «فتنة المحيا»: هو كل ما يعرض على الإنسان في زمن حياته من الإفتتان بالدنيا، وشهواتها، وغرورها، وزخرفها، من النساء، والأموال، والأولاد، وكذلك من فتن الدين وهي أعظم من فتن الدنيا، من التعرض للشبهات والزيغ، من الكفر، والشرك ،والنفاق، والبدع، وكذلك الموت والعياذ بالله تعالى من سوء الخاتمة.

قوله: «فتنة الممات»: هي الفتنة في زمن الموت، من أول النزع وما فيه من الشدائد،

---

(١) صحيح البخاري (٨٣٢)، مسلم واللفظ له (٢٨٦٧).
(٢) صحيح مسلم (٥٩٠).
(٣) رواه ابن حبان في صحيحه (٣/٢٨٣) وصحح إسناده العلامة الأرنؤوط.

وما يكون بعده من أهوال، ويدخل فيها كذلك سوء الخاتمة من عدم النطق بالشهادة، والتخلص مما عليه من الحقوق، ويدخل في ذلك فتنة سؤال الملكين في القبر كما صح عن النبي ﷺ: «إنكم تفتنون في قبوركم، مثل أو قريباً من فتنة الدجال».[1][2]

قال البطال رحمه الله في معنى «فتنة المحيا والممات»: «هذه كلمة جامعة لمعان كثيرة، وينبغي للمرء أن يرغب إلى ربه في رفع ما نزل، ودفع ما لم ينزل، ويستشعر الافتقار إلى ربه في جميع ذلك.[3]

قوله: «ومن شر فتنة المسيح الدجال»: استعاذة من شر فتنته بعد الاستعاذة من فتنة المحيا وهو داخل بها، من عطف الخاص على العام، دلالة على عظيم فتنته، وقوة بليته، فإنه لم يكن في الدنيا فتنة قبل يوم القيامة أعظم منها.[4]

الفوائد:

قال ابن القيم رحمه الله: «أمر أن يستعيذ بالله من مجامع الشر كله، فإن الشر إما عذاب الآخرة، وإما سببه، فليس الشر إلا العذاب وأسبابه، والعذاب، نوعان: عذاب في البرزخ، وعذاب في الآخرة، وأسبابه الفتنة، وهي: نوعان: كبرى، وصغرى، فالكبرى: فتنة الدجال، وفتنة الممات، والصغرى: فتنة الحياة التي يمكن تداركها بالتوبة، بخلاف فتنة الممات، وفتنة الدجال، فإن المفتون فيهما لا يتداركها».[5]

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(٥٩) «اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ».

عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال للرسول ﷺ: علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: قل:.................[6]

---

(١) البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٥).
(٢) انظر: فتح الباري (١١/٢١٠)، ودليل الفالحين (٧/٢٤٧).
(٣) نقلاً من الفتح (٢/٤١٢).
(٤) المصدر السابق (٢/٤١٢).
(٥) كتاب الصلاة (١٨٥).
(٦) البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٢٧٠٥).

المفردات:

ظلمت نفسي: الظلم: وضع الشيء في غير محله، وهو على مراتب: أعلاها الشرك، ويندرج تحته الذنوب الكبيرة والصغيرة.(١)

فاغفر لي: الغفر: الستر والتغطية، مأخوذة من المغفر، وهو الذي يوضع على رأس المحارب لحمايته من السهام وهو يفيد فائدتين: الستر، والوقاية فهو: وقاية وحماية، فالمغفرة هي: ستر الذنب، والتجاوز عنه.(٢)

الرحيم: هو ذو الرحمة الواسعة للمؤمنين يوم الدين، قال تعالى: ﴿**وكان بالمؤمنين رحيما**﴾ (الأحزاب: ٤٣).(٣)

الشرح:

في تعليم النبي ﷺ لأبي بكر هذا الدعاء دون غيره من الأدعية في أمور الدنيا، إشارة إلى إيثار أمر الآخرة، على أمر الدنيا الزائلة، وخصّ الدعاء بالصلاة لأنها بالإجابة أحق، فهي محال المناجاة بين العبد، والرب جل جلاله.

ولا يخفى في اختيار الحبيب للحبيب في مناجاة السميع القريب، له دلالة على عظم شأن هذا الدعاء، فيجدر باللبيب العناية به استناناً واقتداء بالحبيب، والركب في طريق الصديق رضي الله عنه، ومن تأمل هذا الدعاء العظيم وما احتواه من مسائل مهمة في أمور الدنيا والآخرة، ظهر له من جلالته.

قوله: «**اللهم إني ظلمت نفسي**»: هذا اعتراف وإقرار من العبد إلى ربه سبحانه بالتقصير بملابسته ما يستوجب العقوبة والنقص، وفيه دليل أن الإنسان لا يعرى عن التقصير ولو كان صديقاً.

قوله: «**ظلماً كثيراً**»: أكده بالمصدر، ووصفه: تحقيقاً لدفع المجاز، مبالغة وزيادة في التذلل والخضوع للمولى سبحانه وتعالى».(٤)

---

(١) المفردات (٥٣٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/٤٠٧)، وتفسير آل عمران لابن عثيمين (٢/١٦٦).

(٣) بدائع الفوائد (١/٢٤).

(٤) الفتح (٢/٤١٣)، والفتوحات الربانية (١/٦٠٩)، ودليل الفالحين (٤/٣٠٩).

«وفيه دليل على أن الواجب على العبد أن يكون على حذر من ربه تعالى في كل أحواله، وإن كان من أهل الاجتهاد في عبادته في أقصى غاية، إذ كان الصديق مع موضعه في الدين لم يسلم مما يحتاج إلى الاستغفار إلى ربه تعالى منه».[1] فمن باب أولى من كان دونه.

قوله: **«ولا يغفر الذنوب إلا أنت»**: والمعنى: أنه لا أحد يقدر على غفر الذنب، إلا أنت وحدك، لأنك أنت الإله العظيم القادر على كل شيء ومن ذلك: أنك المتفرد في الستر على العيوب، والتجاوز عن الذنوب، «فهي حالة افتقار، فأشبه حال المضطر الموعود بالإجابة ليس له حيلة في دفعه».[2] وفائدة الاعتراف: محو الاقتراف.[3]

قوله: **«فاغفر لي مغفرة من عندك»**: دل تنكير «مغفرة» على أن المطلوب غفران عظيم الشأن، لا يدرك كنهه، كما بينه قوله: **«من عندك»** ووصفه بكونه من عند اللّه تعالى، بيان لذلك العظم، فإن ما يجيء به من العظيم حقه أن يكون عظيماً، لا يحيط به وصف واصف، وفيه إشارة إلى طلب مغفرة متفضل بها، لا يقتضيها سبب من العبد من عمل حسن، ولا غيره.

والمعنى: هب لي مغفرة تفضلاً، وإن لم أكن لها أهلاً بعملي لهذا أضافها إليه كما تقدم، فإنها تكون أعظم وأبلغ[4] فإن عظم العطاء، من عظم المعطي.

ثم لما كانت التحلية بعد التخلية، قال: **«وارحمني»**.

وقدم **«ظلمت نفسي»**، وهو الاعتراف بالتقصير والذنب، على سؤال المغفرة «فاغفر لي»، أدباً جميلاً، كما قال ذلك أبوانا: آدم وحواء: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (الأعراف).

ولا يخفى حسن ترتيب هذا الدعاء: حيث قدم الاعتراف بالذنب، ثم الإقرار

(١) الفتوحات الربانية (٦٠٩/١).
(٢) الفتح (٤١٣/٢).
(٣) التنوير (٤٣١/٦).
(٤) دليل الفالحين (٣٠٩/٧)، والفتح (٤١٣/٢).

بالوحدانية، ثم سؤال المغفرة، فإن الاعتراف بذلك أقرب إلى العفو والثناء على السيد بما هو أهله، وأرجى لقبول سؤاله.

قوله: «**إنك أنت الغفور الرحيم**»: ختم السؤال بأحسن ختام، وأنسب مكان، باسمين من أسمائه الحسنى الكمال، «الغفور الرحيم»، وهما من صيغ المبالغة، وقوله: «**إنك أنت**»: مشعر بالتعليل لما قبله من التوسل والسؤال،، أي: ما سألتك ودعوتك إلا لأن من دعاك ولجأ إليك في طلب المغفرة والرحمة: إلا غفرت له، ورحمته، لأنك كثير المغفرة، وكثير الرحمة بنا يا ربنا، فتضمن هذا الدعاء توسلين عظيمين:

الأول: توسل بضعف النفس وتقصيرها وضعفها، وهو توسل بضعف الداعي وعجزه، وأنه غير قادر بالقيام على مصالحه وشؤونه، وهو من التوسلات الجليلة التي يحبها اللّٰه تعالى كما تقدم.

الثاني: توسل بأسمائه الحسنى، المناسبة للمطلوب «على جهة المقابلة ما تقدم، فـ«الغفور» مقابل «اغفر لي»، و«الرحيم» مقابل «ارحمني».[1] وهو ما أمر اللّٰه تعالى به في الدعاء بأسمائه الحسنى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف: ١٨٠).

وفي الاقتران بين الاسمين فيه مزيد من معاني الكمال والجلال، غير الكمال في كل اسم بمفرده ففي «الجمع بينهما فائدة عظيمة، وهي: الجمع بين الوقاية والعناية، فالوقاية بالمغفرة: يقيك اللّٰه تعالى شر الذنوب، والعناية بالرحمة: يعتني اللّٰه بك، فييسرك لليسرى، ويجنبك العسرى»[2]، وهي الغاية الكبرى المطلوبة في الآخرة والأولى.

الفوائد:

قال الكرماني: هذا الدعاء من الجوامع، لأن فيه الاعتراف بغاية التقصير وطلب غاية الإنعام، فالمغفرة بستر الذنوب ومحوها، والرحمة إيصال الخيرات.[3][4]

(١) الفتح (٢/٤١٣).

(٢) تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين (١/١٩٣).

(٣) أي من لوازم الرحمة وآثارها إيصال الخيرات والإنعام والإفضال.

(٤) فتح الباري (١١/١٣٢).

ففي هذا الدعاء بيان: أنه ينبغي للعبد أن يشعر تقصيره على الدوام حتى لا يغتر في عمله، ويكون دائماً الرجاء في السؤال بلسان الحال أو بالمقال، وأن الاعتراف بالذنب والإقرار به من موجبات الإجابة، فهو من التوسل بضعف العبد وعجزه ونقصه، وأنه ينبغي أن يتخير من أسمائه تعالى الحسنى المناسبة لدعائه.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(٦٠) «... اللهم طهرني بالبرد والثلج والماء البارد، اللهمَّ طهرني من الذنوب، ونقني كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس».

عن عبدالله بن أبي أوفى، أن النبي ﷺ كان يدعو:.............[١]

الشرح:

قوله: «**اللهم طهرني بالبرد والثلج والماء البارد**»: اللهم طهرني بأنواع مغفرتك، التي تمحق الذنوب، والتطهير بالأنواع الثلاثة عبَّر بذلك عن غاية المحو، فإن الثوب الذي يتكرر عليه ثلاثة أشياء منقية، يكن في غاية النقاء، فذكر الثلج والبَرَد مبالغة في توكيد التطهير، ولهذا عدل عن الماء الحار إلى الثلج والبرد، مع أن الحار في العادة أبلغ في إزالة الوسخ، الإشارة إلى أن الثلج والبرد ماءان طاهران لم تمسهما الأيدي، ولم يمتهنهما الاستعمال، فكان ذكرهما آكد في هذا المقام.[٢]

قوله: «**اللهم طهرني من الذنوب ونقني كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس**»: جمع بين طهارة الذنوب ونقائها، مبالغة في سؤال الله السلامة من الذنوب ومحو أثرها، كنقاء وصفاء الثوب الأبيض من الوسخ، لأن التطهير فيه أظهر من أي لون آخر.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(١) صحيح مسلم (٤٧٦)، صحيح الأدب المفرد (٥٢٨).

(٢) شأن الدعاء للخطابي (١٦٩).

(٦١) «اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها، اللهم انعشني واجبرني، واهدني لصالح الأعمال والأخلاق، فإنه لا يهدي لصالحها، ولا يصرف سيئها إلا أنت».

عن أبي أيوب الأنصاري قال: ما صليت خلف نبيكم إلا سمعته حين ينصرف من صلاته يقول:....
وعن أبي أمامة قال: «ما دنوت من رسول الله ﷺ في دبر صلاة مكتوبة، ولا تطوع إلا سمعته يقول:....(١)

المفردات:

انعشني: بفتح العين وسكون المعجمه، أي: ارفعني، يقال: نعشه الله ينعشه نعشاً: إذا رفعه وأقامه[٢]، والمقصود: أي: ارفعني وقو جأشي.[٣]

اجبرني: بضم الموحدة، الجبر: أن تغني الرجل من الفقر، أو تصلح عظمه من الكسر.[٤]

الشرح:

قوله: «**اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي**»: أي: أسألك يا الله بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا أن تستر علي ذنوبي، وأن تتجاوز عنها، والذنوب جمع: ذنب، وهو ماله تبعة دنيوية، أو أخروية، مأخوذ من الذَنَب، و«خطاياي»، أي: بسترها كذلك، وقضية العطف أن الخطايا غير الذنوب، فقيل بالذنوب: الكبائر، وبالخطايا: الصغائر، والمقصود مغفرة جميع الذنوب.

قوله: «**كلها**»: توكيد، أتي به للتعميم، ليشمل جميع المخالفات، صغيرها وكبيرها، سرها وعلانيتها.[٥]

قوله: «**اللهم انعشني**»: أي: ارفعني، وقو جأشي، وأعل همتي إلى طاعتك.

---

(١) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٢١١٧)، وحسنه محقق الكتاب الشيخ سليم الهلالي (١٦٧/١)، وحسنه ابن حجر في مختصر زوائد البزار (٤٣٣/٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٦٦).
(٢) النهاية (٩٢٦). والمصباح المنير (٣٥٤).
(٣) فيض القدير (١٤٥/٢).
(٤) تهذيب اللغة (٧٥/١)، والمفردات (٣٨١).
(٥) الفتوحات الربانية (٦٤٧/١)، وفيض القدير (١٤٥/٢).

قوله: «**واجـبرني**»: الجبر هو: أن يصلح المنكسر، ورد عليه ما ذهب منه، أو العوض له، ففيه توسل إلى اللّه تعالى بصفة (الجبروت) المشتقة من اسمه (الجبار)، الذي من معانيه: المصلح أمر خلقه، المصرفهم فيما فيه صلاحهم. فيجبر ضعف الضعيف منهم. فيجبر كسرهم، ويغني فقرهم، وييسر على معسرهم.[1]

والمقصود: أصلح شأني، وأي نقص فينى، وأن تسد حاجتي، وأن ترد عليَّ ما ذهب مني، وأن تعوضني خيراً مما فاتني.

قوله: «**واهدني لصالح الأعمال والأخلاق**»: أي: دلني، وأرشدني، ووفقني إلى أحسن، وأفضل الأعمال، الظاهرة والباطنة، التي ترضيك عني، ووفقني إلى أحسن وأكمل الأخلاق، وهي جمع: خلق بالضم، وهو الطبع والسجية، وجمعه: باعتبار مخالفته للناس، ومجاملتهم، كما في الحديث: «وخالق الناس بخلق حسن[2]».

قوله: «**فإنه لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها إلا أنت**»: فيه إقرار وتأكيد له تعالى، على تصريفه لجميع الأمور، ومن جملتها الهداية، أي: لا يستطيع أحد سواك ذلك، «لأنك المقدر للخير والشر، فلا يطلب الخير إلا منك، ولا دفع شر إلا منك وحدك، وفيه حذف وتقديره، أي: واصرف عني سيئ الأعمال، فإنه لا يهدي..».[3]

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(٦٢) «اللهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين».

عن أبي سعيد الخدري قال: أحبوا المساكين فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في دعائه:........

وفي لفظ: «واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة».[4]

---

(١) الطبري (٣٦/٢٨) ابن كثير (٣٤٣/٤) فتح الرحيم الملك (٨١).

(٢) صحيح الجامع (٩٧).

(٣) فيض القدير (١٤٥/٢).

(٤) صححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٤١٢٦)، وصحيح الترمذي (٢٣٥٢) وتكملة الرواية عنده: (يا عائشة أحبي المساكين وقربيهم، فإن الله يقربك يوم القيامة)، سلسلة الصحيحة (٣٠٨).

المفردات:

الحشر: الجمع.

الزمرة: بالضم الجماعة.

المسكين: تدور معاني هذه الكلمة على: الخضوع والذلة، وقلة المال، والحال السيئة[1] فيطلق: على الفقير، ويطلق على من استكان قلبه لله عز وجل وتواضع، وهذا هو المقصود بهذا الحديث.

الشرح:

قول الصحابي الجليل أبي سعيد الخدري «**أحبوا المساكين**» يعني الفقراء لما فيهم من التواضع، والإخبات، والبعد عن الكبر، والعتيان.

قوله: «**اللهم أحيني مسكيناً**» يعني خاشعاً متواضعاً، فإنه ﷺ لم يسأل المسكنة التي يرجع معناها إلى القلة، وإنما سأل المسكنة التي يرجع معناها إلى الإخبات والتواضع، وألا يكون من الجبارين والمتجبرين، وأن لا يحشره في زمرة الأغنياء المترفين، لأنه عليه الصلاة والسلام قد استعاذ من الفقر، وهو خلو اليد من المال[2]، لا المسكنة التي هي نوع من الفقر.[3]

قوله: «**وأمتني مسكيناً**»: أي: توفني على هذه الصفة العظيمة، وهي: الذل والافتقار، لله الواحد القهار.

قوله: «**واحشرني في زمرة المساكين**»: أي: اجمعني في جماعتهم، بمعنى اجعلني منهم[4]، ومعهم في الدار الآخرة، سأل الله تعالى أن يكون معهم في كل أحواله، في الدنيا، والممات، والمعاد.

---

(١) التنوير (٣/٩٠).

(٢) كما في حديث رقم (١٧) .

(٣) فيض القدير (٢/١٠٢)، وإنجاز الحاجة (٩/٢٦١)، وتحفة الأحوذي (٦/٣٢٢).

(٤) تحفة الأحوذي (٦/٣٢٢)..

الفوائد:

في هذا الحديث الجليل دلالة ما للمساكين من شرف عظيم، فلو قال «واحشر المساكين في زمرتي» لكفاهم شرفاً وكيف وقد قال «**واحشرني في زمرة المساكين**».[1] وهذا يدل على كمال تواضعه ﷺ، وعظيم عبوديته لربه، وإيثار عبودية ربه على هوى النفس، وقوله ﷺ: «**وقربيهم فإن الله يقربك يوم القيامة**»، فيه مزية أخرى لهم، وهو أن في تقريبهم في هذه الدار، يكون جزاء وفاقاً في القرب من الله تعالى، في دار القرار.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(٦٣) «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله رب العالمين، لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وعافني، وارزقني».

عن أبي مالك الأشجعي ، عن أبيه رضي الله عنهما، أنه سمع النبي ﷺ وقد أتاه رجل، فقال له: يا رسول الله كيف أقول حين أسأل ربي؟ قال: «قل: اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وعافني، وارزقني». قال: قال ﷺ فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك.[2]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقول بين السجدتين في صلاة الليل:

«**اللهم اغفر لي، وارحمني، واجبرني، وارزقني، وارفعني، واهدني، وعافني**» وفي لفظ «**اللهم**».[3]

المفردات:

اجبرني: يطلق الجبر على القوة، والعظمة، والارتفاع، والطول، والممتنع عن الذل والقهر، وإصلاح الشيء: بضرب من القهر، ومنه: جبر العظم، أي: أصلح كسره، وجبر الفقير، أي: أغناه.[4] وهو مشتق من اسمه تعالى «الجبار».

---

(١) فيض القدير (٢/١٠٢).

(٢) مسلم (٢٦٩٦).

(٣) صححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٨٩٨)، وصحيح أبي داود (٨٥٠)، وصحيح الترمذي (٢٨٤).

(٤) المفردات (١٨٣)، وتهذيب اللغة (١٥٧/١١١)، وتفسير أبي مظفر السمعاني (٢/٢٦).

الشرح:

هذا الدعاء الجليل جامع لمطالب خيري الدارين، ودفع الشر فيهما، بأوجز لفظ، وأجمع معنى، لهذا قال ﷺ: «**فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك**».

قوله: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له...**»، قدم جملاً من الثناءات العظيمة على الله تعالى قبل السؤال، لأنها من أكبر أسباب في قبوله، لأن الوسيلة، مقدمة على الوصيلة.

قوله: «**اللهم اغفر لي**»: سؤال الله تعالى المغفرة، وهو محو الذنوب، وستر العيوب، عن أعين المخلوق، «بدأ بالمغفرة لكونها تخلية، لما فيها من التنزيه من قذر المعصية»[1] لأن شؤمها أصل لكل شر في الدنيا، وفي البرزخ، والآخرة.

قوله: «**وارحمني**»: أي: تعطف عليّ، وارأف بي[2]، سأل الله تعالى الرحمة، لأنها: تقتضي توالي الخيرات، والإحسان، والإنعام، وحصول المسرات، وفي الجمع بينهما: هو جمع بين الوقاية والعناية، وفي تقديم الغفور على الرحيم، لأن المغفرة سلامة، والرحمة غنيمة، والسلامة تطلب قبل الغنيمة، لأن دفع الشر مقدماً على جلب الخير.

ولأن في المغفرة يأمن العبد من كل مرهوب، وفي سؤال الرحمة يفوز العبد بكل مرغوب، وهذا غاية المطلوب.[3]

وكذلك في فوائد التقديم وهو عطف الرحمة على المغفرة، هو عطف للسبب على مسببه، فإن المغفرة مسببة عن الرحمة».[4]

(١) دليل الفالحين (٣٠٣/٤).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٤٩٨/٢).

(٣) انظر «الجامع» أسماء الله الحسنى جلالها، ولطائف اقترانها، وثمراتها في ضوء الكتاب والسنة (٧١ - ٧٢).

(٤) التنوير (٨٢/٨).

قوله: «**وعافني**»: أي: سلمني من جميع الآفات، والشرور، والفتن، والنجاة، من كل البلايا، والمصائب والمحن، في السر والعلن، في الدين، والدنيا، والآخرة.

قوله: «**وارزقني**»: أعطني ما ينفعني عطاء واسعاً بما يغنيني عن سواك، من الرزق الحلال، أستعين به على القيام بالتكاليف المطلوبة من الإنفاق على الأهل، والولد، والفقير، وغير ذلك، وارزقني العلم، والإيمان، واليقين، فتضمنت هذه الدعوة سؤال رزق الأبدان، والأرواح.

قوله: «**واهدني**»: أرشدني ووفقني للحق الذي الصلاح فيه الحال، والمآل حتى أتوصّل به إلى أبواب السعادة في الدنيا والآخرة، فإن الهداية هديتان كما تقدم: هداية علم وبيان، وهداية توفيق ورشد، فينبغي للداعي أن يستحضرهما في دعائه، لأنه الهداية فيها يتوصل العبد إلى أبواب السعادة في الأولى، والعقبى.

قوله: «**واجبرني**»[(١)]: فيه سؤال الله عز وجل أن يجبره، لما فيه سد حاجته، وأن يرد عليه ما ذهب من خير، وأن يعوضه، ويصلح ما نقص منه، وهو توسل بصيغة الوصف لاسمه الجليل «الجبار»، الذي من معانيه الجليلة: أنه يجبر ضعف الضعيف من عباده:

١ - فيجبر الكسر.

٢ - ويغني الفقير.

٣ - ويسر على المعسر كل عسير.

٤ - ويجبر القلوب المنكسرة لأجله، الخاضعين لجلاله وعظمته.

٥ - ويجبر ضعف الأبدان، فييسر لها أسباب الشفاء لها.

٦ - ويجبر عبده المؤمن بإصلاح حاله ومآله.[(٢)]

---

(١) كما في رواية ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) الحق الواضح (٧٧)، وفتح الرحيم الملك (١٨)، وشأن الدعاء (٤٨).

قوله: «وارفعني»: سأل اللّٰه تعالى أن يرفع قدره في الدنيا والآخرة، كما في حذفه المفعول، الذي يفيد العموم، ففي الدنيا: رفع المكانة والقدر، من الثناء الحسن، والقبول عند الناس، والرفعة في العلم والشأن، وفي الآخرة: في الدرجات العلا في أعلى الجنان، قوله: **«هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك»**: أي: تجمع لك كل الخيرات والمطالب التي تطلبها وتأملها في دنياك وآخرتك، وتتضمن الوقاية والسلامة من كل شر فيهما، فجاءت هذه المطالب الجليلة مع اختصارها في غاية المناسبة لحاجة العبد في أمور دينه، ودنياه وأخراه من كل الخيرات، والسلامة من كل الشرور والهلكات.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(٦٤) «اللهم إني أعوذ بك من جار السوء، ومن زوج تُشَيِّبني قبل المشيب، ومن ولد يكون عليَّ رباً، ومن مالٍ يكون عليَّ عذاباً، ومن خَليل ماكر عينه تراني، وقلبه يرعاني، إن رأى حسنة دفنها، وإذا رأى سيئة أذاعها».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان من دعاء رسول اللّٰه ﷺ:.........[1]

الشرح:

هذا الدعاء المبارك فيه استعاذة من خمسة مجاورين، يتصفون بخصال ذميمة، لا ينفك عنهم العبد في عيشه في داره الدنيوية.

قوله: **«اللهم إني أعوذ بك من جار السوء»:** أي أستعيذ بك من كل مجاور جمع الصفات الدنيئة، والأخلاق الرذيلة، قال ﷺ: **«واللّٰه لا يؤمن، واللّٰه لا يؤمن، واللّٰه لا يؤمن، قيل من يا رسول اللّٰه؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه»**[2] أي شروره.

قوله: **«ومن زوج تشيبني قبل المشيب»:** وهي المرأة السوء، وهي التي تراها فتسوؤك لقبح ذاتها، أو أفعالها، وتحمل لسانها عليك بالبذاءة، وإن غبت عنها لم

---

(١) رواه الطبراني في الدعاء (١٣٣٩)، وحسنه محقق الكتاب (٣/١٤٢٥)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٣١٣٧) (٧/٣٧٧).

(٢) مسلم (٤٦).

تأمنها على نفسها، ومالك[1]، وقوله «تُشيبني» أي: فينشأ بسببها الشيب و الهم والغم وسوء العيش، من شرها.

قوله: «ومن ولد يكون عليَّ رباً»: وأعوذ بك من ولد يكون علي مالكاً لعقوقه، وتسلطه عليَّ، وعدم بره بي، كأنه هو المالك السيد، وأنا العبد المملوك عنده.

قوله: «ومن مالٍ يكون عليَّ عذاباً»: أعوذ بك من مال يكون عليّ سبباً للعذاب، لحرصي على جمعه من غير محله، وصرفه في غير محله، ولا أنفقه في مرضاتك، فيوردني سوء العذاب، وشر الموارد والمهالك في الدنيا، ويوم المعاد.

قوله: «ومن خليل ماكر»: أعوذ بك من صديق يظهر المحبة، والوداد والخُلَّه وهو في حقيقة الأمر محتال مخادع كذاب.

قوله: «عينه تراني»: أي ينظر إليَّ بهما نظر الخليل لخليله خداعاً، ومداهنة ومكراً.

قوله: «وقلبه يرعاني»: قلبه يراعي إيذائي وهو لي بالمرصاد، يتربص بي الشر، والسوء، والفساد.

قوله: «إن رأى حسنة دفنها»: إذا علم مني بفعل حسنة فعلتها سترها وغطاها، كما يدفن الميت في التراب.

قوله: «وإذا رأى سيئة أذاعها»: وإذا علم مني بفعل سيئة زللت بها، نشرها، وأظهر خبرها بين الناس[2]. فهذا من كان كذلك حاله، فهو ليس بخليل ولا صديق، بل هو عدوٌ ماكرٌ مبين.

كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ (آل عمران).

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(١) أوراد الذاكرين (٢١٥).

(٢) المصدر السابق، وفيض القدير (٢/١٤٥) بتصرف.

(٦٥) قل «اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، ربَّ كُلِّ شيءٍ ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شرِّ نفسي، وشرِّ الشيطان وشِركه، وأن أقترف على نفسي سوءاً، أو أجره إلى مسلم».

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله! مرني بكلمات أقولهنّ إذا أصبحت وإذا أمسيت قل: ....».

قال: قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك».[١]

المفردات:

فاطر السموات والأرض: من أسماء اللّه تعالى المضافة، والفطرة: الابتداء والاختراع، والمعنى: أنه خالقهما ومبدعهما بغير مثال سابق.[٢]

شركة: بكسر الشين، وسكون الراء، أي: ما يدعوا إليه من الإشراك باللّه، ويروى بفتحتين، أي: مصائده، وحباله التي يفتن بها الناس.[٣]

الشرح:

هذا الدعاء من أعظم الأدعية المقيدة وأجلها، لاشتماله على الاستعاذة باللّه، والالتجاء إليه والاعتصام به سبحانه من الشرور كلها، من مصادرها وبداياتها، ومن نتائجها، ونهاياتها[٤]، وآثارها اللازمة، والمتعدية، وهذه الشرور هي سبب المضار والمساوئ الدنيوية، والشرعية، والأخروية، البادية والخافية، لهذا علمه ﷺ إلى أحب الصحابة إليه، وأن يلازمه في ليله ونهاره، وعند نومه.

ولما كان الأمر في غاية الأهمية والجلل، قدم توسلات عظيمة للرب عز شأنه، من أسمائه الحسنى المضافة، وصفاته العلا الكاملة، استعطافاً للإجابة، من شر هذه الشرور المهلكة.

---

(١) رواه أحمد (٥١)، وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط (١/٢٢٠)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٣٩٢) (٣٥٢٩)، وفي صحيح أبي داود (٥٠٦٧).

(٢) اللسان (٥/٣٤٣٢، ٣٤٣٥).

(٣) شأن الدعاء (١٢٢).

(٤) انظر: فقه الأدعية (٣/٢٧).

قوله: «**اللهم فاطر السموات والأرض**»: أي: «خالقهما ومبدعهما، ومبتدئهما وما فيهما من أجرام عظيمة، وكواكب سيارة، على غير مثال سابق».[1]

قوله: «**عالم الغيب والشهادة**»: يا عالماً بكل شيء، الذي لا تخفى عليك خافيه، في الأرض ولا في السموات العلية، العالم بكل ما غاب عنه البرية، فالغيب عندك شهادة، والسر عندك علانية، والتعبير في ذكره صفة علمه بالغيب والشهادة: لأن الشرور كثيرة منها: مرئية، وأكثرها مخفية غير مرئية، والتي أعظمها وأخطرها الشيطان الذي يرانا ولا نراه، فناسب ذكر هذه الصفة الجليلة.

قوله: «**رب كُل شيء ومليكه**»: فيه توسل إليه تعالى بربوبيته الجليلة، التي لا يخرج عنها أي شيء، المالك والمدبر لكل الخليقة في الأرض والسموات العالية.

ثم أعلن إشهاده له بتوحيده، وإقراره له تعالى بالعبودية فقال: «**أشهد أن لا إله إلا أنت**»: أي: «أعلم، وأبين، وأصدق»[2] أنه لا معبود بحق إلا أنت، أنت الإله الحق، وكل ما عبد من دونك باطل، من عرشك إلى قرار أرضك، وهذا توسل بالعمل الصالح وهو إيمانه به سبحانه، وهذا أعظم أنواع التوسل بالعمل الصالح على الإطلاق، وفي تقديم «الإقرار بالوحدانية على سؤال الاستعاذة تقديماً للوسائل قبل المطالب، من باب إياك نعبد، وإياك نستعين».[3]

ولا يخفى عليك يا رعاك الله، كثرة هذه التوسلات بنعوته تعالى، وصفاته العلية، ووحدانيته، وبإيمانه قبل الاستعاذة من هذه الشرور، يدل دلالة واضحة جلية على عظمها، وشدة خطورتها، وأن العبد لا غنى له عن ربه في أي حال من الأحوال، ومن ذلك شدة حاجته إليه تعالى في العصمة منها.

قوله «**أعوذ بك من شر نفسي**»: بدأ بالاستعاذة بأحد مصدري الشر وهي النفس، فإن شرها يولد الأعمال السيئة القبيحة، والذنوب والآثام الكثيرة، كما قال تعالى:

(١) تفسير ابن جرير (٧/١٠١، ١٣/٤٧).
(٢) دليل الفالحين (٧/٢٨٨).
(٣) التنوير (٨/٧٩).

﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾ (يوسف). وقد تكون الحكمة في تقديم الاستعاذة من شر النفس قبل الاستعاذة من شر الشيطان وهو الأخطر، ولأن كيده، ومحاربته أشد من النفس، وهو السبب في شرها وفسادها، الذي ينشأ من وسوسته، من باب الترقي من الأدنى إلى الأعلى في الشر.[1]

وقوله «**وشر الشيطان وشركه**»: استعاذة من ثاني منبعي الشر، وأصوله، ووسوسته، وإغوائه، وإضلاله، بتحريك فعل المعاصي والذنوب، وتهييج الباطل في النفس والقلب، والوعد بالأماني الكاذبة، والتغرير بالدنيا الفانية، فهو السبب في إضلال أكثر العالمين، وظهور الفساد والشر بكل أنواعه في كل حين.

وقوله «**وشِرْكه**»: «ما يَدْعو إليه من الإشراك بالله تعالى، ويروى بفتح الشين والراء «وشَرَكه» أي حباله، ومصائده[2]، وكلا اللفظين حق فهو يدعو إلى الأمرين.

قوله: «**وأن أقترف على نفسي سوءاً**»: أي: أجر على نفسي سوءاً، وهذه نتيجة من نتائج الشر عائدة على نفس الإنسان.

وقوله: «**أو أجره إلى مسلم**»: أن أتعدى بالسوء على غيري من المسلمين، وهذا نتيجة أخرى من نتائج الشر السيئة إلى المسلمين.

فاستعاذ من مصدري الشر، ومنبعهما وهما: النفس والشيطان، واستعاذ من نتائج الشر، ونهايتهما، وهما: على النفس، أو على أخيه المسلم، فجمع هذا الدعاء مصادر الشر، وموارده، في أوجز لفظه، وأخصره، وأجمعه، وأبينه.[3]

وفي أمره ﷺ لصاحبه أبي بكر في هذه الأوقات الثلاثة، وهي متقلب الإنسان في حياته وأوقاته، لا ينفك عنها البتة، فدل على أنه ينبغي المداومة في الاستعاذة منهما لشدة خطرهما.

---

(١) فيض القدير (٤/٥٢١) بتصرف.

(٢) كما تقدم في المعنى اللغوي.

(٣) انظر بدائع الفوائد (٢/٢٠٩).

فاحرص رعاك الله على هذا الدعاء العظيم، واستحضر ما تضمنه من معانٍ ودلالات جليلة، حتى يعظم رجاؤك، ويستجاب دعاؤك.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(٦٦) «اللهم إني أعوذ بك من يوم السوء، ومن ليلة السوء، ومن ساعة السوء، ومن صاحب السوء، ومن جار السوء في دار المقامة».

عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول:............[١]

الشرح:

قوله: «اللهم إني أعوذ بك من يوم السوء»: استعاذة بالله تعالى من يوم يكون فيه القبح والفحش والشر، وتكون فيه المصائب ونزول البلاء أو تكون فيه الغفلة بعد المعرفة[٢]، وكل ما تكرهه النفوس من أيام الدنيا ويحتمل كذلك من أيام الآخرة[٣] وبالجملة: فهذه استعاذة جامعة من جميع الشرور والهلكات الحسية والمعنوية، الشرعية والمعاشية، التي تقع في اليوم.

قوله: «ومن ليلة السوء»: عطف الخاص على العام، لأن وقوع الشر في الليل أكثر وأشد لخفائه، أي: وأعوذ بك من ليلة، ينزل أو يكون فيها شر، وسوء، وبلاء.

قوله: «ومن ساعة السوء»: تخصيص بعد تخصيص، لشدة الافتقار إلى حفظ الله له في كل الأحوال، والزمان، والمقام. وهذا من بسط الدعاء وتكثير ألفاظه، لأنه عبودية، كلما أطال به الداعي زادت عبوديته لربه، وقربه منه، وهذا منتهى الإرادات، وغايات الأمنيات.

قوله: «ومن صاحب السوء»: وأستجير بك من صاحب الشر الذي ليس فيه صلاح، فإن مصاحبته فيها ضر وهلاك في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٧/٢٩٤) برقم (٨١٠)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٤٣)، وفي صحيح الجامع (١٢٩٩) .

(٢) فيض القدير (٢/١٣٩).

(٣) التنوير (٣/١٥٦).

﴿عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ۝٢٩﴾ (الفرقان).

قوله: «ومن جار السوء في دار المقامة»: «لأن شره دائم وأذاه ملازم، الذي لا يأتمر بأوامر الله تعالى ولا ينتهي عن نواهيه، والتي منها معرفة حق الجار، ويشمل جار المقام: الزوجة والخادم والصديق الملازم، وفيه إيماء إلى أنه ينبغي تجنب جار السوء والتباعد بالانتقال عنه إن وجد إلى ذلك سبيلاً».[1]

وجاء في رواية أخرى عن النبي ﷺ أنه قال: «اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فإن جار البادية يتحول»[2] فيه بيان علة الاستعاذة من جار السوء في دار المقام فإنه ثابت ولا يتحول «بخلاف جار البادية، فمدته قصيرة يمكن تحملها، فلا يعظم الضرر فيه».[3]

الفوائد:

فيه بيان أنه يستحب للداعي أن يذكر سبب دعوته، وتفصيل معاناته لربه حال الدعاء، وبث الشكوى والهم والحزن له تعالى، وإظهار العبد فاقته وفقره واحتياجه إلى ربه الذي هو روح العبادة ولبُّها، فإن أحق من يلجأ إليه ويشكو له كل شيء هو ربنا عز وجل، فإن هذا هو دأب خير عباد الله عزوجل، كما ذكر عن يعقوب عليه السلام قال: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨٦﴾ (يوسف)، و«أن المسافر إذا وجد من أحد رفقته ما يذم شرعاً فارقه»[4]، وتضمن هذا الدعاء الاستعاذة بالله تعالى من دخول النار لأن من كما جاره من أهل النار، دل على أنه هو نفسه من أهلها، عياذاً بالله تعالى والله أعلم».[5]

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(١) أوراد الذاكرين (١٦٣).
(٢) صحيح الأدب المفرد (٨٦).
(٣) أوراد الذاكرين (١٦٣)
(٤) المصدر السابق (١٦٣).
(٥) شرح الأدب المفرد للعوايشة (١/١٤٥).

(٦٧) «اللهم قنِّعني بما رزقتني، وبارك لي فيه، واخلف عليَّ، كُل غائبةٍ لي بخير».

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يدعو، يقول:......................[١]

الشرح:

هذه الدعوة المباركة تتضمن مطالب جليلة، ومقاصد مهمة في القيام بالعبودية لرب البرية، من ذلك:

أ) القناعة.

ب) والرضا بالقضاء والقدر.

جـ) والتفويض

د) والتوكل.

هـ) وقوة الرجاء.

و) وحسن الظن بالله تعالى.

قوله: «اللهم قنعني بما رزقتني»: اللهم إني أسألك أن ترضِّني بما آتيتني من الكفاف، مما أستغني به عن السؤال، واجعلني راضياً برزقك، منشرح الصدر والبال.

قوله: «وبارك لي فيه»: أي: وزدني في رزقي، واجعله نامياً، وخيراً دائماً، من الحلال الطيب.

قوله: «واخلف عليَّ كُل غائبة لي بخير»: وأسألك «أن تجعل لي عوضاً حاضراً، أو عمّا غاب علي وفات، أو لا أتمكن من إدراكه» سواء ما غاب عني من مال، أو ولدٍ، أو أي غائبة من الأقدار، وعواقب الأمور، حتى يعود إليَّ بالخير»[٢] العاجل أو الآجل.

(١) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/٥١٠)، والبيهقي في الدعوات الكبير برقم (٢٤٢)، وحسنه الحافظ ابن حجر كما في الفتوحات الربانية (٤/٣٨٣).
(٢) فضل الله الصمد (٢/٣٣). وتحفة الذاكرين (٢٤٢).

الفوائد:

تضمنت هذه الدعوة سؤال اللّه تعالى الرزق الحلال المبارك النامي على الدوام، مع القناعة والرضى بكل ما يأتي من اللّه سبحانه، والخلف على كل ما فات على العبد من الأقدار، ومن عواقب الأمور، في أمور الدين، والدنيا، والآخرة، بأن يكون خيراً منه، سأل اللّه تعالى ذلك حتى لا ينشغل بالحزن والندامة والحسرة على ما فاته، فيفوت عليه الخير الكثير.

❃ ❃ ❃ ❃ ❃

(٦٨) «اللهم أصلح لي ديني، ووسِّع عليَّ في ذاتي، وبارك لي في رزقي».

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ فتوضأ وصلى ثم قال:................[١]

المفردات:

ذاتي: الذات: عبارة عن عين الشيء، أي: نفس الموصوف، وحقيقته.[٢]

الشرح:

قوله: **«اللهم أصلح لي ديني»:** قدم هذا المطلب، لأنه أجل المطالب الشرعية على الإطلاق، فإن من صلح دينه، فاز وفلح في معاشه، ومعاده، وعصم من كل شر فيهما، وسؤال صلاح الدين يتضمن: أن يوفق إلى الإيمان الراسخ، والاعتقاد الصحيح، على منهج أهل السنة والجماعة، الطائفة المنصورة، وكذلك السير على هدي المصطفى، وأئمة الهدى، في كل مسائل الدين، أصوله، وفروعه، إخلاصاً للّه تعالى وحده، والمتابعة بما شرعه اللّه، ورسوله.

قوله: **«ووسِّع عليَّ في ذاتي»:** توسل إلى اللّه تعالى بصفة السعة الذاتية الفعلية، المشتقة من اسمه الكريم (الواسع)، أي: وسِّع لي بشرح صدري، واتساعه بنور الإيمان واليقين، والعلم النافع، وتلقي أحكام اللّه تعالى والعمل بها، منشرحاً منفسحاً في

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٩٥٧٤) وحسنه لغيره شعيب الأرنؤوط (٣٢/٣٤٥).

(٢) القاموس المحيط (٦٧٤)، والمفردات (٣٣٣).

قبول الحق في كل حين، والرضا بالقضاء، والتسليم، ووسَّع عليَّ في خَلْقي بالقوة، والسمت الحسن، والوقار، وكل الصفات الحميدة التي تتمناها الخليقة، فتضمنت هذه الدعوة المباركة كل المطالب الحسيَّة والمعنوية، الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، وهذا من جوامع الكلم مما لا يخفى.

قوله: «وبارك لي في رزقي»: أي: بالنماء والزيادة والثبات على الخير على الدوام.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(٦٩) «اللهمَّ رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كُلَّه، لا إله إلا أنت».

عن أبي بكرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: دعوات المكروب:................................[١]

المفردات:

المكروب: أي المغموم والمحزون، والكرب بالفتح فسكون. ما يدهم المرء مما يأخذ بنفسه ويغمَّه ويُحزنه.[٢]

و الفرق بين الكرب والحزن: أن الكرب حزن مع شدة.[٣]

تكلني: من وكل فلان فلاناً: إذا استكفاه أمره، ثقة بكافيته، أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه.[٤]

الشأن: الأمر، والحال، والخطب، وجمعه شؤون، والمراد هنا: إصلاح حاله.[٥]

طرفة عين: منصوب على الظرفية، أي: مقدار طرفة عين، أي: مرة من وضع الجفن على الجفن، وهو خرج مخرج المبالغة.[٦]

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢٠٤٣٠) وحسنه متمم تحقيق المسند (٢١٣/١٥)، وشعيب الأرنؤوط (٧٥/٣٤)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٥٠٩٠)، وفي صحيح الأدب المفرد، (٥٣٩)، وفي صحيح الجامع (٣٣٨٨).

(٢) فيض القدير (٥٢٦/٣).

(٣) العلم الهيب في شرح الكلم الطيب، (٥٣٣).

(٤) القاموس المحيط (١٤١٨)، والعلم الهيب (٣٣٩).

(٥) تحفة الذاكرين (٢٩٥)

(٦) التنوير شرح الجامع الصغير (٩٧/٦).

الشرح:

هذه الكلمات الواردة في الحديث كلمات جلال، من إيمان، وتوحيد، وإخلاص لله عز وجل، والبعد عن الشرك كله، كبيره وصغيره، وفي هذا إعلام للأنام أن «الإتيان بهذه الكلمات العظام إيماء أن الدواء مع الكرب توحيد الله عز وجل، وعدم النظر إلى سواه أصلاً، فمن صفا له هذا المشرب، فرج عنه الكرب، ونال من الفضل الأسنى ما أحب».[1]

فإن القلب عندما يعمر بالتوحيد والإخلاص ويشغل بهذا الأمر العظيم، الذي هو أعظم الأمور وأجلها على الإطلاق، تذهب عنه الكُربات، وتزول عنه الشدائد، والغموم، خاصة إذا فهمت المعاني، وعُمل بالمقاصد.

فإن يونس عليه السلام ما أزال الله عنه الكربات، إلا عند قوله: ﴿فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ (الأنبياء)، قال ﷺ: «ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم كرْبٌ، أو بلاء من بلايا الدنيا، دعا به يُفرج عنه؟ فقيل له: بلى، فقال: دعاءُ ذي النون».[2]

وقوله ﷺ: «دعوات المكروب»: أي: الدعوات النافعة، المزيلة للمكروب المغموم.[3]

قوله: «اللهم رحمتك أرجو»: في تأخير الفعل «أرجو» دلالة على الاختصاص، أي: نخصك وحدك، برجاء الرحمة[4]، فلا نرجوها من أحد سواك، وتخصيص السؤال بصفة الرحمة، لأنها وسعت كل شيء قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ (الأعراف). فرحمته تعالى وسعت كل جزء وذرة، في هذا الكون العظيم، ومنها عبيده، وخاصة المغمومين الموحدين له سبحانه.

قوله: «فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين»: فيه شدة الافتقار، والاحتياج إلى

---

(١) دليل الفالحين (٤/٣٣٢).

(٢) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/٢٤٣).

(٣) فيض القدير (٣/٥٢٦).

(٤) العلم الهيب (٣٣٩).

مولاه وخالقه عز وجل، وأنه لا غنى له عن ربه طرفة عين، في كل شأن من شؤونه، وقوله: «**طرفة عين**» «خارج مخرج المبالغة (أي: ولا لحظة واحدة)، يعني: لا تكلني إلى نفسي أصلاً في حالة من الأحوال»[1] ضرب في ذلك مثلاً حسياً، «وهو تحريك الأجفان إذا نظرت، فالمراد مقدار رد الطرف للمرة الواحدة، أو أقل من ذلك».[2] وهذا في غاية المبالغة.

قوله: «وأصلح لي شأني كله»: فيه سؤال اللّه تعالى أن يصلح كل أحواله، وشؤونه، وأموره في كل جزئية من جزئياته، وكل جانب من جوانبه في حياته، وبعد مماته[3] كما دلَّ قوله «كله» من صيغ العموم، وهذا من جوامع الكلم، لأن صلاح الشأن يتناول جميع أمور الدنيا والآخرة، وإذا صلح الشأن كله، لم يبق للهم طريق.[4]

ثم ختم بأحسن ختام، بأعظم كلام «**لا إله إلا أنت**» إقرار، وإذعان، وإشهاد بالوحدانية الحقَّة للّه تعالى، «فيه إشارة إلى أن الدعاء إنما ينفع المكروب، ويزيل همه وكربه، إذا كان مع حضور شهود، ومن شهد للّه تعالى بالتوحيد والجلال، مع جمع الهمة وحضور البال، فهو حري بزوال الكرب عنه في الدنيا والرحمة، ورفع الدرجات في العقبى».[5]

الفوائد:

ينبغي للداعي أن يلازم الأدعية الجليلة في ليله ونهاره وأن يحرص على تعليمها. إن رحمة اللّه تعالى نوعان: أ - صفة له تعالى. ب - رحمة مخلوقة: وهي أثر صفته تعالى، فلا يجوز السؤال إلا بصفته. أهمية تعظيم الطلب وأنه من كمال العبودية المقتضي للإجابة. أن من أعظم أسباب تفريج الكربات التوحيد بالقيام بمقتضاه في الجنان، والأركان، والنطق به في اللسان «**لا إله إلا أنت**».

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الفتوحات الربانية (٢/٢٩٥).

(٣) تحفة الذاكرين (٢٩٥).

(٤) التنوير (٦/٩٧)، والتحفة (١٠٤).

(٥) فيض القدير (٣/٥٢٦).



(٧٠) «اللهم ربَّ محمَّد، اغفر لي ذنبي، وأذهب غَيْظَ قلبي، وأجرني من مُضلات الفتن ما أحييتنا».

عن محمد بن أبي بكر قال: كانت عائشة رضي الله عنها، إذا غضبت عَرَكَ النبي ﷺ بأنفها ثم يقول: يا عويش! قولي:... وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي؟ قال: بلى قولي:..............[١]

المفردات:

يا عويش: تصغير اسمها تلطفاً معها.[٢]

غيظ قلبي: الغيظ: أشد الغضب، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه.[٣]

الشرح:

هذا الدعاء المبارك جامع بين توسلين عظيمين، توسلٌ بـ(الألوهية) وبـ(الربوبية)، ومطالب عظيمة جليلة في طلب السلامة من أشد الشرور الدنيوية، والدينية، والأخروية، العلمية، والعملية، والخُلُقية، وجاءت مرتبة في غاية المناسبة، ولهذا علمها ﷺ لزوجين من أزواجه رضي الله عنهما كما تقدم.

قوله: «اللهم ربَّ محمد»: فيه توسل من أجَلِّ التوسلات الشرعية، وهو توسل بالألوهية الجامعة لكل صفات الكمال، وتوسل بربوبيته تعالى لنبيه محمد ﷺ، وهو سبحانه وتعالى رب كل شيء ومليكه، ومن جملة ذلك: ربوبيته لنبيه، يدل على عظم شأنه عند ربه تعالى، وأن التوسل بربيته تعالى لنبيه ﷺ أقرب للإجابة في حصول المطلوب، وإعطاء المأمول.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢٦٤٥٥)، وحسنه متمم تحقيق المسند حمزة أحمد الزين (٢٦٦/١٨)، وأخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٤٥٦)، وحسنه سليم الهلالي (٢٥٠/٢)، وابن عساكر بإسناده في (الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين)، وقال «حديث صحيح حسن» (٨٥)، وحسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٦/١٠).

(٢) الفتوحات الربانية (٢٧٨/٣).

(٣) المفردات (٦١٩).

ثم بدأ في سؤال الله تعالى السلامة من أشد الشرور الشرعية فقال:

«**اللهم اغفر لي**»: هذا أول وأهم المطالب وهو طلب من الله تعالى المجاوزة عن الذنوب، وترك العقاب عليها، وهذا المطلب الجليل غالب في أدعية الكتاب والسنة، لأن «الذنوب والمعاصي لها من الآثار القبيحة المذمومة المضرة بالقلب، كضرر السموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شرور وداء، إلا وسببه الذنوب والمعاصي؟»[1]، ولأن «الذنب يوقع الإنسان في حبائل الشيطان، الذي يوسوس بالأذى، ويبعث على الغضب».[2] الذي هو سبب لكل شر وهوى، ولهذا كان في تقديمه أولى من غيره من المطالب السُنى.

ثم شرع في سؤال الله تعالى السلامة من أخطر الشرور الباطنة، فقال:

«**وأذهب غيظ قلبي**»: أي: «أشد غضبه، الذي يكون منشأه غليان دم القلب وفورانه، لأمر يعرض على خلاف المراد».[3]

سأل الله تعالى أن يذهب الغيظ في القلب، لأنه منهك للنفس، متعب للقلب والجسد، فقد يتولد منه أسوأ الخصال المذمومة من الحقد، والكراهية، والبغضاء، ويورد كذلك أشد الأفعال القبيحة من التعدي والفجور، والانتقام، فيفضي إلى سوء الحال، والمآل، ولهذا دعا الشارع الحكيم عباده المؤمنين، إلى إمساك النفس عند اعتراء الغيظ، ورغب فيه، ووعده عليه الجزاء الجليل.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ (آل عمران).

وقال ﷺ: «**من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله عزوجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة، حتى يخيره من الحور العين ما شاء**»[4].

---

(١) الجواب الكافي (٦٠).

(٢) الفتوحات الربانية (٣/٢٧٨).

(٣) المصدر السابق.

(٤) حسنه الألباني في صحيح أبي داود (٧٧٧٤) وفي صحيح الترمذي (٣٩٤٢).

قوله: «وأجرني من مضلات الفتن»: فيه استعاذة من مهلكات، ومعضلات الفتن الشديدة، الموقعة في الحيرة، والمفضية إلى الهلاك، التي تضيع من شدتها الدين، والدنيا، والدار الآخروية، فتضمنت هذه الاستعاذة النجاة والسلامة من الوقوع بها.

وتضمنت هذه الدعوات الاستعاذة من أصل الشر، ومنبعه، وهما النفس، وكذلك الشيطان، الذي هو سبب كل شر، وبلاء في هذه الدار، ومن جملة ذلك: غيظ القلب، وإفساده، وإغوائه، وتحريضه للباطل، من جميع أنواعه من الشبهات، والشهوات.

الفوائد:

فيه أنه يلقن الغضبان ما يزيل غضبه، ويعرك بأنفه، وحكمته: أن الغضب من صفات الذم، فمسح الأنف يناسب إذلالها بعركها.[1]

وأن ملازمة هذا الدعاء الجليل من أعظم الأسباب في كف الغضب وآثاره، أنه يشرع للداعي التوسل إلى الله تعالى بربوبيته الخاصة، كربوبيته لنبينا محمد ﷺ، ينبغي للداعي أن يكون جُلّ دعواته سؤال الله تعالى المغفرة، كما دل التقديم، لأن التقديم يدل على الاعتناء والاهتمام، وكذلك على أن مسائل الدينية والأخروية، هي الأولى في السؤال من الأمور المعاشية، كما في دعاء سليمان عليه السلام: حيث قدم سؤاله في أهم المطالب الشرعية شرعية فقال: ﴿رب اغفر لي ذنبي﴾ ثم ثنى: سؤاله في مطلب دنيوي فقال: ﴿وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ (ص: ٣٥).



(١) التنوير (٨/٤٢٧. ٤٢٨).



(٧١) «اللهم آتني أفضل ما تُوتي عبادك الصالحين»

عن عامر بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلاً جاء إلى الصلاة ورسول الله ﷺ يصلي بنا، فقال حين انتهى إلى الصف قال: ....[١]

فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال: من المتكلم آنفاً؟ قال الرجل: أنا يا رسول الله قال: «إذاً يُعقر جوادُك وتستشهد في سبيل الله».

الشرح:

سأل الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اللّه عزوجل، أن يُعطيه أفضل ما يُعطي الصالحين من الثواب والأجر العظيم، وهذا من حسن تفكيره وعلو همته، فأعلمه ﷺ بحصوله على أفضل الاعمال المورثة لأعلى الجنان فقال ﷺ: **«إذاً يُعقر جوادك وتستشهد في سبيل الله»** وهذا أفضل الجهاد أن يقتل الجواد وفارسه فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال يا رسول اللّه، أي الجهاد أفضل؟ قال: «أن يُعقر جوادُك، ويُهراق دمك».[٢]

الفوائد:

دل هذا الدعاء المبارك على أهمية تعظيم الهمة، في السؤال والرغبة كما دل على ذلك قول «أفضل» اسم التفضيل «أخير»، لأنه يدل على حسن ظن الداعي بربه، بكرمه وجوده، وقربه، وقدرته، وكذلك في تحقيقه لأسماء وصفات ربه عزوجل، فيشرع للداعي أن يسأل اللّه تعالى أفضل وأكمل الأعمال، المورثة لأعلى الجنان، وفيه دلالة على عظم منزلة الشهادة وأهلها، وأن اللّه سبحانه يعطي أهلها أفضل وأعلى المنازل.



(١) رواه الحاكم (٧٤٨) وصححه، ووافقه الذهبي، وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٩٣) وحسنه محقق الكتاب (ص١٨٠)، والطبراني في الدعاء (٤٩٢) بإسناد حسن، وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار (١/٣٧٨).

(٢) صحيح الترغيب والترهيب (١٣٦٥).



(٧٢) «اللهم ارزقني الشهادة في سبيلك».

عن سهل بن حنيف رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من سأل الله تعالى الشهادة بصدقٍ، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه».(١)

وفي لفظ آخر: «من طلب الشهادة صادقاً، أعطيها ولو لم تصبه».(٢)

الشرح:

هذا الدعاء الجليل جاء في إخبار النبي ﷺ بقوله: «من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه».

وفي لفظ آخر: «من طلب الشهادة صادقاً أعطيها ولو لم تصبه».(٣)

قوله ﷺ: «بصدق»: قيد السؤال بهذا المطلب الجليل.

لأنه هو أساس قبول الأعمال، ومعيار صحة النية من الأقوال، والأعمال، والأخلاق.

وقوله: «بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه»: أي: جازاه اللّه تبارك وتعالى تفضلاً منه ونعمه، على صدق نيته وإخلاصها، منازل العلا للشهداء، وإن مات على فراشه، أو على أي حال مات فيها.

قال النووي رحمه الله: «فيه استحباب سؤال الشهادة، واستحباب نية الخير».(٤)

وفي هذا دليل على سعة كرم اللّه تعالى، وفضله، أنه يعطي العبد على صدق نيته مع حسن الدعاء، وقوة الرجاء، المنازل العلا، وإن لم يعملها، وأدلة ذلك في الكتاب والسنة لا حصر لها، فينبغي للعبد أن يحسن نيته، ويصلحها في طلب الأعمال الجليلة حتى يعطيها، وإن كان لم يفعلها، وقد بيّن ﷺ معنى الشهادة في سبيل اللّه تعالى: بقوله: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو سبيل الله».(٥)

---

(١) رواه مسلم (١٩٠٩).

(٢) مسلم (١٩٠٨).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) شرح صحيح مسلم (٧/٦٤).

(٥) البخاري (١٢٣)، ومسلم (١٩٠٤).

وقوله: «منازل الشهداء»: بصيغة الجمع، مبالغة ظاهرة، وقد بيّن كتاب ربنا جل جلاله في كثير من الآيات عظم منزلة الشهداء، وإنها بعد درجة الصديقية، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ (النساء)، من أعطيها فقد أعطي الخير والسبق كله، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ (آل عمران: ١٦٩).

وسنة المصطفى ﷺ حافلة بذكر فضل الشهداء، فمنها: قال ﷺ: «**ما من أحد يدخل الجنة يُحب أن يرجع إلى الدنيا، وإن له ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة**».

وفي رواية: «**لما يرى من فضل الشهادة**».[١]

وقوله ﷺ: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض...**».[٢]

فلما كان عظم شأن الشهادة، وعلو منازل أهلها، كان أكثر دعاء الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه لها، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: «**كان جُل**[٣] **دعاء عمر» اللهم ارزقني الشهادة في سبيلك**».

وعن حفصة رضي الله عنها، أن عمر قال: «اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك»، فقالت حفصة: «أنى يكون هذا؟ قال: يأتيني به الله إن شاء الله».[٤]

(١) البخاري (٢٨١٧)، مسلم (١٨٧٧).

(٢) البخاري (٢٧٩٠).

(٣) أي معظم دعائه.

(٤) انظر صحيح البخاري (باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء) برقم ١٨٩٠.

فانظر رعاك اللّه تعالى، وسدد خطاك على الهدى، لما صدق عمر رضي اللّه عنه مع اللّه تعالى في سؤاله، وأحسن الظن بربه الكريم، الذي لا يخيب من أحسن الظن به، وصدق في دعائه وسؤاله، أعطاه ما تمنى مع خلاف حصول ذلك عادة، ولهذا قالت حفصة رضي اللّه عنها «أنى يكون هذا»؟

الفوائد:

دل هذا الدعاء الجليل «على أن من نوى شيئاً من أفعال الخير، ولم يتم له لعذر، يكون بمنزلة من عمله»[1]، وفيه دلالة على أهمية صدق النية، وحسن التوجه إلى اللّه تعالى بالدعاء، مع حسن ظن، وكمال اليقين، أنه سبحانه يعطي أجل الأعمال، وأكمل المطالب العلا، ولهذا ينبغي للداعي أن يكثر ويعظم في السؤال الأمور المهمة الجليلة فعسى اللّه تعالى أن يعطيه ما سأل، إما بالتوفيق إلى أسبابها، وإما بدونها، بمحض فضله وكرمه، الذي لا يحد ولا يحصى.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(٧٣) «اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَأَسْتَجِيْرُ بِكَ مِنَ النَّارِ» (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل الله الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة، اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات، قالت النار: اللهم أجره من النار».[2]

الشرح:

هذا الدعاء الجليل في مضمونه سؤال أجل مرغوب، والاستعاذة من أشد مرهوب، من نال ذلك حاز على أسمى موعود، في دار الخلود.

قوله: «من سأل الله الجنة»: أي: دخولها بصدق، ويقين، وحسن نية، ورغبة، وإلحاح.[3]

قوله: **«قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة»:** فيه تعظيم للسائل، حيث إن اللّه تعالى يخلق لهذه الدار الحياة، والقدرة على النطق بذكره، وهي جماد، وهذا من

(١) التنوير (١٠/٣٠٣).

(٢) صححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٧٥٢)، وصحيح ابن ماجة (٤٣٤٠).

(٣) فيض القدير (٦/١٤٤).

كمال قدرة رب العالمين، وأنه لا يعجزه شيء لما يشاء، ومتى شاء، وكيف يشاء، في السموات والأرضين، كما أنطق الحصى بالتسبيح، والطعام في عهد سيد الأولين والآخرين ﷺ ، كما في قول ابن مسعود رضي اللّه عنه: «... ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل»[1]، أي على عهد النبي ﷺ .

«وقولها «اللهم ادخله الجنة»: أي: وفقه لأعمال الداخلين، وتفضل عليه بها إن قصر عمله عنها، قوله: (ثلاث مرات): ظاهره، ولو مرة في عمره»[2].

قوله: «ومن استجار من النار» الحديث: كسابقه.

وينبغي أن يعلم هنا، أن في إنطاق الجنة، أو إنطاق النار، هو على حقيقته[3]، حيث تطلب من خالقها أن تُجره من النار إذا أتى بالعدد المذكور وهو الثلاثة، فإن التقيد بهذا العدد مشروط في جعل اللّه لهذه الجمادات القدرة على النطق بإنطاق اللّه تعالى لها، والتقيد بالعدد ثلاثة هو أقل درجات الإلحاح في الدعاء، وفي تقديم سؤال الجنة على النار، واللّه سبحانه أعلم. لأن رحمته سبقت غضبه، فإن الجنة هي من رحمته، وهي الرحمة المخلوقة كما سبق بيانه، التي هي من أثر صفة الرحمة.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(٧٤) «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خيرُ من زكَّاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفسٍ لا تشبع، ومن دعوةٍ لا يُستجاب لها».

عن زيد بن الأرقم قال : لا أعلمكم إلا ما كان رسول الله ﷺ يُعلمنا ويأمرنا أن نقول:.....[4]

---

(١) البخاري (٣٥٧٩).

(٢) التنوير (٢٤٨/١٠).

(٣) هذا هو الأصل، أن يحمل الكلام على الحقيقة، ولا يصرف إلا بقرينة، والقرنية هنا منتفية، فيجب إرجاع ذلك إلى الأصل، وهو الحقيقة، قال ابن عبدالبر: «وحمل كلام اللّه تعالى، وكلام نبيه صلى اللّه عليه وسلم على الحقيقة، أولى بذوي الدين والحق» التمهيد (٦١/٥)، (٥٤١/٧)، والقاعدة في ذلك: (يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة) انظر هذه القاعدة في قواعد الترجيح (٧٨٣/٢).

(٤) مسلم (٢٧٢٢)، وصحيح النسائي (٥٤٥٨).



المفردات:

وليها ومولاها: من (الولي) و(المولى): وهما اسمان من أسماء اللّه تعالى الحسنى، اللذان يدلان: على القرب، والمحب، والناصر، والسيد، والمتولي للأمور، واللّه تعالى له الولاية العامة لكل الخلائق بالملك والتدبير، وتصريف المقادير، وله الولاية الخاصة لأوليائه المؤمنين.(١)

زكاها: أصل الزكاة: النمو، والتزكية: وهي الطهارة، والتنقية.(٢)

الشرح:

فيه حرص الصحابة رضوان اللّه عليهم أجمعين على نقل ألفاظ الحديث بكل دقة وأمانة، كما سمعوها من النبي ﷺ دون زيادة، ولا نقصان، دلالة جلية على عدالتهم وصدقهم في القول، والنقل، والإخبار.

تضمن هذا الدعاء المبارك على اثني عشرة مطلباً مهماً، ستة تقدم الكلام عليها.

قوله: «**اللهم آت نفسي تقواها**»: فيه طلب من اللّه تعالى أن يعطيه تقوى النفس، بأن يحرزها عن متابعة الهوى، وارتكاب الفجور، والفواحش والردى.

قوله: «**وزكها**»: أي: طهِّر نفسي من كل خلق ذميم، من كل عيب، وذنب عظيم، لأنك: «**أنت خير من زكاها**»: كالتعليل لما قبله، أي: لا مزكي لها إلا أنت، لأنك القادر وحدك على ذلك، وغيرك لا قدرة له ألبتة.

والمعنى: أنت المنفرد في جعلها نقية، تقيّة، فإنك تُطّهر النفوس، فتصبح طاهرة، طيبة، عاملة بالطاعة، زاكية، كاملة في الإيمان(٣) بمقتضى حكمتك، ومشيئتك، وسعة علمك لمن استحق ذلك.

وبعد أن سأل ربه تعالى التزكية لنفسه ذلل سؤاله بأحسن تذييل في الختام: من

---

(١) سيأتي معناها عند الشرح.

(٢) المفردات (٣٨٠، ٨٨٥)، واشتقاق أسماء اللّه (٣١١)، والحق الواضح (٢١).

(٣) انظر: دليل الفالحين (٣١٢/٧)، وتحفة الذاكرين (٤٢٠)، والفتوحات الربانية (١٥٣/٣).

الثناء، والتعظيم، بضمير الفصل «**أنت**» الذي يفيد التوكيد، والحصر، وباسمين من أسمائه الكمال الحسنى، وهما: «**الولي، المولى**»: ومعناهما: أنه تعالى وليّ العالمين، وهي الولاية العامة: بالملك، والسيادة، والإصلاح، والتدبير، والخاصة: لأوليائه المؤمنين: بالنصر، والتسديد، والحفظ، والتمكين، فتحققت الولايتان العامة والخاصة للمؤمنين، وقد تقدم بيان ذلك.

فقال: «**أنت وليُّها ومولاها**»: «وهذا استئناف على بيان الموجب، وأن إيتاء التقوى، وتصليح التزكية فيها، إنما كان لأنه هو المتولي لأمرها، وربها، وسيدها، ومالكها، فلك عليها الولايتان، لأن شأن السيد والناصر الاعتناء بذلك، وإصلاحه».[1]

قوله: «**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع**»، أي: أستجير بك يا إلهي من علم لا أعمل به، ولا أعلّمه، ولا يبدل أخلاقي وأقوالي لقلة إخلاصي، من رياء، وسمعة، أو علم لا يحتاج إليه، أو لم يرد في تعلمه إذن شرعي، استعاذ منه، لأنه يكون وبالاً على صاحبه، وحجة عليه، والعياذ باللّه.

قوله: «**ومن قلب لا يخشع**»: واستعيذ بك من قلب لا يخشع، لقساوته، لا يتأثر بالمواعظ، ولا بالزواجر، ولا بالنصائح، ولا يرغب في ترغيب، ولا يرهب من ترهيب، ولا يطمئن بذكر اللّه تعالى، ولا يسكن بما قدره اللّه تعالى وقضاءه، ولا في أمره ونهيه، فكل هذه الأفراد تدخل في هذه الاستعاذة، ولهذا ينبغي للداعي أن يكون ذا بال واستحضار ما أمكن من المعاني المستعاذ منها، لأنه أخشع للقلب، وأقرب، وأحب عند الرب جل جلاله.

وفي قرن الاستعاذة من «**علم لا ينفع**»، و«**قلب لا يخشع**» إشارة إلى أن العلم النافع ما أورث الخشوع في القلوب، فيهذب الأخلاق الباطنة، فيسري منها إلى الأفعال الظاهرة.

قوله: «**ومن نفس لا تشبع**»: من جمع حطام الدنيا، ولا تقنع بما أتيتها من فضلك، ولا تفتر عن جمع المال لشدة ما فيها، من الشرة والحرص، فلا تزال في

(١) فيض القدير (١٥٣/٢)، والتنوير (١٧٨/٣)، ودليل الفالحين (٣١٢/٧).

تعب الدنيا، وعقوبة الآخرة، ويدخل في ذلك النهمة، وهي: كثرة الأكل، والطعام دون شبع، والمبالغة في حصول الشهوة، ويدخل كذلك: تعلق النفس بالآمال البعيدة[1]، والأماني الزائفة.

قوله: «ومن دعوة لا يستجاب لها»: لفقدها شروط الاستجابة، أو لسوء بالداعي، أو لعدم حسن ظنه بربه تعالى بالإجابة، أو دعوة لا يحبها الله لما فيها من سوء وإثم، وقطيعة رحم، فإن الله تعالى سميع قريب كريم مجيب للدعاء، لا يرد من طرق بابه، وسأله سبحانه، لسعة عطائه، وكرمه، وجوده، وقربه من داعيه، وسائليه.

«فإذا توجه العبد إليه في دعائه، ولم يستجب دعوته، فقد خاب وخسر، والعياذ بالله تعالى، لأنه طرد من خير الأبواب الذي لا يستجلب الخير إلا منه، ولا يستدفع الضر إلا به»[2] الذي لا يغلق بابه إلا على شقي.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(٧٥) «اللهم جدد الإيمان في قلبي».

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الإيمان ليَخْلَقُ في جوف أحدكم، كما يَخْلَقُ الثوب، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم».[3]

المفردات:

الخَلْق: من إخلاق الثوب، أي: بلي، وتقطع، وقوله «ليخلق»: أي: يكاد أن يبلى.[4]

الشرح:

هذا الدعاء فيه مطلب عظيم، ومقصد جليل، لا يستغنى عنه أحد من المؤمنين، لأن عليه الفلاح يوم الدين.

---

(١) انظر: شرح النووي (٥١/٩)، وفيض القدير (١٥٣/٢)، والفتوحات الربانية (٦٢٢/٣)، وفيض القدير (٤٢٠) بتصرف.

(٢) دليل الفالحين (٣١٢/٧)، وتحفة الذاكرين (٤٢٠)، والفتوحات الربانية (٦٣٢/٣).

(٣) أخرجه الحاكم (٤/١)، وصححه، ووافقه الذهبي، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٢/١)، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٥٨٥).

(٤) القاموس المحيط (٣٩٠)، والنهاية (٢٨٢)، وفيض القدير (٣٢٣/٢).

فينبغي للداعي أن يعتني به في سؤاله في كل حين، والوقوف على مدلولاته، ومراميه، وذلك، أنه جاء عن سيد المرسلين ﷺ في أمره للمؤمنين.

قوله: «**فاسألوا الله أن...**»: فيه سؤال الله رب العالمين، أن يصلح أجل أعمال الجنان، وهو الإيمان، ولهذا اهتم الشارع الحكيم في عدة أحاديث متضمنة منها سؤالات ومطالب في إصلاح أهم مضغة في الجسد، والتي هي محل نظر الرب تبارك وتعالى، التي إن صلحت صلح سائر الجسد كله، وإن فسدت والعياذ بالله فسد الجسد كله، كما تقدم في شرح بعض هذه الأدعية التي جاءت عن خير البرية ﷺ: «**اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**». «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»، «**اللهم حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا**»، وغير ذلك من الأدعية.

قوله: «**إن الإيمان ليخلق**»، أكد الخبر بـ«إن» المشددة الثقيلة، والتي تدل على التأكيد والتحقيق، أي: أن الإيمان لينقص ويضعف، ويتغير، ثم شبهه بالأمر المشاهد المحسوس، بالثوب الذي يبلى، ولا يبقى، وهذا في غاية الأهمية في تثبيت وتحقيق الأمور الجسيمة في الذهن، وتأكيد الحقائق المهمة الجليلة، بالأمور المحسوسة، لأن ضرب الأمثلة المعنوية بالحسية فإنه أوقع في النفس في الفهم، وتحقيق المقصود، المقتضي المراقبة، وحسن المجاهدة، فـ«شبه ﷺ الإيمان بالشيء الذي لا يستمر على هيئته».(١)

فإن الثوب كما هو مشاهد ومعلوم يبلى إما لردائته، أو كثرة استعماله، وكذلك الإيمان لا يبقى على حال، فهو يضعف، وينقص، ويفتر، بسبب كثرة المعاصي، والذنوب، والآثام، والبعد عن ذكر الله عز وجل، وقلة الأعمال الصالحات، والطاعات، وعدم تجديد التوبة، بعد اقتراف الذنوب والسيئات، ففيه دليل على صحة اعتقاد أهل السنة والجماعة الطائفة المنصورة، كما هو مقرر في كتب العقيدة: إن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي والسيئات.

(١) فيض القدير (٢/٣٢٣).



ثم أمر ﷺ فقال: «**فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم**»، وقد تقدم أن في أمره ﷺ بالدعاء، أفضل من غيره من الأدعية التي لم يأمر بها.[1]

ففيه: «سؤال اللّه تعالى أن يعود القلب جديداً صافياً نقياً».[2]

وهو متضمن لسؤال اللّه سبحانه الزيادة في الإيمان، لأنه لا يكون كذلك إلا به، «وزيادته تكون بالقلب، وتكون باللسان، وتكون بالجوارح، أما القلب: فبالطمأنينة، وأما اللسان: فبكثرة الأقوال المقربة إلى اللّه عز وجل، وبالجوارح: فبكثرة الأفعال المقربة إلى اللّه تعالى».[3]

وفي أمره ﷺ بصيغة المضارع «**أن يجدد**»: الذي يدل على الاستمرارية، والتجدد، يدل دلالة جلية على أنه ينبغي الاعتناء بهذا الدعاء، وملازمته، وكثرة سؤال اللّه جل جلاله به، على الدوام.

الفوائد:

تضمن هذا الدعاء المبارك سؤال اللّه تبارك وتعالى التوفيق إلى صالح الأعمال، والتي أجلها على الإطلاق: مسائل التوحيد، والإيمان، ولهذا «ينبغي للعبد أن يتعاهد إيمانه وينميه»[4] بالأسباب المقتضية إليه، وكذلك ما يضاد الإيمان والتوحيد، من الشرك، والكفر، والنفاق، والرياء، والشبهات، والبدع، والضلالات، وغيرها من الذنوب، والشرور، والسيئات، التي في الصدور.

واعلم رحمني اللّه وإياك أن من أعظم وأجل ما يجدد الإيمان، ويزيده، وينميه، ترديد كلمة التوحيد، والإسلام، فعن أبي هريرة رضي اللّه عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**جددوا إيمانكم**»، «قالوا يا رسول اللّه كيف نجدده»؟، قال: «**أكثروا من قول لا إله إلا الله**».[5]

---

(١) في الغالب.
(٢) التنوير (٣/٤٣٤).
(٣) شرح صحيح مسلم للعلامة ابن عثيمين (١/٣١٠).
(٤) تفسير ابن السعدي (٣١٥).
(٥) أخرجه أحمد (٢/٣٥٩)، قال الهيثمي: إسناد أحمد جيد، وقال في موضع آخر: رجاله ثقات، انظر

«فجعل هذه الكلمة الشريفة هي: الإيمان، فإن المداومة عليها تجدد الإيمان في القلب، وتملأه نوراً، وتزيده يقيناً، وتفتح له أسراراً يدركها أهل البصائر، ولا ينكرها إلا كل ملحد جائر».(1)

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(٧٦) «يا وليَّ الإسلام وأهله، مسكني الإسلام حتى ألقاك عليه».

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان يقول:...........(2)

وفي لفظ: «.... ثبتني به حتى ألقاك».(3)

الشرح:

هذا الدعاء الجليل فيه مطلب عظيم، عليه النجاة يوم الدين، وهو سؤال اللّه تبارك وتعالى الثبات على هذا الدين العظيم، حتى لقاء اللّه رب العالمين، ولهذا كان ﷺ يلازمه ويكثر منه على الدوام في سؤاله(4) لربه تبارك وتعالى لعظم شأنه.

قوله: «يا وليّ الإسلام وأهله»: فيه توسل إلى اللّه تبارك وتعالى بأجل الوسائل على الإطلاق وهو التوسل بأسمائه الحسنى، باسمه سبحانه «الوليّ» وقد تقدم معناه: أن اللّه تبارك وتعالى لهُ ولايتان، الأولى: الولاية العامة: وهي لجميع الخلائق إنسهم وجنهم، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، وهي ولاية تدبير وإصلاح لجميع شؤونهم وأحوالهم، في معاشهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ٦٢﴾ (الأنعام).

مجمع الزوائد (٥٢/١)، (٨٢/١٠).

(١) فيض القدير (٣٤٥/٣)، والتنوير (٢٦١/٥).

(٢) حسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤٦٢/٣)، رقم (١٤٧٦)، وصححه في شرح العقيدة الطحاوية (٤٥).

(٣) المصدر السابق (٨٣٤/٤) رقم (١٨٢٣).

(٤) كما تقدم: إن فعل المضارع بعد «كان» يدل على كثرة التكرار والمداومة على ذلك الفعل.

والثانية: الولاية الخاصة: وهي تختص بالمؤمنين، قال عز شأنه: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ (البقرة: ٢٥٧)، وهذه الولاية العظيمة تقتضي إخراجهم من الظلمات إلى النور، فييسرهم لليسرى، ويجنبهم العسرى، فهي ولاية عناية، ورأفة، ورحمة، ومحبة، وتوفيق.[١]

وقوله: «**مسكني الإسلام**»: أي: ثبتني عليه، ويشمل الإسلام هنا الإيمان، لأن «الإسلام يدخل فيه الإيمان عند الإطلاق، أما عند الجمع بينه وبين الإيمان، فالإسلام عمل الجوارح، والإيمان عمل القلب»[٢] فتضمن هذا السؤال التوفيق إلى القيام بمقتضى هذا الدين العظيم في كل أركانه، وواجباته، وأوامره، ونواهيه، وحقوقه، الظاهرة والباطنة، العلمية، والعملية، حتى الوفاة عليه، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران).

وفي التعبير بقوله «**مسكني**»: يدل على شدة العناية في سؤال الله تعالى التشبث بهذا الدين العظيم والحفاظ عليه، كإمساك الشيء على الشيء المحسوس عن الضياع والانفلات، وهذا يدل على أهمية هذا المطلوب وجلالة قدره، لأنه سبحانه وتعالى لا يقبل من الأديان، إلا دين الإسلام، قال عز شأنه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (آل عمران).

قوله: «**حتى ألقاك عليه**»: أي اجعلني يا إلهي متمسكاً بالإسلام والإيمان إلى أن ألقاك، فإن مدار الأعمال على الختام.

الفوائد:

أن مطالب الدين هي أجل المطالب. من حسن الدعاء وكماله أن يتوسل العبد بأكثر من وسيلة فيه، فقد تضمن هذا الدعاء وسيلتين:

أ) توسل باسم من أسمائه الحسنى (الولي).

(١) الحق الواضح (١٢)، فتح الرحيم الملك (٥١) تفسير سورة البقرة لابن عثيمين (٣/٤٦١).

(٢) تفسير سورة آل عمران لابن عثيمين (١/٥٩٣).

ب) توسل سابق الإحسان في ولايته لأهل الإسلام، (يا وليَّ الإسلام وأهله)، أن كل من كان أكمل إيماناً فولاية اللّه تعالى له أكمل، وذلك «إن الحكم المعلق بوصف يزداد قوة بقوة هذا الوصف فيه، أنه ينبغي (للعبد) أن يحقق إيمانه ويكمله بقدر استطاعته، من أجل أن ينال ولاية اللّه تبارك وتعالى»[1]. أهمية الاحتراس في الدعاء كما في قوله: «حتى ألقاك عليه».

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(٧٧) «اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضللت، ولا مُضل لمن هديت، ولا مُعطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مُباعد لما قرَّبت، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك، وفضلك ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم، الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسألك النعيم يوم العيْلة، والأمن يوم الخوف، اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا وشرِّ ما منعتنا، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكُفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مُسلمين، وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يُكذبون رُسلك ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب، إله الحق «آمين»».

عن رفاعة الزُّرقي رضي الله عنه قال: لما كان يوم أحد وانكفأ[2] المشركون، قال رسول الله ﷺ: «استووا حتى أثني على ربي عزَّ وجلَّ»، فصاروا خلفه صفوفاً فقال:...................[3]

---

(١) تفسير آل عمران (١/٣٩٥).

(٢) أي: انقلبوا ورجعوا إلى بيوتهم، حاشية السندي على المسند (٢٤/٢٤٩).

(٣) رواه أحمد في المسند (١٥٤٩٣)، وصحح إسناده محقق المسند (٢١/٣٠٢)، وصححه الألباني في الأدب المفرد (٥٣٨)، وفي فقه السيرة (٤٦٢).

المفردات:

«**لا قابض لما بسطت**»: القبض هو الإمساك والتضييق، والبسط: السعة.[1]

«**بركاتك**»: البركة هي: الخير والنماء والزيادة.[2]

«**العيْلة**»: الفقر.

«**غير خزايا**»: جمع خزيان، وهو من وقع في ذل المعصية «**ولا مفتونين**»: غير واقعين في الفتنة، والبلية الأخروية.

«**رجزك**»: أصل الرجز: الإضطراب، والعذاب المعلق، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝٥﴾ (سبأ) أي: عذاب مزعج فظيع.[3]

الشرح:

قوله: «**اللهم لك الحمد كله**»: يا الله لك كل المحامد من جميع المخلوقات، من الناطقات والجامدات، في الدنيا والآخرة، نخصك بها لكمالك وعظمتك، فإن «(ال) في الحمد لاستغراق الجنس من المحامد»[4].

بدأ بالحمد والثناء على الله بما هو أهله، والتوسل إليه بأسمائه وصفاته، وذلك أرجى وأوقع في قبول الدعوة والمسألة، كما تقدم في آداب الدعاء.

قوله: «**اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت**»: أي: يا الله لا أحد يستطيع أن يُضيِّق ما وسعت وبسطت له، لكمال قدرتك ومشيئتك، ولا أن يُوسع إذا أردت أن تضيق عليه، فلك المشيئة والقدرة الكاملة، وهذا توسل بالوصف الذي تضمن اسمي (القابض والباسط) وهذا كما سبق من الآداب الجليلة التي تقتضي الإجابة.

قوله: «**ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت**»: أي لا أحد يقدر أن يهدي من أردت إضلاله، ولو اجتمع عليه جميع الخلائق، ولا يقدر أحد أن يضل من هديت،

---

(١) اللسان (٥/٣٥١٢)، (١/٢٨٢).

(٢) القاموس (١٠٠).

(٣) المفردات (٣٤١)، عمدة الحفاظ (٢/٧١).

(٤) تفسير القرطبي (١/١٣٥).

لنفوذ مشيئتك، وقدرتك، وحكمتك، وهذا كسابقه توسل بصفات اللّه تعالى الفعلية التي تقوم بمشيئته، المقترنة بحكمته.

قوله: «**ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت**»: من رزق، أو مال، أو سلطان، أو جاه، أو غير ذلك، من عطاياك، وفضلك، فلا أحد يقدر على المنع أو الإعطاء إلا بإذنك. وهذا كسابقه أيضاً.

قوله: «**ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت**»: ولا أحد يستطيع أن يقرب ما باعدته وأقصيته، ولا يباعد ما قربته، ودنيته، فالقريب ما قربت، والبعيد ما باعدت، لأنه لا حول ولا قوة إلا بك وحدك سبحانك.

قوله: «**اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك**»: بعد أن قدم جملاً من الثناء، والتوسل إليه تعالى بأسمائه وصفاته، شرع بمطلوبه من خيري الدنيا والآخرة، أي: اللهم وسِّع علينا وكثِّر من خيراتك، ورحماتك، وفضلك، ورزقك، وأدمها، فأنت مالك كل شيء، فنسأله منك، لا من أحد سواك.

قوله: «**اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول**»: وأسألك يا اللّه النعيم الدائم، الذي لا يتحول ولا يتغير، وهو نعيم الآخرة.

قوله: «**اللهم إني أسألك النعيم يوم العيْلة**»: وأسألك يا اللّه أن تكمل علي النعيم يوم الشدة، والفقر، وأن تُغنيني عن السؤال والافتقار، لأحدٍ سواك من الخلق.

قوله: «**والأمن يوم الخوف**»: وأسألك الأمان والاطمئنان، يوم أن يحل الخوف والفزع بين الأنام.

وفي رواية: «**والأمن يوم الحرب**»: أي: وأسألك الأمان في الجنان، الذي به ثبات الأقدام في الحرب، أمام الأعداء، في القتال، وهو من عطف الخاص على العام، في قوله «**الأمن يوم الخوف**».

قوله: «**اللهم إني عائذٌ بك من شر ما أعطيتنا**»: فيه طلب الاستعاذة من شر ما يُعطاه العبد، من الرزق والخير، «فيؤدي به إلى ترك ما يجب عليه من الزكاة، وصلة

الأرحام، ونحوهما»[1]، وبأن يكون سبباً للطغيان، والاستكبار والعصيان، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ (العلق). «وقد لا يوظف الأشياء التي حباها الله له، ورزقه، في الطاعات، والخيرات».[2]

قوله: «وشر ما منعتنا»: استعاذ من الشر الذي منعه الله منه، لكمال علمه، وحكمته بحاله، «فيؤدي به إلى الحسد، وما يتولد عن الحسد، كالسعي في هلاكه بغياً وعدواناً، ومن الحزن والهم المانع من الأمور المهمة لنا، في الدين والدنيا»[3]، بسبب عدم القناعة والرضا بما قسم الله له.

قوله: «اللهم حبب إلينا الإيمان وزيّنه في قلوبنا»: أي: اجعل الإيمان محبوباً لنا في نفوسنا، مُزيناً في قلوبنا، فيتزيَّن ظاهرنا بالأعمال الصالحة، بما زينت به باطننا، فإنه أعظم أعمال القلوب، الموصلة إلى دار الخلود.

قوله: «وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان»: أي: اجعل قلوبنا ونفوسنا تكره وتنفر من هذه المعاصي العظام من: الكفر، والخروج عن الطاعة، والعمل بالمعصية.

قوله: «واجعلنا من الراشدين»: اجعلنا راشدين مستقيمين في أعمالنا على طاعتك وحسن عبادتك في ظاهرنا، وباطننا، وفي كل أحوالنا، لما تفيده الجملة الاسمية من الدوام والثبوت.

قوله: «اللهم توفنا مسلمين»: اللهم أمتنا على الإسلام، وبحسن الخاتمة عليه.

كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران). فمن مات عليه بُعث عليه، سالماً من العذاب.

قوله: «وأحينا مسلمين»: بأن نحيا على الإسلام، وذلك بالاستسلام لك في الظاهر والباطن، والسر، والإعلان.

---

(١) انظر: تحفة الذاكرين (٢٥٤).

(٢) شرح الأدب المفرد للعوايشه (٢/٣٦٧).

(٣) فضل الله الصمد (٢/٥٠).

قوله: «**وألحقنا بالصالحين**»: بأن نلحق بركبهم، وهذا لا يكون إلا إذا صحبهم العبد في الدنيا، وأحبهم كما قال ﷺ: «**المرء مع من أحب**».

قوله: «**غير خزايا**»: أصل الخزي هو الذل الذي يُستحيا من مثله لما يخاف من الفضيحة منه، والمعنى: لا تذلني بمعصيتك، ولا تهني بتركي أوامرك.[(١)]

قوله: «**ولا مفتونين**»: «أي: غير واقعين في الفتنة الدينية، والبلية الأخروية، أولا معذبين، سأل الله الحفظ والسلامة، في الدنيا والآخرة.

قوله: «**اللهم قاتل الكفرة الذين يُكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك**»: بتثبيتنا وقذف الخوف والوهن في قلوبهم، أو بإمداد الملائكة، وفيه بيان من يستحق عليهم القتال (وبيان العلة في قتالهم وهو) من صد عن سبيل الله وتكذيب الرسل.

وقوله: «**واجعل عليهم رجزك وعذابك**» أي: أنزل عليهم الرجس والعذاب، وإنما خصه بالذكر مع كونه داخلاً تحت العذاب، لبيان شدته وقوته».[(٢)]

قوله: «**اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب، إله الحق آمين**» هذا الدعاء كسابقه فذاك للكافرين عامة، وهذا في كفار أهل الكتاب. وهو من عطف الخاص على العام، دعى عليهم لأنهم لم يأتمروا بأمر الله تعالى، ولم ينتهوا عما نهى الله عنه، ومن ذلك: تحريفهم لكتبه، ثم ختم باسمين من أسمائه جل وعلا (إله) (الحق)، وهذا من حسن الختام، ومعنى اسمه تعالى «الإله» «هو المألوه، أي: المستحق أن يؤله أي: يعبد ويفرد بالعبادة، دون أحد سواه».[(٣)]

والاسم الثاني: «**الحق**» وهو ضد الباطل، ويطلق على الثابت الذي لا يزول ولا يتغير والله تبارك وتعالى هو: الحق، وكل معبود دونه باطل، فهو سبحانه المتحقق في وجوده، وكونه على الحقيقة، وفي ربوبيته، وإلهيته وأسماؤه السنية، وصفاته العلية، أزلاً وأبداً على الديمومية.[(٤)]

---

(١) شرح الأدب المفرد للعوايشة (٢/٣٦٨).

(٢) انظر: فضل الله الصمد (١/٥٠)، و شرح الأدب المفرد (٢/٣٦٨)، و تحفة الذاكرين (٢٥٤).

(٣) مدارج السالكين (٣/٢٧)، ومجموع الفتاوى (١٣/٢٠٢).

(٤) انظر: لسان العرب (١٣/٤٦٧١)، وشأن الدعاء (٧٦)، وأسماء الله الحسنى د. عمر الأشقر (١٩٥).

وقوله: «آمين»: أي: استجب، فهو طلب الإجابة من الرب عز وجل واستنجازها، والتأمين: تأكيد لما تقدم من الدعاء، وتكرير له، بأوجز لفظ.

الفوائد:

تضمن هذا الدعاء الجليل جُلَّ آداب الدعاء، وأسباب الإجابة، والتي منها تقديم الحمد، والثناء، والتعظيم، وجملاً من صفات الرب عز شأنه وبيان عظمة آثارها، ومتعلقاتها فهي كما تقدم من آكد الأسباب في حصول الاستجابة، كما في قوله: «لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت». مشروعية التفصيل في ذكر سبب الدعوة كما في قوله: «الذين يكذبون رسلك...». جواز الاستعاذة، من الأمور التي لم تقع «وشر ما منعتنا». جواز الاحتراز في السؤال: «النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول». مشروعية الدعاء على الكفرة حتى على أهل الكتاب والذمة. أهمية التأمين بعد الدعوة وأنها من مؤكدات الإجابة. التوسل إليه تعالى باقتران بأسماء حسنى مناسبة لمطلوبه، كما في قوله «إله الحق» فإن الألوهية «الإله» مستلزم لجميع الحسنى والصفات العلا، واسمه «الحق» أنه هو العدل سبحانه، الذي ينصر أهل الحق ويعلي أمرهم على عدوهم، فدل على أن هذه الألوهية هي الحق التي لا يعتريها باطل على الدوام، فلا تزول ولا تحول في أي حال من الأحوال. فناسب السؤال بهذا الاقتران، النصرة على أهل الكفران.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(٧٨) «اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُك خَيْرَ الْمَسْأَلَة، وَخَيْرَ الدُّعَاء، وَخَيْرَ النَّجَاح، وَخَيْرُ الْعَمَل، وَخَيْرُ الثَّوَاب، وَخَيْرُ الْحَيَاة، وَخَيْرُ الْمَمَات، وَثَبِّتْنِي، وَثَقِّل مَوَازِينِي، وَحَقِّقْ إيمَانِي، وَارْفَعْ دَرَجَاتِي، وَتَقَبَّلْ صَلاَتِي، وَاغْفِرْ خَطِيئَتِي، وَأَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ الْعُلا مِنَ الْجَنَّة، اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُك فَوَاتِحَ الْخَيْر، وَخَوَاتِمَهُ، وَجَوَامِعَهُ، وَأَوَّلَه، وَظَاهِرَهُ، وَبَاطِنَهُ، وَالدَّرَجَاتِ الْعُلَا مِنَ الْجَنَّةِ آمِينْ، اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُك خَيْرَ مَا آتِي، وَخَيْرَ مَا أَفْعَلُ، وَخَيْرَ

مَا أَعْمَلُ، وَخَيْرَ مَا بَطَنَ، وَخَيْرَ مَا ظَهَرَ، وَالدَّرَجَاتِ العُلَا مِنَ الْجَنَّةِ آمِينْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَرْفَعَ ذِكْرِي، وَتَضَعَ وِزْرِي، وَتُصْلِحَ أَمْرِي، وَتُطَهِّرَ قَلْبِي، وَتُحَصِّنَ فَرْجِي، وَتُنَوِّرَ قَلْبِي، وَتَغْفِرَ لِي ذَنْبِي، وَأَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا مِنَ الْجَنَّةِ آمِينْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُبَارِكَ فِي نَفْسِي، وَفِي سَمْعِي، وَفِي بَصَرِي، وَفِي رُوحِي، وَفِي خَلْقِي، وَفِي خُلُقِي، وَفِي أَهْلِي، وَفِي مَحْيَايَ، وَفِي مَمَاتِي، وَفِي عَمَلِي، فَتَقَبَّلْ حَسَنَاتِي، وَأَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ العُلَا مِنَ الْجَنَّةِ، آمِينْ».[1]

عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: هذا ما سأل محمد ربه: وفي لفظ رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات:...............[2]

الشرح:

هذا الدعاء العظيم المبارك الجليل، الجامع لكل الخيرات والمطالب في الدنيا والآخرة، تفصيلاً، وتنويعاً، فهو أشمل وأكثر الأحاديث التي جاءت عن النبي ﷺ التي فيها من التفصيل، والتنويع، والتعميم، والشمول في طلب كل ما يتمناه العبد الصالح في معاشه، ودينه، ومعاده، فقد تضمن أكثر من خمسة وأربعين مطلباً من خيري الدارين، فجاء في سياق البسط، والتطويل حتى يستحضر العبد كل أنواع الخيرات والمنافع التي يتمناها.

وذلك: «إنَّ الجملة الطلبية إذا وقعت موقع الدعاء والسؤال، كان بسطها، وتطويلها أنسب من اختصارها وحذفها، ولهذا يشرع تكرارها، وإبداؤها، وإعادتها،

(١) أخرجه الحاكم عن أم سلمة مرفوعاً، ١/ ٥٢٠، وصححه ووافقه الذهبي، ١/ ٥٢٠، والبيهقي في الدعوات، برقم ٢٢٥، والطبراني في الكبير، ٣٢/ ٣٢٦، برقم ٧١٧، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: «رواه الطبراني في الكبير ورواه في الأوسط باختصار بأسانيد، وأحد إسنادي الكبير، والسياق له، ورجاله الأوسط ثقات، مجمع الزوائد ١٠/ ٢٨٠، (ورواه الطبراني في الدعاء برقم (١٣٥٦)، و(١٤٢٢)، وحسنه محقق الكتاب، د. محمد سعيد البخاري (٣/ ١٤٣٦)، (٣/ ١٤٦٥).

(٢) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٥٢٠) والطبراني في الدعاء (١٤٢٢)، وحسنه محقق الكتاب (٣/ ١٤٦٥).

لأن في مقام الدعاء، والتضرع، وإظهار العبودية، والافتقار، واستحضار الأنواع التي يدعو بها العبد، ويسألها ربه جل وعلا أفضل، وأبلغ من اختصارها، فكلما كثّر العبد الدعاء، وطوّله، وأعاده، وأبداه، ونوع جمله، كان ذلك أبلغ في عبوديته، وإظهار فقره، وتذلله، وحاجته، وكان ذلك أقرب له من ربه، وأعظم لثوابه، والله تعالى يحب الملحين في الدعاء».[1] وهذا يظهر جلياً في هذا الدعاء الجليل المبارك، فلعلك عرفت السر في سبب إسهاب النبي ﷺ فيه من الدعاء.

قوله: «**اللهم إني أسألك خير المسألة، وخير الدعاء**»: استفتح رسول الله ﷺ ، هذا الدعاء المبارك بسؤال الله تعالى خير المسألة، وخيرها هو: أقواها تأثيراً في الإجابة، وأحسنها جمعاً للمطلوب، الذي العبد أحوج إليه من غيره من خيري الدنيا والآخرة، وهكذا «خير الدعاء»، والمراد أنه طلب من الله سبحانه وتعالى أن يرشده إلى خير المسألة التي يسأل الله بها عز وجل وإلى خير الدعاء الذي يدعى به سبحانه.[2]

فدلَّ على أن كل المطالب الآتية هي خير المسألة والدعاء، لأن دعاء النبي مستجاب، ولهذا حسن استفتاحه الدعاء بسؤال هذين الأمرين، فكان في غاية المناسبة والحكمة، وقوله «**خير**» على وزن فعل للتفضيل.

«**وخير النجاح**»: النجاح هو: الظفر بالشيء.[3] أي: وأسألك التمام والكمال في الأمور، والحصول على كل مطلوب، في كل أمر دنيوي، وأخروي.

«**وخير العمل**»: أي: التوفيق إلى أفضل العمل، وأحسنه، وأتمه وأكمله، الذي يحبه الرب جل وعلا، الذي فيه الثواب الأكثر، والأجزل، ومنه الصلاة، لأنها أفضل العمل، قال ﷺ: «**اعلموا أن خير أعمالكم الصلاة**»[4].

(١) جلاء الأفهام، (٢٣٠).

(٢) تحفة الذاكرين (٤٣٨).

(٣) القاموس المحيط (١٢٦٢).

(٤) انظر هذه الروايات في: صحيح ابن ماجه (٢٧٧)، وللألباني كذلك في صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠).

وبالجملة: أنه سأل التوفيق إلى أصوب العمل، ولا يكون إلا موافقاً بما جاء به الشارع، مخلصاً به للخالق.

«**وخير الثواب**»: فيه سؤال اللّه أن يثيبه أكثر الثواب، وأعظمه، بمضاعفته له أضعافاً مضاعفه، فتضمن هذا السؤال التوفيق إلى أفضل الأعمال، والأقوال، عند اللّه تعالى، وأرفعها قدراً، وكل هذا من البسط، والتنويع في حصول هذا المطلوب الجزيل، وهو الأجر بالمضاعفة، والزيادة الدائمة.

«**وخير الحياة**»: أي: أفضل الحياة، وأحسنها، بأن تكون في طاعة الرحمن، وحسن العبادة له، واجتناب معاصيه عزّ وجلّ، والحياة الطيبة المطمئنة من البلاء، والمصائب، والأكدار.

«**وخير الممات**»: «وهو: أن يموت مرضياً عنه، مغفوراً له مثاباً، متشبثاً على الحق مختوماً له بالسعادة، وحسن الخاتمة، من العمل الصالح، وبكلمة الشهادة.

«**وثبتني**»: سؤال اللّه الثبات والاستقامة، وحذف المفعول مشعر بالتعميم والشمول، فيشمل التثبيت في جميع الأمور، في الأقوال، والأفعال».(1)

وبالجملة فيه سؤال اللّه الثبات في المعاش، والمعاد، ففي الدنيا: الثبات أمام الشبهات، والشهوات، وفي البرزخ: بالقول الثابت عند سؤال الملكين، وفي الآخرة على الصراط، فتضمن الطلب الثبات الحسي، والمعنوي، الدنيوي، والديني، والأخروي، وهذا مما لا يخفى من جوامع الكلم التي أوتيها سيد الأولين والآخرين.

قوله: «**وثقل موازيني**»: بكثرة الحسنات من الأعمال الفاضلات الصالحات على السيئات، ومنها حسن الخلق، لأنه أثقل الأعمال في الميزان، فإن من كثرة حسناته على سيئاته، فقد فاز بالسعادة الأبدية قال تعالى: ﴿**والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون**﴾ (الأعراف: ٨).

---

(١) **تحفة الذاكرين (٤٣٨) بتصرف.**



قوله: «**وحقق إيماني**»: «بأن يكون ثابتاً قوياً (لا شك فيه ولا ريب) فإن قوة الإيمان سبب للرضا بالقضاء، وللإذعان لأحكام القدر، وذلك أصل كبير يوجب الفوز بالسعادة»[1] الأبدية.

سأل ربه تعالى أجل مطالب الدين، الذي عليه الفلاح في الدارين.

قوله: «**وارفع درجاتي**»: في الدنيا بإعلاء الثناء، والذكر الحسن، والقبول في الموعظة، وامتثال الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والشفاعة، وغير ذلك، ورفع الدرجات والمنازل العالية في الآخرة.

قوله: «**وتقبل صلاتي**»: بأن تكون مقبولة، لأنها رأس الإيمان وأساسه، وقبولها يستلزم قبول غيرها من العمل، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ، أنه قال: «**أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت، صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله**».[2]

قوله: «**واغفر خطيئتي**»: أي: تجاوز عن كل خطيئاتي: سرها، وعلانيتها، صغيرها، وكبيرها، التي بيني وبينك، وبيني وبين عبادك، لأنه من غفر الله له ذنوبه نجا من كل مهروب، ونال من كل محبوب.

قوله: «**وأسألك الدرجات العلا من الجنة آمين**»: ختم هذا الدعاء بأعظم المطالب، وأرفع المراتب، والذي يتمناه كل الخلائق، في الآخرة، وهو الجنة، بل سأل الدرجات العلا التي فيها، وهي أعلى منازلها، ورتبها، وهذا الدعاء كالتخصيص في الدعاء السابق «**وارفع درجاتي**» من باب عطف الخاص على العام، لأهميته، وشدة العناية به، وذلك أن درجات العلا في الجنة هي أعلى المنازل، وأغلى الأمنيات والآمال، وهذا تعليم منه ﷺ لنا لرفع الهمة في تعظيم الرغبة، في الدعاء والمسألة، المستلزم للإكثار من العبادة الرافعة للدرجات في الآخرة، ولجلالة هذا المطلب كرر سؤاله لربه سبحانه خمس مرات.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٧٦).

وقد جاء عن نبيك محمد ﷺ ذكر بعض أوصاف هذه المنازل العلا، في أحاديث كثيرة نذكر بعضاً منها، لعلها تشد من عزيمتك في سؤالها، فعن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أهل الدرجات العلا يراهم من هو أسفل منهم، كما ترون الكوكب الطالع في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما**»(١).

وقال ﷺ: «**إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدُّرِّي الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم**»، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «**بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين**»(٢).

وفي لفظ: «أنه قال ﷺ: «**بلى والذي نفسي بيده، وأقوام آمنوا بالله ورسوله وصدقوا المرسلين**»(٣).

ثم ختم بالتأمين ومعناه (اللهم استجب)، فيه «طلب الإجابة، من الرب سبحانه واستنجازها، فهو تأكيد لما تقدم من الدعاء، وتكرير له»(٤).

ثم شرع في سؤال الخير بكل أنواعه، وأجناسه، وأفراده الظاهرية، والمخفية:

«**اللهم إني أسألك فواتح الخير وخواتمه**»: «فجمع في السؤال بين طرفي الخير.

«**وجوامعه**»: سأل الله جوامع الخير لأنه ما يجمع الأمر المتفرق هو أقرب إلى ضبطه، وأسهل لتيسيره وأقرب لحصوله»(٥).

ثم أكد الطلب فقال: «وأوله وآخره وظاهره وباطنه» فيه سؤال الله تعالى من الخير من جميع صنوفه، وصوره الجلية والخفية، الظاهرة والباطنة، وإن يحاط

---

(١) صححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٩٦)، وفي صحيح الترمذي (٣٦٥٨).

(٢) البخاري برقم (٣٢٥٦)، (٦٥٥٦)، ومسلم برقم (٢٨٣١).

(٣) صحيح الترمذي (٢٥٥٦).

(٤) تحفة الذاكرين (٤٣٨).

(٥) المصدر السابق.

بالخيرات في جميع أحواله، وسكناته، وتقلباته، بأشمل، وأوسع عبارة في السؤال، وكان يغني سؤال اللّه الخير بقوله: «اللهم إني أسألك الخير كله»، لكن في باب التضرع والسؤال كما سبق، أفضل في البسط، والشمول، وحتى يستحضر أنواع الخير التي يتمناها العبد من ربه، التي فيها سعادته في الدنيا والآخرة، ولا يخفى أن التفصيل في سؤال اللّه تعالى الخير، لأنه تتشوق إليه كل النفوس.

ثم ختم «والدرجات العلا من الجنة آمين» كرر سؤال الدرجات العلا من الجنة، وهي أعلى مراتبها كما تقدم، تأكيداً لهذا المطلب الجليل، دلالة على أنه حق على كل داعي أن يكون جُلّ دعاؤه، لهذا المطلوب الاسمى.

قوله: **«اللهم إني أسألك خير ما آتي»** أي: يا إلهي أسألك «خير الذي آتيه من جميع الأمور، فيشمل من الأقوال، والأفعال، والأخلاق، كما دل عليه اسم الموصول «ما».

ثم عطف عليه «خير ما أفعل وخير ما بطن وخير ما ظهر»: من عطف الخاص على العام، والنكتة فيه معروفة»[1]، لأهميته، وشدة العناية به كما تقدم، ففيه سؤال اللّه أن تكون كل أعماله، وأفعاله الظاهرية والباطنية، وعلى الوجه الأكمل، والأمثل المرضي عنده عز وجل، ولهذا عظم مرغوبه بالبسط فيه والتعظيم له بصيغة التفضيل «أفعل».

ثم ختم السؤال «وأسألك الدرجات العلا من الجنة آمين» مرة ثالثة، وهذا أقل درجات الإلحاح، وهذا يدلك على عظم هذا المطلوب، وأنه ينبغي أن يكون أكثر السؤال والمنوال، وهو دأب الراغبين فيما عند اللّه تعالى في دار الآخرة.

قوله: **«اللهم إني أسألك أن ترفع ذكري»:** سأل اللّه أن يُعلي ذكره بالثناء عليه، لأنه يترتب على ذلك مصالح من قبول الدعاء إلى الحق، وامتثال الموعظة الحسنة، وهذا قد سأله خليل الرحمن إبراهيم كما حكى اللّه سبحانه وتعالى عنه ذلك ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤﴾ (الشعراء)، وقد امتن اللّه سبحانه وتعالى على نبيه فقال: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ (الشرح: ٤).

(١) المصدر السابق.

«**وتضع وزري**»: أي: أن تسقط عني ذنوبي وآثامي.

«**وتصلح أمري**»: سؤال الله إصلاح أحواله وشؤونه كلها، الدنيوية والدينية، كما يدل عليه إضافة اسم الجنس إلى الضمير.

«**وتطهر قلبي**»: سأل الله طهارة القلب، من كل ما يشينه من سوء وإثم، فإذا طهر القلب أبصر الحق فتبعه، وعرف الباطل فاجتنبه.[1]

«**وتحصن فرجي**»: أي أسألك أن تعصمني من الوقوع بالذنوب المتعلقة بالفرج، ومنها النظر إلى كل ما حُرم، الذي هو بريد الزنى، ومقدماته من الزنى، أو الاستمناء، أو اللواط.

«**وتنور قلبي**»: أسألك أن تنوره بأنوار المعرفة، والهداية، لأن بتنويره يستلزم تنوير كل الأعضاء إلى اتباع الحق، واجتناب الباطل، جمع بين هذه الدعوة والتي قبلها: (**طهر قلبي**) من بات التخلية قبل التحلية، فالتطهير تنقيته من الآثام، والتنوير: تحليته في حصول المطلوب من المعارف الربانية، والحقائق الإيمانية.

«**وتغفر لي ذنبي**»: وأن تستر، وتتجاوز عن سيئاتي كلها، ففي المغفرة الأمان من العذاب، والسلامة من كل مرهوب، والفوز بكل محبوب، وسؤال المغفرة يتضمن التوفيق إلى كل أسبابها.

ثم ختم الدعاء مرةً رابعة «وأسألك الدرجات العلا من الجنة آمين»: لأن الدرجات العلا هي منازل السابقين المقربين عند رب العالمين، لهذا يحسن الإلحاح في طلبها في كل حين.

قوله: «**اللهم إني أسألك أن تبارك في نفسي**»: البركة هي الخير، والنماء الدائم، والثابت، وسؤال الله البركة في النفس بأن تكون منشرحة لقبول الحق، ومحبة الخير، نشيطة في الطاعة، مجانبة للمعصية، قوية في الهمّة، والرغبة فيما عند الله.

قوله: «**وفي سمعي وفي بصري**»: والبركة فيهما أن يكونا صحيحين سالمين

(١) تحفة الذاكرين (٤٣٩)، بتصرف يسير.



من كل آفة وعيب، واستعمالهما في الحق، ورد الباطل، وتوظيفهما في طاعة اللّه ومرضاته.

قوله: «**وفي روحي**»: إذا كانت الروح مباركة، كانت جميع الأعمال الصادرة عنها مباركة، جارية على الصواب والرشاد.

قوله: «**وفي خَلقي**»: والبركة في الخَلق وهي الخِلقة: تحسينها، واستواء الصورة فيها، وجمالها، خالية من العيوب، والآفات المشوهة للصورة، والمنفرة منها.

قوله: «**وفي خُلقي**»: سؤال البركة في الخُلقُ بأن يكون حسناً على الوجه الأكمل، فإذا بورك فيه كان سبباً لمحبة الناس له، وقبول نصحه وموعظته، في أمره ونهيه، فهو سبب لجلب كل خير، ودفع كل شر، وهو من أعظم ما يثقل به ميزان المؤمن يوم القيامة، قال رسول اللّه ﷺ: «**ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن من حسن الخلق**».[1]

قوله: «**وفي أهلي**»: سأل اللّه البركة في الأهل، بأن يكونوا له قرة عين له في الدنيا، والعقبى، ففي الدنيا: صلاحهم، وكثرة النسل، وفي الآخرة: مرافقتهم معه في جنات النعيم.

قوله: «**وفي محياي**»: من رزق طيب، وزوجة، وذرية صالحة، والحياة الآمنة، والتوفيق لصالح الأعمال، والأقوال، والأفعال.

قوله: «**وفي مماتي**»: على التوبة، والعمل الصالح، وحسن الختام، والسلامة من المظالم، والمغارم، وميتة سوء المصارع، والمهالك.

قوله: «**وفي عملي**»: سؤال البركة في الأعمال، بأن تكون كثيرة، على الوجه الصواب من الإخلاص، والسداد، والاتباع، المقتضية لمضاعفة الأجر والثواب.

قوله: «**فتقبل حسناتي**»: بأن تكون مقبولة، وذخيرة لي في آخرتي، فتضمن هذا الطلب سؤال اللّه تعالى أن يكون من المتقين، لأن اللّه تعالى لا يتقبل إلاّ منهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ (المائدة).

---

(١) صحيح الترمذي (٢٠٠٥)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٨٧٦).

قوله: «**وأسألك الدرجات العلا من الجنة آمين**»: ختم بهذا الدعاء خمس مرات «لأنه أعظم مقاصد، وأجل مطالب أنبياء اللّه، وصالح عباده»[1] الأولياء، بأن يكونوا في أعالي جنات النعيم المقيم، فإنها منزلة رفيعة وعظيمة لا يصلها إلا المشمرون الدائبون، إلى مرضات رب العالمين، تعالى بالقول، والعمل، مع حسن ظن ويقين وإلحاح في سؤالها، والتأمين عند خاتمتها، ينالها الداعون بإذن اللّه الكريم المنان.

فقد تضمن هذا الدعاء المبارك الجليل القدر كما تقدم على أكثر من خمسة وأربعين سؤالاً، ومطلباً في أهم مهمات دينك، ودنياك، وآخرتك، فاعتن به وارغب فيه إلى اللّه سبحانه آناء الليل، وأطراف النهار، فلن يخيبك اللّه تعالى أبداً.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(٧٩) (اللهم إني أعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن).

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ أقبل علينا بوجهه فقال: «تعوذوا باللّه من الفتن ما ظهر منها وما بطن».[2]

الشرح:

قوله: «**اللهم إني أعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن**»، أمرنا المصطفى ﷺ التعوذ باللّه تعالى من الفتن جميعها، ما ظهر منها وما بطن، لأنها في الغالب سبب هتك الحرم، وسفك الدماء، ونهب الأموال، فهي من أعظم الأسباب في الوقوع في الظلم والآثام، وفي المهالك والشدائد التي تضيع الدين، والدنيا، بل والآخرة، ولهذا سأل ﷺ: «**وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني غير مفتون**» وأرشدنا أن نقول ذلك وندعوه به.

(١) تحفة الذكرين (٤٤٠).
(٢) مسلم (٢٨٦٧).



ففي ذلك دليل على أن خطبها عظيم، وإثمها وخيم، وعقابها جسيم، ولهذا أخبر ربنا العظيم، أن الفتنة في الدين أعظم من الموت، وكما وصفها سبحانه بأنها أكبر من القتل[١].

فقال جل شأنه: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ (البقرة: ١٩١) وقال عز شأنه: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ (البقرة: ٢١٧) يقول ابن كثير رحمه الله: «فإن فتنة المؤمن في دينه حتى يرد إلى الكفر بعد إيمانه، فذلك أكبر عند الله تعالى من القتل»[٢]. ويقول ابن السعدي رحمه الله: «إن المفسدة بالفتنة عنده تعالى بالشرك، والصد عن دينه، أشد من مفسدة القتل»[٣] ولهذا كان ﷺ يتعوذ منها في دبر كل صلاة، لشدة خطورتها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، كان رسول الله ﷺ يتعوذ في دبر كل صلاة من أربع، فذكر منها «الفتن ما ظهر منها وما بطن».[٤]

وقوله: «**ما ظهر منها وما بطن**»: يدل على خطورة الفتن وذلك أن منها ظاهراً، وأن منها باطناً لا يُرى ولا يُعلم به، وهذا أشد ما يكون من الفتن، لأن ما خفي لا يرى ولا يدرك، يصعب اجتنابه وتفاديه والعياذ بالله تعالى.

(٨٠) «استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه».

عن زيد رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من قال استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم وأتوب إليه» غفر له وإن كان فر من الزحف».[٥]

المفردات:

العظيم: من أسماء الله تعالى الحسنى، يدل على السعة والكثرة والزيادة من

(١) انظر: تحفة الذاكرين (٤٤٢).
(٢) التفسير (١/٣٢٠، ٣٥٤).
(٣) ابن السعدي (٨٩).
(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٧٧٨) وصحح إسناده الشيخ شعيب الأرنؤوط (٤/٤٩٦).
(٥) صححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٥٧٧)، وفي صحيح أبي داود (١٥١٧)

معاني أسماء اللّه وصفاته[1]، والمعنى: أنه تعالى موصوف بكل صفة كمال وعظمة، الذي جاوز قدره وعظمته حدود العقول، حتى لا تتصور الإحاطة بكنهه وحقيقته، المستحق لكل أنواع التعظيم[2]، من العالمين.

الزحف: التولي عن صف القتال يوم الحرب.[3]

الشرح:

هذا الدعاء الجليل فيه استغفار عظيم، مقرون بتوسلات جليلة، بأسماء اللّه الحسنى، وصفات ربنا العلية، ومعاني عظيمة في طلب المغفرة، من رب العزة، بأجمل العبارات، وأسمى الكلمات، ولهذا رتب عليه من الثواب الجزيل، فوق ما يخطر على البال، فإن في مضامينه:

١ ـ طلب المغفرة التي عليها السلامة والنجاة يوم الآخرة، بأجمل العبارات، والمدلولات مقرونة، بدءاً بأعظم الأسماء وأجلها على الإطلاق «اللّه».

٢ ـ وفيه توسل بأسماء اللّه الحسنى «اللّه، الإله، العظيم، الحي، القيوم».

٣ ـ وإقرار بألوهية اللّه تبارك وتعالى «لا إله إلا هو» المتضمن لتوحيد الربوبية.

٤ ـ وعزم على التوبة في الحال، والاستقبال.

قوله: **«من قال استغفر اللّه»:** أي: من سأل تبارك وتعالى المغفرة للذنوب، والتجاوز عنها، وسترها، وترك العقاب عليها، كما دل حرف «السين» الذي يدل على الطلب.

وقوله: **«اللّه العظيم»** في اقتران بين اسم الجلالة (اللّه)، واسمه (العظيم)، فيه زيادة من معاني الكمال: وهو عظمة وجلالة ألوهيته تبارك وتعالى، فهي ألوهية مبنية على العظمة، المستحقة للتعظيم من جميع وجوهه من كل العالمين، لأن العظيم: يدل على عظمة الذات، والصفات، والأفعال والسلطان، والألوهية تدل على العبودية، المستحق له تعالى وحده من كل البرية.

---

(١) بدائع الفوائد (١/١٧٥).

(٢) النهاية (٥٢٦)، والحق الواضح (٢٧).

(٣) النهاية (٣٩٠).

وفي تخصيص ذكر اسم «**العظيم**»، مناسب في طلب المغفرة من الذنوب العظام، فإنه سبحانه لعظمته، لا تتعاظم عليه المسائل، والدعوات مهما كثرت، وكبرت، وعظمت[1] ومن ذلك مغفرة الذنوب العظام، وإن كانت من أكبر الكبائر كالفرار من الزحف، عند لقاء العدو في القتال.

وقوله: «**لا إله إلا هو**»: أي: لا معبود بحق إلا اللّه، ففيه إقرار وإذعان من العبد باستحقاق الرب، العبودية الحقة له تبارك وتعالى وحده من كل فرد.

وقوله: «**الحي القيوم**»: ذكر هذين الاسمين الجليلين يدل في غاية المناسبة في طلب المغفرة كذلك، لأن جميع الأسماء الحسنى، والصفات العلا الذاتية، والفعلية ترجع إليهما، فالصفات الذاتية: ترجع كلها إلى اسم «الحي»، والفعلية إلى اسم «القيوم». «فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال أتم انتظام».[2]

ولهذا عدّ جمع من أهل العلم كما تقدم أنهما اسم اللّه الأعظم.[3]

وقوله: «**وأتوب إليه**»: فيه إقرار، وتأكيد، وعزم على التوبة إلى اللّه تبارك وتعالى «فينبغي ألا يتلفظ بهذا إلا إذا كان صادقاً فيه في باطن الأمر كظاهره، وإلا كان كاذباً بين يدي اللّه عز وجل، فيخشى عليه مقته».[4]

وقوله: «**وإن كان فر من الزحف**»: هذه بشارة عظيمة، وكريمة، من رب البرية، وهذا من فضل اللّه سبحانه وتعالى على عباده، أن من ارتكب كبيرة، بل وإن كانت من أعظم الكبائر، كالفرار من الزحف، الذي أخبر النبي ﷺ أنها من الموبيقات المهلكة، كمال قال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات... (فذكر منها) التولي يوم الزحف**».[5] أنه يغفر له.

---

(١) كما جاء في الحديث: «... وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه» مسلم (٢٦٧٨).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (١٣٥).

(٣) كابن تيمية وابن القيم وغيرهما.

(٤) الفتوحات الربانية (٣/٧٠١).

(٥) البخاري (٢٧٦٦)، مسلم (٨٩).

والفرار من الزحف: هو الفرار من الجهاد في سبيل الله حال قتال الكفار في الحرب، فدل هذا الاستغفار العظيم على أنه تعالى يغفر الذنوب (العظام) التي لا توجب على مرتكبها حكماً في نفس، ولا مال، كالفرار من الزحف، أو مثله، أو دونه من الكبائر[١]، إذا قاله العبد مخلصاً، صادقاً، مستحضراً معانيه، ينال هذه البشارة العظيمة، من المغفرة.

الفوائد:

فوائد الاستغفار محو الذنوب، وستر العيوب، وإدرار الرزق، وسلامة الخلق، والعصمة في المال، وحصول الآمال، وجريان البركة في الأموال، وقرب المنزلة من الديان، ورضي الغفور الرحمن[٢]. وكثرة الأموال والبنين ونزول الأمطار، وقوة في الأبدان، والعيش بأمان في الدنيا، وإلى دخول الجنان.

(٨١) «اللهم إني أعوذ بك من البخل، والجبن، وأعوذ بك من سوء العمر، وأعوذ بك من فتنة الصدر، وأعوذ بك من عذاب القبر».

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من خمس:..................[٣]

الشرح:

لقد تكررت في دعوات النبي ﷺ الاستعاذة من هذه الأمور، دلالة على أنها أمور مهمة وخطيرة، ينبغي الاستعاذة منها على الدوام.

قوله: «**أعوذ بك من سوء العمر**»: هو كقوله ﷺ «من سوء الكبر» وهو البلوغ إلى حد يعود معه كالطفل في قلة الفهم، وضعف القوى الذهنية، والبدنية، فيصبح عالة على أهله، وقد يكون المقصود بـ«**سوء العمر**» وهو عدم الصلاح والبركة، في حياة

(١) بداية المبتدئ وهداية السالك (٩٦)، والفتوحات الربانية (٣/٧٠١)، بتصرف يسير.

(٢) الفتوحات الربانية (٣/٧٠٢).

(٣) أخرجه أحمد (١٤٥)، وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط على شرط الشيخين (١/٢٩٠)، والألباني في صحيح النسائي (٥٤٩٧) وصحيح موارد الظمآن (٢/٥٥٤)، (٢٠٧١)

العبد وعمره، من سوء الأعمال والسيئات، فإن طول عمر المؤمن زيادة في الخير، كما جاء في الحديث عندما سئل المصطفى ﷺ: «يا رسول الله من خير الناس»؟ قال: «من طال عمره وحسن عمله»، قال: فأي الناس شر؟ قال: «من طال عمره وساء عمله».[1]

قوله: «**وأعوذ بك من فتنة الصدر**»: هي كل ما ينطوي عليه الصدر من الشكوك والوساوس، وعقيدة غير مرضية فاسدة من سوء (الاعتقاد)، ومن غلٍ وحسدٍ وحقدٍ، وغير ذلك من الشرور والمساوئ التي ينطوي عليها القلب.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(٨٢) «اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله حُزنه وهمَّه، وأبدله مكانه فرحاً»

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ما قال عبدٌ قط، إذا أصابه همٌّ أو حُزن فقال:.......

قالوا: يا رسول الله، ينبغي لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات. قال: «أجل ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن».[2]

المفردات:

الهم: المكروه الوارد على القلب في الأمر المستقبل.

الحزن: عكس الهم، وهو على أمر قد مضى.[3]

الناصية: مقدمة الرأس. ماضٍ: نافذ.

---

(١) صحيح الترمذي (٢٣٢٩) (٢٣٣٠).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٧١٢) (٤٣١٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٩)، وفي صحيح الكلم الطيب برقم (١٢٤).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/٣٧٦).

الشرح:

هذا الدعاء الجليل مشتمل على مسائل مهمة عقدية، في جميع أنواع التوحيد، والإيمان، والقدر، والعبودية، من التفويض، والتوكل، والاستعانة، وغير ذلك الكثير، ولهذا قال الإمام ابن القيم رحمه: «ففيه من المعارف، وأسرار العبودية، ما لا يتسع له كتاب».[١]

قوله: «**اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك**»: اعتراف العبد بأنه مخلوق للّه، مملوك له، هو وآباؤه وأمهاته، ابتداء من أبويه المقربين انتهاء إلى آدم وحواء[٢]، فالكل مماليك للّه عز وجل خالقهم، ومدبر أمورهم، وشؤونهم، لا غنى لهم عنه طرفة عين، وليس لهم من يلوذون ويعوذون به سواه[٣].

وهذا فيه كمال التذلل والخضوع والاعتراف بالعبودية للّه تعالى، لأنه لم يكتف بقوله: «**إني عبدك**» بل زاد فيه «**ابن عبدك ابن أمتك، لأن هذا أبلغ وآكد في إظهار التذلل والعبودية للّه تعالى، لأن من ملك رجلاً ليس مثل من ملكه مع أبويه**».[٤]

وهذا يدلنا على أهمية الأدعية الشرعية لكمالها من جميع الوجوه، كاملة في ألفاظها، ومعانيها، وجلال مقاصدها، ومدلولاتها.

قوله: «**ناصيتي بيدك**»: «أي: مقدمة الرأس بيد اللّه تعالى، يتصرف فيه كيف يشاء، ويحكم فيه بما يريد، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه».[٥]

قوله: «**ماضٍ فيَّ حكمك**»: يتناول الحكمين: الحكم الديني الشرعي، والحكم القدري الكوني، فكلاهما ماضيان في العبد شاء أم أبى، لكن الحكم الكوني لا يمكن مخالفته، وأما الحكم الشرعي «الأوامر والمنهيات» فقد يخالفه العبد، ويكون متعرضاً للعقوبة.

---

(١) زاد المعاد (١٨٩/٤).
(٢) الفوائد (٢٢).
(٣) أحكام القرآن للقرطبي (٣٧/٥).
(٤) العلم الهيب في شرح الكلم الطيب (٣٤٣).
(٥) فقه الأدعية (١٩٢/٣).

قوله: «**عدل في قضاؤك**»: إقرار من العبد بأن «جميع أقضيته سبحانه وتعالى عليه، من كل الوجوه: من صحة وسقم، وغنى وفقر، ولذة وألم، وحياة وموت، وعقوبة وتجاوز، وغير ذلك عدلٌ لا جور فيه ولا ظلم، بأيّ وجه من الوجوه، قال تعالى: ﴿**وما ربك بظلام للعبيد**﴾ (فصلت) .[1]

وفي هذا إثبات لصفة من صفات ربنا العلية (العدل)، حيث ذكر فرد من أفراد معانيها، وهو أنه العدل في أقضيته سبحانه، «فهو سبحانه موصوف بالعدل في فعله، فأفعاله كلها جارية على سنن العدل، والاستقامة ليس فيها شائبة جور أصلاً، فهي دائرة كلها بين الفضل، والرحمة، وبين العدل والحكمة» .[2]

ثم شرع في الدعاء بعد إظهار غاية التذلل والخضوع لربه تعالى، ومن ذلك تقديم له من الثناءات والتمجيد بكمال أفعاله، وهذا من أدب السائلين، وهذه الحالة أقرب إلى إجابة السؤال ولا سيما إذا كان المسؤول منه كريماً، ومن أكرم من اللّٰه تبارك وتعالى الذي لا يوازيه أيّ كريم، ولا يعادله فيه أي نظير، إذا تضرع إليه عبده، وتذلل له، وأظهر الخضوع والخشوع، ثم سأل حاجة ينفذها في ساعته، على ما هو اللائق لكرمه وجوده .[3]

قوله: «**أسألك بكل اسم هو لك**»: أي: أتوسل إليك بكل اسم من أسمائك الحسنى، وهذا هو أعظم أنواع التوسل إلى اللّٰه بالدعاء كما قال تعالى: ﴿**وللّٰه الأسماء الحسنى فادعوه بها**﴾ (الأعراف: ١٨٠).

قوله: «**سميت به نفسك**»: أي: اخترته لنفسك الذي يليق بكمالك، وجلالك.

قوله: «**أو أنزلته في كتابك**»: في كتبك المنزلة على رسلك، يتعبد به عبادك، ويسألونك ويدعونك به، وأنا أحدهم.

قوله: «**أو علمته أحداً من خلقك**»: من الأنبياء، والملائكة، ومنهم نبينا محمد .

---

(١) المرجع السابق.

(٢) شرح النونية للهراس (٢/٩٨).

(٣) العلم الهيب، (٣٤٣)، بتصرف يسير.

قوله: «**أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»: أي خصصت به نفسك في علم الغيب، فلم يطلع عليه أحد، وهذا كله تقسيم لقوله «**بكل اسم هو لك**» وهذا يدل على أن أسماءه تعالى الحسنى غير محصورة في عدد معين، فجعل أسماءه تعالى ثلاثة أقسام: قسم سمّى به نفسه، فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم، ولم ينزل به في كتابه، وقسم أنزله في كتابه، فتعرَّف به إلى عباده، وقسم استأثر به نفسه لا يطلع عليه أحد[1].

فتضمن هذا الدعاء المبارك التوسل إليه تعالى بأسمائه الحسنى كلها، ما علم العبد منها، وما لم يعلمها، والعلم بأسماء اللَّه وصفاته أصل لكل العلوم، وأشرفها وأعلاها، لأن شرف العلم يشرف بشرف المعلوم، ولا أشرف، ولا أسمى من اللَّه تبارك وتعالى «والعبد كلما كان عظيم العلم والمعرفة باللَّه تعالى وأسمائه وصفاته زادت خشيته له، وعظمت مراقبته وعبوديته له جل وعلا، وازداد بُعداً عن معصيته، والوقوع فيما يسخطه، كما قال بعض السلف: «من كان باللَّه أعرف كان منه أخوف.

ولهذا كان أعظم ما يطرد الهم والحزن، والغم، أن يعرف العبد ربه بأسمائه، وصفاته، وأن يعمر قلبه بذكرها والثناء عليها والتوسل بها.[2] » واستحضار معانيها، بعد أن قدم جملاً من التوسلات الجليلة، من: التذلل، والخضوع له تعالى، والإيمان بكمال حكمه، وقضائه، وعدله، وهو توسل إليه بعمله الصالح، وتوسل إليه كذلك بأفعاله، ثم توسل إليه بجميع أسمائه الحسنى، وصفاته العليا.

فجمع ثلاثة أنواع من التوسلات العظيمة، مقدمة بين يدي دعائه، دلالة على أهمية هذه الوسائل، في إعطاء ما يسأله العبد ربه عز وجل، وفي هذا دلالة جلية على أنه من السنة النبوية الشريفة التوسل بكل أسمائه الحسنى، ما عرفها العبد وما لم يعرفها، دون ذكر فرد من أفرادها لمطلوبه، كأن يقول مثلاً: «اللهم إني أسألك بكل أسمائك الحسنى أن تعطيني: كذا وكذا.

---

(١) بدائع الفوائد (١/١٨٣)، وشفاء العليل (٢/٧٥٦).

(٢) فقه الأدعية والأذكار (٣/١٩٢ - ١٩٣) بتصرف يسير.

قوله: «**أن تجعل القرآن ربيع قلبي**»: أي: فرح قلبي، وسروره، وخُصَّ «الربيع» دون فصل السنة، لأن الإنسان يرتاح قلبه في الربيع من الزمان، ويميل إليه، ويخرج من الهم والغم، ويحصل له النشاط والسرور والابتهاج.[1] فتضمنت هذه الدعوة سؤال اللّه تعالى أن يجعل قلبه مرتاحاً إلى القرآن، مائلاً إليه، راغباً في تدبره.[2] في كل حالٍ، وآن.

وهذا يدل على أن القرآن هو الشفاء الناجع لمن تأمله، وتدبره، وتمسك به.

قوله: «**ونور صدري**»: أي تشرق في قلبي بأنوار المعرفة، فأميز الحق والباطل.

قوله: «**وجلاء حزني وذهاب همي**»[3] الجلاء هو: الانكشاف[4]، أي: انكشاف حزني وهمي، لأن القرآن شفاء لأوليائه المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (الإسراء)، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ (فصلت: ٤٤).

لأنه كلام اللّه تعالى الحكيم، الذي ليس كمثله شيء، وأي شيء يقف أمام هذا الكلام العظيم، فالقرآن الذي هو أفضل الذكر المبين، كاشف لأحزان وهموم المؤمنين، لمن يتلوه بالليل والنهار بتدبر وتفكر في كل حين، فليس شيء مثله ذاهبٌ للأوهام والأحزان، والأمراض النفسية العصرية، وفيه من نعيم القلب، وأنسه، ولذاته، وراحته ما لا يصفه الواصفون، وعلى قدر تحصيل العبد لكتاب اللّه تعالى تلاوة، وحفظاً، وفهماً، ومدارسة، وعملاً، ينال من السعادة والراحة، والطمأنينة، والعافية في البدن والنفس، ما لا يحصيه إلا اللّه رب العالمين.

ولعلك يا عبداللّه بعد أن رأيت جزالة معاني هذا الدعاء المبارك، وما تضمن من مقاصد، ومعاني جليلة، علمت معنى قول المصطفى ﷺ: «**ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن**» فكن منهم حفظك اللّه.

---

(١) العلم الهيب (٣٤٤).

(٢) تحفة الذاكرين (٢٩٧).

(٣) قال ابن القيم رحمه الله: «فقد استوعب أقسام المكروه الواردة على القلب، شفاء العليل (٢/٧٥٠).

(٤) الصحاح (١٧٩).

(٨٣) «اللهم إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً طيباً، وعملاً متقبلاً».

عن أم سلمة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان يقول إذا صلى الصبح حين يُسلم:............[١][٢]

الشرح:

هذا الدعاء المبارك الذي كان ﷺ يستفتح بعد صلاة الصبح به، كل يوم في غاية المناسبة، لأن الصبح هو بداية اليوم، ومفتتحه، والمسلم ليس له مطمع في يومه إلا تحصيل هذه الأهداف العظيمة، والمقاصد الجليلة (والأهداف النبيلة) المذكورة في هذا الحديث، في تحديد همته في أول النهار، وهي «العلم النافع، والرزق الطيب، والعمل المتقبل»، وكأنه في افتتاحه ليومه بذكر هذه الأمور الثلاثة دون غيرها، يحدد أهدافه ومقاصده في يومه، ولا ريب أن هذا أجمع لقلب الإنسان، وأضبط لسيره ومسلكه[٣] في هذه الحياة. وفيه استعانة وتضرع لربه في صباحه وأول يومه، أن يمد له العون، والخير، والتوفيق للسير على هذه الأهداف كل يوم، فإن هذه المقاصد الثلاث عليها الفلاح في الدنيا والآخرة.

«وتأمل كيف بدأ النبي ﷺ هذا الدعاء بسؤال الله العلم النافع، قبل سؤاله الرزق الطيب، والعمل المتقبل، وفي هذا إشارة إلى أن العلم النافع مقدم، وبه يبدأ، قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ (محمد).

فبدأ بالعلم قبل القول والعمل، لأنه لا يمكن أن يكون العمل صحيحاً وموافقاً للكتاب والسنة دون علم، وفي البدء بالعلم النافع حكمة ظاهرة لا تخفى على المتأمل، ألا وهي أن العلم النافع به يستطيع المرء أن يميز بين العمل الصالح وغير الصالح، ويستطيع أن يميز بين الزرق الطيب وغير الطيب.

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٢)، وحسن إسناده ابن حجر في نتائج الأفكار (٢/٣١٣)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٥٢٩).

(٢) اعتمدت بعد الله تعالى في شرح هذا الدعاء على الرسالة القيمة فقه الأدعية (٣/٤٠.٤٣) للدكتور الفاضل عبدالرزاق البدر.

(٣) فقه الأدعية (٤/٤٠).



قوله: «**علماً نافعاً**»: فيه دلالة على أن العلم نوعان، علم نافع، وعلم ليس بنافع كما تقدم في الحديث «**سلوا الله علماً نافعاً، وتعوذوا بالله من علم لا ينفع**».

قال الحسن البصري رحمه الله: «العلم علمان، علم باللسان، وعلم بالقلب، فعلم القلب هو العلم النافع، وعلم اللسان هو حجة الله على ابن آدم».[1]

فالعلم النافع هو ما باشر القلب، فأوجب له السكينة والخشوع، والإخبات لله تعالى، وإذا لم يباشر القلوب ذلك من العلم، وإنما كان على اللسان فهو حجة الله على بني آدم.

قوله: «**رزقاً طيباً**»: فيه إشارة كذلك إلى أن الرزق نوعان، طيب، وخبيث، والله تعالى لا يقبل إلا طيباً، وقد أمر الله تعالى المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾ (المؤمنون)، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ (البقرة)، فإن من أعظم الأسباب الموجبة لإجابة الدعاء طيب المأكل كما تقدم.

قوله: «**عملاً متقبلاً**»: فيه إشارة إلى أنه ليس كل عمل يتقرب به العبد إلى الله متقبلاً، بل المتقبل من العمل هو الصالح فقط، والصالح هو ما كان لله تعالى وحده، وعلى هدي وسنة المصطفى ﷺ، فلا بد أن يكون خالصاً لله، وصواباً على هدي النبي ﷺ.

ولهذا قال الله تعالى: ﴿**الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً**﴾ (الملك: ٢). قال الفضيل بن عياض في معنى الآية: «أي: أخلصه، وأصوبه».

فهذا دعاء عظيم النفع، كبير الفائدة، يحسن بالمسلم أن يحافظ عليه كل صباح، متأسياً بالنبي الكريم ﷺ ثم يتبع الدعاء بالعلم، فيجمع بين الدعاء، وبذل الأسباب، وهذا أكمل الدعاء، لينال هذه الخيرات العظيمة، والأفضال الكريمة.[2]

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/٢٣٥).

(٢) فقه الأدعية والأذكار، د. عبدالرزاق البدر (٣/٤٠ - ٤٣) بتصرف يسير.

(٨٤) «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: سيد الاستغفار أن يقول:........................[١] من قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يُمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يُصبح فهو من أهل الجنة.

الشرح:

هذا الدعاء العظيم الجامع لمعاني التوبة كلها والتذلل للّه تبارك وتعالى والإنابة إليه، وصفه سيد الأولين والآخرين، بأنه سيد الاستغفار، لأنه فاق سائر صيغ الاستغفار في الفضيلة[٢]، وعلا عليها في الرتبة، ووجه أفضلية هذا الدعاء على غيره من صيغ الاستغفار، لما احتواه من الثناء على اللّه، والاعتراف بالنعم منه جل وعلا، والإقرار بالذنوب، والخلاصة: أنه أجمع المعاني الموجبة للغفران من الذنوب.

قوله: **«اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت»** أي: يا اللّه ليس لي رب ولا خالق سواك، فأنت المالك الخالق الرازق المدبر لشؤون خلقه، فهذا إقرار بتوحيد الربوبية، ولهذا أعقبه بقوله **«خلقتني»** لأن صفات الأفعال من خصائص الربوبية العليَّة، أي: أنا مخلوقك، ومملوكك لا أحد غيرك، وهذا فيه كمال إقرار العبد بضعفه، واستسلامه للّه عز وجل، وهذا من كمال الثناء والتعظيم، كما دل على ذلك ضمير الفصل **(أنت)** الذي سبق مراراً أنه يفيد التأكيد، والحصر، والقصر، وهذا فيه إظهار غاية التذلل، والخضوع، والانكسار بين يدي اللّه، والإيمان بوحدانيته سبحانه في ربوبيته، وفي ألوهيته.

وفي قوله: **«لا إله إلا أنت»** أي لا معبود بحق سواك، وهذا تحقيق لتوحيد الألوهية. فجمع فيه بين أنواع التوحيد الثلاثة.

قوله: **«وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت»** أي: وأنا على ما عاهدتك عليه،

---

(١) صحيح البخاري (٦٣٠٦).

(٢) انظر: الفتح (١١/١١٩).

وواعدتك من الإيمان بك، والإخلاص في القيام بطاعتك، والامتثال لأوامرك، وقوله «**ما استطعت**» أي على قدر استطاعتي، وفي هذا إعلام لأمته أن أحداً لا يقدر على الإتيان بجميع ما يجب عليه لله سبحانه، ولا الوفاء بكمال الطاعات والشكر على النعم، لهذا رفق الله بعباده فلم يكلف نفساً إلا وسعها.

قوله: «**أعوذ بك من شر ما صنعت**» أي: ألتجئ إليك، وأعتصم بك من كل ما اقترفت، وعملت من الذنوب، لأن «**ما**» الموصولة تفيد العموم.

قوله: «**أبوء لك بنعمتك علي**» أعترف، وأقر، وألتزم، وأصل البواء اللزوم[1]، ونعمتك: مفرد مضاف يفيد العموم، أي أعترف بعظم وكثرة نعمك عليَّ التي لا تُحصى، لم يقيدها لتشمل جميع أنواع النعم، والتي أعظمها نعمة الإسلام، والتي ليس بعدها نعمة، وأي نعمة أكبر وأجل من نعمة الإسلام والإيمان، والتي أسبغها علينا ربنا تعالى دون سبب ولا سؤال ولا وسيلة.

قوله: «**وأبوء بذنبي**» أي: أقر بذنوبي، فإن الاعتراف يمحق الاقتراف، كما قال رسول الله ﷺ «**إن ربك ليعجب من عبده إذا قال: رب اغفر لي ذنوبي، قال: علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري**»[2].

وقوله: «**فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**» أي: أسألك أن تستر عليّ كل ذنوبي، والتجاوز عنها بفضلك ورحمتك، وفيه بيان: أن من اعترف بذنبه غفر له، كما في حديث الإفك الطويل وفيه «**أن العبد إذا اعترف بذنبه، وتاب، وتاب الله عليه**».

ثم ختم النبي ﷺ هذا الدعاء ببيان الأجر العظيم، والثواب الجزيل، الذي يناله من يحافظ عليه في كل صباح ومساء، فقال: «**من قالها موقناً بها**» اليقين هو الإيمان الكامل، الذي لا شك فيه، ومعنى قوله «**موقنا بها**»: أي مخلصاً من قلبه، مصدقاً بثوابها، فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل كذلك

(١) النهاية (٩١).

(٢) صحيح موارد الظمآن (٢/٤٣٤).

فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة[1]، فياله من أجر عظيم وثواب جزيل بكلمات قصيرة قليلة المبنى كثيرة المعنى، يحظى بجنة عرضها الأرض والسموات العلا.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(٨٥) «اللهم اكفني بحلالك عن حَرَامِك، وأغنني بفضلك عَمَّن سواك».

عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ علمه كلمات، قال: لو كان عليك مثل جبل ثبير[2] ديْناً، أدَّاه الله عنك، قال: قل:..............[3]

المفردات:

«اكفني»: من الكف، وهو: الدفع، والصرف، والغنى، يقال: كففته عنه: دفعته، وصرفته، وكفَّ عن الناس، أي: أغنى[4]. والمعنى: امنعني واحفظني بحلالك.[5]

الشرح:

يدل هذا الدعاء العظيم على أن من عليه دينٌ وهو عاجزٌ عن أدائه، فإذا قاله واعتنى به وفهم معانيه وألح على الله به، أدَّاه الله عنه مهما كان حجم الدين، ولو كان مثل الجبل العظيم، كما في قوله: «لو كان عليك...»: أي على فرض وتقدير خارج مخرج المبالغة[6]، قوله: «أدّاه الله عنك»، أي: أنقذك من مذلته، وأخرجك من ذمتك.[7] لأن الفضل والخير بيد الله العظيم، وخزائنه جل قدره ملأى لا تنقصها نفقة، كما قال ﷺ: «يدُ الله ملأى، لا يغيضها نفقة سحَّاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض؟ فإنه لم يغض[8] ما في يده..»[9] ومعنى

(١) انظر: فتح الباري (١١/١١٩)، وفضل الله الصمد (١/٥٩٧).

(٢) في لفظ مثل جبل «صبير» وهو جبل باليمن.

(٣) صححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٥٦٣)، صحيح الترغيب والترهيب (١٨٢٠).

(٤) القاموس المحيط (١١٣٩).

(٥) الفتوحات الربانية (٢/١٨٦).

(٦) العلم الهيب (٣٨٧).

(٧) التنوير (٤/٣٧١).

(٨) ينقص.

(٩) البخاري (٧٤١١)، ومسلم (٩٩٣).

سحّاء: أي: كثيرة العطاء والخير، وهذا يدل على كمال جوده، وكرمه، وسعة فضله، وإحسانه، عزَّ شأن ربنا.

قوله: «**اللهم اكفني بحلالك عن حرامك**» أي: يا اللّه امنعني بحلالك، واحفظني به في كل أحوالي، في مأكلي، ومشربي، وملبسي، وفي كل شأن من شؤوني، تضمنت هذه الدعوة سؤال اللّه سبحانه أن يجعله مكتفياً بالحلال، مستغنياً عن الحرام، من جميع الوجوه على الدوام.

قوله: «**وأغنني بفضلك عمن سواك**» أي: اجعلني أستغني بفضلك بما تُمنُّ علي من نعمة وخيرٍ ورزق، عمَّن سواك من الخلق، فلا أفتقر إلى غيرك، ولا ألتجئ إلى أحد سواك، وتضمنت كذلك سؤال اللّه تعالى الغنى به وحده، دون أحد سواه.

الفوائد:

أنه ينبغي للعالم أنه يذكر قبل إلقائه للمتعلم ما ينبهه على إصغاء سمعه لما يلقيه، فيكون أوقع في نفسه، وأحفظ، ويقبل عليه أتم إقبال، وفيه أن الاستغناء عن العباد، مراد اللّه تعالى.[١]

❦ ❦ ❦ ❦ ❦

(٨٦) «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين».

«فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له».عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت:[٢]

وفي رواية: «**ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب، أو بلاء من بلايا الدنيا دعا به يفرج عنه؟، فقيل له: بلى، فقال: «دعاء ذي النون...».**[٣]

---

(١) التنوير (٤/٣٧١).

(٢) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (٦٥٦)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٥٠٥)، وفي صحيح الجامع (٣٣٨٣).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك: (١/٥٠٥)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٧٤٤).

المفردات:

«**سبحانك**»: التسبيح هو: التنزيه، أي: إبعاد عن اللّه تعالى كل نقص وسوء.[1]

الشرح:

هذا الدعاء المبارك جاء ذكره في كتاب اللّه تعالى، وكذلك في السنة النبوية المطهرة في دعوة يونس عليه السلام.

قال ابن القيم: دعوة ذي النون، فإن فيها من كمال التوحيد والتنزيه للرب تعالى، واعتراف العبد بظلمه وذنبه ما هو من أبلغ أدوية الكرب والهم، وأبلغ في الوسائل إلى اللّه سبحانه وتعالى في قضاء الحوائج، فإن التوحيد والتنزيه يتضمنان إثبات كل كمال للّه تعالى، وسلب كل نقص وعيب وتمثيل عنه، والاعتراف بالظلم يتضمن إيمان العبد بالشرع والثواب والعقاب، ويوجب انكساره ورجوعه إلى اللّه تعالى، واستقالته من عثرته والاعتراف بعبوديته، وافتقاره إلى ربه عز وجل، فهاهنا أربعة أمور قد وقع التوسل فيها: التوحيد، والتنزيه، والعبودية، والاعتراف.[2]

وهذا الدعاء العظيم الذي نادى به يونس عليه السلام ربه في بطن الحوت، يتضمن ثلاثة مطالب عظيمة من كمال التوحيد والعبودية:

١ ـ قوله: «**لا إله إلا أنت**» إقرار وإيمان بانفراد اللّه بالألوهيه، ونفي كل معبود عنه جل وعلا، من عرشه إلى قرار أرضه.

٢ ـ «**سبحانك**» فيه إثبات تنزيه اللّه تعالى عن كل عيب ونقص وسوء، المتضمن للكمال له من كل الوجوه، ومن جملته ما يقع على العبد من المصائب والمهالك، فليس فيها من اللّه أي ظلم وجور، بل فيه كمال عدله، وهذان المطلبان الجليلان جمعا أنواع التوحيد: فقوله: «**لا إله إلا أنت**» توحيد الألوهية، المتضمن لتوحيد الربوبية، «**سبحانك**» نفي صفات النقائص للّه تعالى، وإثبات كل صفات الكمال من الأوصاف

---

(١) لسان العرب (٣/١٩١٤).

(٢) زاد المعاد (٢/٢٠٨).

والمدائح، وهذا يدل على أن التوسل إلى اللّه تعالى بالتوحيد، هو أعظم الأسباب في النجاة من الشرور، والأخطار، والمهالك، في الدنيا والآخرة.

٣ ـ قوله «إني كنت من الظالمين» فيه اعتراف العبد بذنبه وتقصيره في جانب خالقه، وهو يتضمن طلب المغفرة من اللّه تعالى، وفيه بيان بأن اللّه كما يحب من الداعي أن يتوسل إليه بأسمائه وصفاته، ونعمه العامة والخاصة، فإنه يحب كذلك منه أن يتوسل إليه بضعفه وعجزه وفقره، وعدم قدرته على تحصيل مصالحه، ودفع مضاره، إلا منه سبحانه وتعالى، كما حكى اللّه عن أنبيائه في كتابه فهذا موسى يقول: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤﴾ (القصص) وأيوب حين مسَّه الضر قال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣﴾ (الأنبياء). فإن الدعاء الذي تجتمع فيه هذه الوسائل لا يرد.

وقوله ﷺ: «فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب اللّه له» فيه تأكيد من الصادق المصدوق بأن من دعا بها مخلصاً صادقاً متيقناً، إلا استجاب اللّه له، كما قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ (الأنبياء) «كما نجينا نبينا يونس من كرب الحبس في بطن الحوت في البحر إذ دعانا، كذلك ننجي المؤمنين من كربهم إذا استغاثوا بنا ودعونا».[1]

(٨٧) «اللهم قني شر نفسي، واعزم لي على أرشد أمري، اللهم اغفر لي ما أسررت، وما أعلنت، وما أخطأت، وما عمدت، وما علمت، وما جهلت».

عن عمران بن الحصين رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال له: قل:...............[2]

وعنه رضي الله عنه أنه قال: «كان عامة دعاء النبي ﷺ: «اللهم اغفر لي ما أخطآت، وما تعمدت، وما أسررت، وما أعلنت، وما جهلت، وما تعمدت».[3]

(١) تفسير الطبري (١٦/٣٨٥).

(٢) صححه الألباني في صحيح موارد الظمآن (٢/١٥٤. ١٥٤) (٢٠٦٠)، والأرنؤوط في تحقيقه لمسند أحمد (٣٣/١٩٧) (١٩٩٩٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١٩٩٢٦)، وصححه شعيب الأرنؤوط (٣٣/١٥٢).

المفردات:

اعزم لي: العزيمة: عقد القلب على إمضاء الأمر، فإن أصل العزم: هو الجد والصبر، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ (الأحقاف: ٥٣).

لأرشد: الرشد هو: ضد الغي وهو الطاعة والصلاح والصواب، أستهديك: السين: سين الطلب، أي طلب الهداية.[(١)]

الشرح:

أمر رسولنا ﷺ الرحمة للعالمين، الصحابي الجليل: عمران بن حصين أن يسأل اللّه تعالى أن يقيه ويعصمه شر نفسه، لأنها هي أحد مبادئ ومنابع، وأصول الشر، فإن شر النفس يولد الأعمال السيئة، والخصال الذميمة، ويوقع العبد في الذنوب الكبيرة، والآثام العظيمة، قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ (يوسف: ٥٣).

وتضمنت هذه الدعوة الاستعاذة من الشيطان، لأنه هو محرك الشر والداعي فيها، ثم أمره بعد ذلك أن يسأل تعالى النجاة والسلامة من شر نفسه، وهو من باب التخلية، والتي تكون قبل التحلية، كما تقدم هي «أن يفرغ المكان من الشوائب والأذى ثم يطهر».[(٢)]

ثم التحلية، وهو أمره ﷺ أن يسأل اللّه تعالى أن يمضي قلبه، وقصده إلى الصلاح، والاستقامة، والصواب: بقوله: «**اعزم لي على أرشد أمري**»، سأل العزيمة على الرشد: لأنها مبدأ الخير، فإن الإنسان قد يعلم الرشد، وليس له عزم، فإذا عزم على فعل أفلح.

والعزيمة هي: عقد القلب على إمضاء الأمر، الذي يستلزم القصد الجازم المتصل بالفعل، وقيل استجماع قوى الإرادة على الفعل، ولا قدرة للعبد على ذلك

---

(١) المفردات (٧٤٨).

(٢) تفسير سورة آل عمران، لابن عثيمين (١/٥٥ - ٥٦).

إلا باللّٰه تبارك وتعالى، فلهذا سأل اللّٰه تعالى أن يمضي قلبه وقصده إلى أحسن الصلاح، والطاعة له تعالى في كل أحواله وأموره، لأنه طريق النجاة في الدار الآخرة، فالعبد محتاج إلى الاستعانة باللّٰه تعالى،والتوكل عليه، في تحصيل العزم، في العمل بمقتضى العزم، بعد حصول العزم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ (آل عمران)، والعزم نوعان:

١ ـ عزم في ادخول إلى الهدى والرشاد.

٢ ـ وعزم على الدوام والثبات على هذا الهدى، بعد الدخول فيه، والانتقال من حال إلى حال أكمل منها. ولهذا سمى اللّٰه تعالى خواص الرسل «أولي العزم».

فإن عون اللّٰه تعالى للعبد على قدر قوة عزيمته، وضعفها، فمن صمّم على إرادة الخير أعانه ربه تعالى، وثبته عليه.[1] ثم أمره أن يدعو «**اللهم اغفر لي ما أسررت وما أعلنت، وما أخطأت، وما عمدت، وما علمت، وما جهلت**».

وفي الرواية الأخرى عنه أن رسول اللّٰه ﷺ كان عامة دعائه تلك المطالب العالية.

بدأ أولها في سؤال اللّٰه تعالى المغفرة، وهي الستر، والتجاوز عن كل الذنوب بكل أنواعها، ومراتبها، التي يقترفها العبد في كل أحواله، وأوقاته، فما من ذنب إلا وقد دخل فيه هذا الاستغفار العظيم، فإن الفائدة في سؤال اللّٰه تعالى غفران الذنوب بهذا التفصيل والتعميم كما تقدم سابقاً: تكثيراً لمقام العبودية، والذل للّٰه تعالى، وحتى يستحضر العبد ما يدعو به، فإن استحضار هذه الذنوب بأنواعها وأفرادها له وقع عظيم في النفس في تقوية إرادتها في العزم، في عدم الوقوع بها في العاجل والآجل.



(١) انظر: فيض القدير (٢/١٣٠)، ومجموع رسائل ابن رجب (١/٣٦٢ - ٣٩٦).

(٨٨) «اللهم إني أستهديك لأرشد أمري، وأعوذ بك من شر نفسي».

وعن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:..............[١]

الشرح:

قوله: «**اللهم إني أستهديك**»: فيه سؤال اللّه تعالى الهداية الكاملة الشاملة، فإن الهداية كما تقدم نوعان:

١ ـ هداية دلالة وإرشاد قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ (الإنسان) أي دللناه طريق الحق وطريق الباطل، وهذه الهداية هي التي دعا بها الرسل وأولو العلم، والصالحون في كل زمان ومكان.

٢ ـ هداية توفيق: التي من وفق إليها لا يزيغ، وهي لا يقدر عليها إلا رب العبيد: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾ (القصص)

والعبد يسأل اللّه تعالى الهدايتين: أن يدله على طريق الخير، وأن يوفقه ويثبته عليه.

وقوله «**لأرشد أمري**»: أي أن توفقني إلى أفضل السبل الموصلة إلى أصلح أموري وشؤوني، في ديني، ودنياي، وآخرتي، فأفوز برضاك وأنال جنتك.

❃ ❃ ❃ ❃ ❃

(٨٩) «اللهم إني أسألك من فضلك ورحمتك، فإنه لا يملكها إلا أنت».

عن عبدالله قال: أصاب النبي ﷺ ضيفاً، فأرسل إلى أزواجه يبتغي عندهن طعاماً، فلم يجد عند واحدة منهن فقال: فأهديت له شاة مصلية، فقال: هذه من فضل الله ونحن ننتظر الرحمة.[٢]

المفردات:

«**فضلك**»: الفضل هو الزيادة عن الاقتصاد.[٣]

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٩٠٥)، وصححه الأرنؤوط (٤٣٤/٢٩)، وفي تحقيقه لابن حبان (٩٠١)، وصححه الوادعي في صحيح المسند (٩٠٥) (٧/٢).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧٨/١٠)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (٥٤٧٥)، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٥٤٣)، وفي صحيح الجامع (١٢٧٨).

(٣) المفردات (٦٣٩).



والأفضال: الإحسان، والفواضل: الأيادي الجميلة.[1]

الشرح:

سأل المصطفى ﷺ من فضل اللّه العظيم، كما أمر بذلك سبحانه وتعالى بالتنزيل بقوله: ﴿ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (النساء)، أي: اسألوا اللّه تعالى من مزيد إحسانه، وإنعامه من أمور الدنيا، والآخرة، لأن الفضل كله بيديه كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ (آل عمران).

أي: يتصرف فيه كيف يشاء، فيعطيه من شاء ممن يعلمه هو أهلاً لذلك على مقتضى الحكمة، والقدرة، وقد أخبر سبحانه في أكثر من آية: أن فضله عظيم، كقوله: ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ (البقرة: ١٠٥)، أي: «صاحب الفضل العظيم كمية، والعظيم كيفية، والعظيم شمولاً في المكان، وشمولاً في الزمان».[2]

قوله: «**اللهم إني أسألك من فضلك**» أي: أسألك يا اللّه الزيادة من خيرك وعطائك وآلائك التي لا غنى عنها، قوله: **(ورحمتك)** أي: وأسألك رحمتك التي وسعت كل شيء، أن تسبغ عليّ من رحماتك، وتعطفك الدائم عليّ في أمور معاشي، وديني، وكذلك في معادي، لأنه يا ربي لا غنى لي عن فضائلك، ورحماتك طرفة عين.

قوله: «**فإنه لا يملكها إلا أنت**»، أي: لا يملك الفضل والرحمة غيرك، فإنك مقدرهما، ومرسلهما إلى من تشاء، ولا يطلبان إلا منك. وهو كالتعليل للسؤال والطلب، أي: ما سألتك هذين الأمرين، إلا لأنك أنت المتفرد فيهما لا أحد سواك.[3]

لأنه عز وجل هو مالك كل شيء، وله كل شيء، ومقدر لكل شيء، فلا يسأل أي شيء، إلا منه جل وعلا.

---

(١) الصحاح (١٧١٩/٥)، واللسان (٣٤٢٨/٥).
(٢) أحكام من القرآن الكريم لابن عثيمين (٣٧٨/١).
(٣) فيض القدير (١٤٤/٢).

والفرق بين الفضل والرحمة: «أن الرحمة أعم، والفضل أخص، لأن الرحمة يكون فيها دفع المكروه،وحصول المطلوب، والفضل: فيه حصول المطلوب، (لأنه كما تقدم) العطاء الزائد.[1]

قوله: «**فأُهديت له شاة مصلية**»: يدل على سرعة استجابة رب العالمين لنبيه ﷺ دلَّ على ذلك بـ«الفاء» التي تدلّ على التعقيب، والترتيب دون مهلة، فأهديت له هذه الشاة مباشرة ترتيباً، وتعقيباً على دعائه.

وهكذا كل من دعا الله رب العالمين، بحسن ظن ويقين، وصدق في التوجه، أعطاه الله ما سأله في العاجل أو الآجل، على مقتضى حكمته، كما بيَّن الله تعالى عن موسى عليه السلام حينما قال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤﴾ (القصص).

فكانت الاستجابة بعد سؤاله مباشره: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ﴾ (القصص: ٢٥)، ورزقه الله في العاجل والآجل، كما قصّ لنا ربنا في كتابه الكريم.

الفوائد:

الحث على توجه الإنسان إلى ربه في سؤال مطلوبه، ووجهه: أنه إذا كان الفضل من الله فلا تسأل الفضل إلا ممن بيده الفضل.[2]

ودلت هذه الدعوة الكريمة: أنه يحسن بالداعي أن يذكر سبب دعوته، وعلة مطلوبه، وحسن ظنه به سبحانه حين سؤاله، وأن يذكر فضل ربه تعالى والثناء عليه، حال حصول بعض أمارات وبشارات الإجابة، فإنها من النعم العاجلة له.



(١) أحكام من القرآن (٢/٢٠٥).

(٢) تفسير سور النساء لابن عثيمين (١/٥٠٩).

(٩٠) «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحيّ الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون».

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول:............[١]

الشرح:

قوله ﷺ: «**لك أسلمت**»: أي: لك أنقدت، واستسلمت لحكمك، وأمرك، ونهيك، وعلى رأس ذلك نطقي بالشهادتين.

وقوله: «**وبك آمنت**»، أي: وبك صدقت بذاتك، وما يليق بها من كمال الصفات، وفيه إشارة إلى الفرق بين الإيمان والإسلام، وفي تقديم الجار والمجرور «**لك**» دلالة على الاختصاص، أي: أخصك وحدك بالانقياد والاستسلام، دون أحد سواك.

قوله: «**وعليك توكلت**»: فوضت أموري كلها إليك، لاعلى غيرك، و«**إليك أنبت**»: أي: رجعت في كل أموري ، ومن ذلك: أني أقبلت بعبادتي وطاعتي لك، وأعرضت عما سواك، «**وبك خاصمت**»: أي: بسبب إيماني بك أحاج، وأدافع، وأقاتل أعداءك[٢] بالحجة والبيان، والسيف والسنان.

بعد أن قدم ﷺ في دعائه، جملة، من جُلِّ العبادات، والمقامات العبودية لله تعالى الظاهرة والباطنة، بين يدي دعائه توسلاً عظيماً، وهو التوسل: بأعماله الصالحة، التي ترجى معها الإجابة من تخصيص العبودية له تعالى من أعمال القلوب، والأركان، فبدأ بأعظم الأعمال: بالإقرار الكامل له تعالى بالإسلام، والإيمان، والتوكل، والرجوع إليه في كل مهامه وشؤونه الدنيوية، والدينية، والدفاع عنه، والمجاهدة لدينه، بالحجة والقوة، والبرهان.

«**اللهم إني أعوذ بعزتك**»: بكل معانيها الجليلة، استعاذ بعزته وهي صفة من

(١) صحيح البخاري (١١٢٠، ٦٣١٧، ٧٣٨٣، ٧٣٨٥)، مسلم (٢٧١٧).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٩/٥٠)، والفتوحات الربانية (١/٢٦٩)، وفيض القدير (٢/١٣١).

صفات اللَّه تعالى الجليلة، وهي مشتقة من اسمه تعالى «العزيز» وهو من صفات الذات، والفعل[1].

«والعزة يراد بها ثلاث معان: عزة القوة والقدرة، وعزة الامتناع، وعزة القهر والغلبة، والرب تبارك وتعالى له العزة التامة بالاعتبارات الثلاث».[2] فمن أراد هذه العزة فليطلبها منه تعالى، قال عز وجل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ (فاطر: ١٠).

ولا تنال العزة إلا بالإيمان باللَّه تعالى، والخضوع له، والتوكل عليه في كل الأمور، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾ (المنافقون).

وقرن هذه الاستعاذة بأجل كلمة على الإطلاق بقوله: «**لا إله إلاأنت**»: أي: لا معبود بحق إلا أنت، مبالغة في تحقيق العبودية، وطمعاً في الاستجابة.

وقوله: «**أن تضلني**»: أي: أن تغويني، وتضلني بعد الهداية، وتضمن مطلوبه التوفيق على الدوام للهداية والرشاد.

ولا يخفى في تقديم هذه التوسلات من الأعمال الصالحات، وإثبات الوحدانية لرب الأرض والسماوات، والتوسل بكمال الصفات في الاستعاذة من الضلالات يدل على أهمية هذا المطلب، وأنه مطلب خطير، قال تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٣٦﴾ (الزمر)، وقال عز شأنه: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٩﴾ (الأنعام).

وفيه دليل على جواز الاستعاذة بصفة من صفات اللَّه تعالى الجليلة، سواء كانت صفات ذاتية، أو فعلية.

قوله: «**أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون**» تأكيد، وتخصيص، وحصّر لانفراد اللَّه تعالى بالحياة، بضمير المتصل، وكذلك التوسل باسمه سبحانه

(١) «الجامع» اسماء اللَّه الحسنى جلالها ولطائف اقترانها (١٣٥).

(٢) مدارك السالكين (٢٦٨ – ٢٦٩)، والنونية (١٤٢).

«**الحي**» أي: «أنت الحي الذي لك الحياة الكاملة الدائمة، التي لا يعتريها أي نقص، المتصفة بكل صفات الذات، فحياته تعالى كاملة في وجودها، وكاملة في زمانها: فلم تسبق بعدم، ولا يلحقها زوال، ولا فناء، وكاملة في أوصافها: فلا يعتريها نوم، ولا نعاس، ولا نقص من الأوصاف، فهو حيّ لا أول له بحد، ولا آخر له بأمد».[1]

وفي التوسل بصفة حياته تعالى الأبدية التي لا يشاركه فيها أحد (في غاية المناسبة) بأن يحيي القلب عن إماتته بالإضلال.[2]

وقوله: «**الذي لا يموت**»: هو من صفات النفي التي تتضمن كمال ما نفي، فنفي الموت يتضمن كمال حياته، وقيوميته.

قوله: «**والإنس والجن يموتون**»: هذا من البسط وتكثير الكلمات في الدعاء الذي يدل على شدة الضراعة، والخشوع، وتذوق حلاوة المناجاة.

الفوائد:

هذا الدعاء المبارك جمع في بداياته، وطياته، ونهاياته، توسلين من التوسلات العظيمة إلى اللّه عز وجل، وهما: التوسل بالعمل الصالح، والتوسل بأسماء اللّه الحسنى، وصفاته العلا، الثبوتية والمنفية، فالثبوتية مثل: «الحياة»، و«العزة» و«الألوهية»، وبصفة من صفاته المنفية، وهي: نفي الموت، بقوله: «**الذي لا يموت**» لبيان أهمية الاستعاذة من الضلالة، التي هي أعظم الأسباب في الخسارة، في الدنيا، ويوم القيامة، وفي العصمة منها النجاة من كل مرهوب، وحصول ما يأمل به كل مربوب من مرغوب.



(١) تفسير الطبري (٥/٣٨٦)، وتفسير آل عمران لابن عثيمين (١/٧).

(٢) التنوير (٣/١٤٢).

(٩١) «اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، لا إله إلا أنت»، اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت»

عن عبدالرحمن بن أبي بكر أنه قال لأبيه: يا أبت إني سمعتك تدعو كل غداة، ثم ذكر الدعاء ثم قال: تعيدها ثلاثاً حين تصبح وثلاثاً حين تمسي، تدعو بهن، فقال: يا بُنيّ سمعت رسول الله ﷺ يقول بهن: وأنا أحب أن أستن بسنته.[(١)]

الشرح:

هذا الدعاء المبارك فيه مقاصد مهمة وسؤالات عظيمة لا غنى عنها لأي عبد في الحياة الدنيوية، ففيها سؤال اللّه تعالى (العافية) وهي: السلامة من آفات الدنيا، وفي العقبى بأوجز لفظ، وأعمق معنى، لذا كان المصطفى ﷺ لأهميتها يعيدها ثلاثاً في الصباح والمساء، وهذا المطلب الجليل قد توافرت أدعية المصطفى ﷺ في سؤاله، وجاءت متنوعة في ألفاظها، وفي أحوالها، يدل على أن هذا المطلب في غاية الأهمية، الذي ينبغي للعبد سؤاله في كل مهمات حياته.

قوله: **«اللهم عافني في بدني»**: أي: سلمنى من كل الآفات، والآلام، والبلايا في جسدي، لأقوى على طاعتك، وحسن عبادتك، وتقيني من الوقوع بمعاصيك، وحتى لا أحتاج لأحد من خلقك، فأصبح عالة وثقيلاً عليه.

وقوله: **«اللهم عافني في سمعي»**: وسلم سمعي من كل مرض حسي، من خلل وصمم، وآفة، وسلم سمعي من كل مرض معنوي: كسماع كل ما حرمته من باطل من الغناء، والكلام الفاحش، والخوض في الباطل، أو عدم القبول الحق، والمواعظ، فإن سماع الحق هو سبيل أصحاب العقول السليمة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾﴾ (الزمر).

وقوله: **«اللهم عافني في بصري»**: من كل مرض حسي: كالعمى والرمد وضعف

(١) رواه أحمد في المسند (٢٠٤٣٠)، وحسنه شعيب الأرنؤوط (٣٤/٧٤)، والألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٣٩)، وفي صحيح أبي داود (٥٠٩٠).

البصر وغير ذلك، ومن أي مرض معنوي: كالنظر إلى المحرمات بكل أنواعها، وعدم الاعتبار بالآيات البينات في الأنفس، والآفاق، وسؤال الله تعالى العافية في السمع والبصر وهما داخلان في البدن، من عطف الخاص على العام كما تقدم كثيراً، لشرفهما، وعظم شأنهما، ففيهما تنظر آيات الله الكونية في هذا الكون العظيم، وتدرك آيات الله السمعية المنزلة على الرسل، وما يترتب على ذلك من لهج اللسان: بالذكر، والتمجيد، والحمد، والقلب: بالحب، والتعظيم، فهما يجمعان لدرك الآيات النقلية، والعقلية.

وفي تقديم السمع على البصر كما هو غالب الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية لأفضليته، وأهميته، ففيه تدرك الآيات المنزلة على الرسل، وهي الأدلة السمعية[1]، لهذا لم يبعث الله تعالى أي نبي أصم.

قوله: «**لا إله إلا أنت**»: أي: لا معبود بحق إلا الله، فهذا إقرار بالألوهية له تعالى، المتضمن للربوبية، وهو كمال التوحيد والعبودية، لرب البرية.

قوله: «**اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر**»: استعاذ من الكفر لأنه محبط للعمل، ويورد شر الموارد، ويخزي يوم العرض، «والفقر هو: الاحتياج إلى الخلق على وجه الذل والانكسار، وقلة المال، مع عدم القناعة، والصبر»[2]، في الحال، وهذا من خزي الدنيا، فاستعاذ ﷺ من خزيي الدنيا والآخرة، وقرن الفقر بالكفر، لأنه قد يجر إليه كما سبق.

قوله: «**لا إله إلا أنت**»: ثم كرر ختم دعوته بإفراد الله تعالى بالوحدانية المطلقة له سبحانه، يدل على أن الإقرار والنطق بأعظم الكلام، من أعظم موجبات قبول السؤال، ولا يخفى في حرص الصحابة رضي الله عنهم على الاستنان بالنبي ﷺ في دعائه كما جاء عنه دون زيادة أو نقصان بالكم، والكيف.



---

(١) انظر: الفتوحات الربانية (١/٦٩٩).

(٢) المصدر السابق (١/٧٠٠).

(٩٢) «اللَّه أكثر مالي، وولدي، وبارك لي فيما أعطيتني، (وأطل حياتي على طاعتك وأحسن عملي) واغفر لي، وأدخلني الجنة».

عن أم أنس رضي الله عنهما أنها قالت: يا رسول الله! خويدمك (أي أنس)، ادعُ الله له، فدعا له بكل خير، فكان آخر ما دعا له به أن قال:[١]

«اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته».[٢]

وفي لفظ: «اللهم أكثر ماله وولده، وأطل حياته، واغفر له وأدخله الجنة».[٣]

الشرح:

قول أم أنس رضي اللَّه عنها لرسول اللَّه ﷺ: «خويدمك»: تصغير خادم للتحبب، . صُغِّر تلطفاً، وطلباً لمزيد من الشفقة عليه، وفيه إيثار الأم لولدها.

قوله: **«ادع اللَّه له»:** فيه طلب الدعاء للولد، أو غيره ممن يتوسَّم فيه الخير، والصلاح، من أهل الخير، وفيه أيضاً طلب دعاء المرء لغيره، ممن يحبه ويهمه أمره.

قوله: **«اللهم أكثر مالي وولدي وبارك لي فيما أعطيتني»:** فيه جواز سؤال اللَّه كثرة المال، والولد مع البركة فيهما، وفيه استحباب أنه إذا دعا بشيء يتعلق في أمر من أمور الدنيا، أن يضم إلى دعائه طلب البركة، والصيانة فيه[٤]، والبركة: هي الزيادة، والنماء، والدوام على الخير، كما سبق بيانه.

قوله: **«وأطل حياتي على طاعتك»:** فيه جواز سؤال اللَّه طول العمر، وأنه لا يخالف ما كتبه اللَّه فيه اللوح المحفوظ، فإن الدعاء من جملة القدر المكتوب».[٥] ولكن يقيد بطاعة اللَّه، لأن طول العمر بغير طاعة لا خير فيه.

---

(١) ما بين القوسين دل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم عندما سئل: من خير الناس؟ فقال: «من طال عمره، وحسن عمله»، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٣٢٩)، يقول الدكتور سعيد القحطاني: «وقد سألت سماحة شيخنا ابن باز رحمه الله عن الدعاء به هل هو سنة فقال «نعم».

(٢) البخاري (١٩٨٢)، ومسلم (٦٦٠).

(٣) صححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٠٨)، وفي السلسلة الصحيحة برقم (٢٢٤١)، وله تخريج موسع لا مثيل له.

(٤) شرح الأدب المفرد (٢/٢١٠).

(٥) من كلام العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٢٤١).



قوله: «**اغفر لي**»: ختم الدعاء بسؤال الله المغفرة بعد سؤال الله من أمور الدنيا،، لأنها هي الأهم، وعليها الفلاح والنجاة في الآخرة، وفيه بيان أن على العبد ألا يجعل جُلَّ دعائه وهمّه في أمور الدنيا وزخرفها، فلا بد أن تكون الآخرة هي همّه، والشاغل الأكبر، فيقرن بينهما في السؤال، كما في دعاء سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥﴾ (ص)، فإذا كان الأنبياء عليهم السلام محتاجون إلى مغفرة الله تعالى، فنحن أولى بذلك، لكثرة تقصيرنا وتفريطنا، وكثرة ذنوبنا، والله المستعان. قوله: «**وأدخلني الجنة**»[1].

ختم الدعاء بسؤال أجل مأمول في يوم المآل، فحسن الختام، فبدأ في سؤل من خير الدنيا بقوله: «**اللهم أكثر مالي...**» وختمه بخير الآخرة، «**واغفر لي وأدخلني الجنة**» وهذا الذي ينبغي أن يحرص عليه العبد، في السؤال، ألا يجعل جُلَّ دعائه في أمور الدنيا وزخرفها، فلا بد أن تكون الآخرة هي همّه، وشغله الأعبر، لأنها هي الدار الحقيقية.

الفوائد:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: في هذا الحديث الكثير من الفوائد: جواز التصغير على معنى التلطف، لا التحقير، والدعاء بخيري الدنيا والآخرة، والدعاء بكثرة المال والولد، وأن ذلك لا ينافي الخير الأخروي، وفيه إيثار الولد على النفس، وحسن التلطف في الدعاء، وأن كثرة الموت في الأولاد لا ينافي إجابة الدعاء بطلب كثرتهم، ولا طلب البركة فيهم لما يحصل من المصيبة بموتهم والصبر على ذلك من الثواب، وفيه التحدث بنعم الله تعالى، وبمعجزات النبي ﷺ، لما في إجابة دعوته من الأمر النادر، وهو اجتماع كثرة الأموال، مع كثرة العيال.[2]

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(١) هذه الزيادة صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/٢٨٥)، وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٢) فتح الباري (٤/٢٩١ - ٢٩٢).

(٩٣) «اللهم رب السموات السبع، ورب الأرض، وربَّ العرش العظيم، ربنا وربَّ كلِّ شيء، فالق الحبِّ والنوى، ومُنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كُل شيء أنت آخذٌ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيءٌ، اقض عنا الدَّين، وأغننا من الفقر».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتت فاطمة رضي الله عنها النبي ﷺ تسأله خادماً فقال لها: ما عندي ما أعطيك، ثم أمرها أن تقول......».[١]

وفي لفظ آخر: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذنا مضاجعنا أن نقول:..........[٢]

المفردات:

الفلق: بسكون اللام، هو شق الشيء، وإبانة بعضه عن بعض.[٣]

النوى: النوى للثمرة: عجمها، وهو الذي ينبت منه الشجر.[٤]

الشرح:

هذا دعاء عظيم، ذو شأن كبير، يدلَّ على ذلك أمرين:

الأول: أنه ﷺ علمه أحب بناته وأقربهم شبهاً له «فاطمة رضي اللّه عنها»، وأخبرها بأنه خير لها من الخادم، فعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: «أتت فاطمة النبي ﷺ تسأله خادماً»، فقال لها: «**ما عندي ما أعطيك**»، فرجعت، فأتاها بعد ذلك، فقال: «**الذي سألت أحبُّ إليك، أو ما هو خير منه**»؟ فقال لها علي رضي اللّه عنه، قولي: «**لا، بل ما هو خير منه**»، فقالت: فقال رسول اللّه ﷺ: «**قولي....** » ثم ذكر الدعاء.

---

(١) صححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٨٣١).

(٢) صحيح مسلم (٢٧١٣).

(٣) المفردات (٦٤٥).

(٤) عمدة الحفاظ (٤/٢٣٧).

الأمر الثاني: أنه أمر أصحابه رضي اللّه عنهم أن يقولوا كل ليلة هذا الدعاء المبارك، إذا أراد أحدهم أن ينام، فهو دعاء جليل مشتمل على توسلات عظيمة إلى اللّه تبارك وتعالى بربوبيته لكل شيء، والتي منها الأجرام العظيمة، من السموات السبع والأرضين السبع، وأعظم المخلوقات العرش العظيم، وذكر بعض أفراد الكمال في خلقه من عجائب صنعه، وكمال تدبيره، كما اشتمل على التوسل إلى اللّه ببعض أسمائه الحسنى الدالة على كمال صفاته العظيمة، وإحاطته الكلية بكل الخليقة، مقدمة للاستعاذة من أهم الشرور المادية، والمعنوية، وهو: الديْن، والفقر.

قوله: «اللهم رب السموات السبع، ورب الأرض، ورب العرش العظيم»: أي: يا خالق هذه الكائنات العظيمة، ومبدعها، وموجدها من العدم، وخُص بربوبيته لهذه المخلوقات بالذكر، لعظمها وكبرها، ولكثرة ما فيها من الآيات البينات، والدلالات الباهرات الساطعات، على كمال خالقها، وعظمة مبدعها، كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧﴾ (غافر) ولهذا عقَّب هذا الدعاء بقوله: «**ربنا ورب كل شيء**»، وهذا تعميم بعد تخصيص، لئلا يظن أن الأمر مختص بما ذكر.[١]

وقوله: «رب العرش العظيم»: توسل بربوبيته سبحانه لأعظم المخلوقات، كما قال النبي ﷺ: «**ما الكرسي في العرش، إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض**».[٢]

والكرسي أكبر من السموات والأرض، قال جل جلاله ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ (البقرة: ٢٥٥)، فانظر رعاك اللّه إلى عظم هذا العرش، فإذا كان هذا المخلوق الجليل بهذه العظمة والمجد، والسعة، فكيف بخالقه، وموجده، ومبدعه، تبارك ربنا وتعالى الذي ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (الشورى).

(١) فقه الأدعية (٤/٧٥).

(٢) صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، (١/١٠٨)، برقم ١٠٩.

وقوله: «فالق الحب والنوى»: منه الفلق، وهو الشق، أي: شق حبة الطعام والنوى، وهي: عجمة التمر، لتخرج الأشجار والزروع، فإن النباتات، إما أشجار أصلها نوى، أو زروع أصلها الحَبّ، واللّه سبحانه وتعالى لكمال قدرته، وبديع خلقه، هو الذي يفتح هذا الحبّ والنوى اليابس، الذي كالحجر لا ينمو ولا يزيد، فينفرج، وتخرج منه الزروع العظيمة، والأشجار الكبيرة. وفي هذا آية باهرة على كمال المبدع، وعظمة الخالق سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ (الأنعام)[1]، «والتخصيص في ذكرهما إما لفضلهما، واحتياج كل الخلائق لهما، أو لكثرة وجودهما في ديار العرب»[2]، ولا شك أن كلا الأمرين متعين فيهما.

وقوله: «ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان»: قوله: **«منزل»**، فيه توسل إلى اللّه عز وجل، (بفعل من أفعاله التي تقوم بمشيئته وإرادته) أي بإنزاله لهذه الكتب العظيمة المشتملة على هداية الناس، وفلاحهم، وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وخص هذه الكتب الثلاثة، لأنها أعظم كتب أنزلها اللّه تعالى، وذكرها مرتبة ترتيباً زمنياً، **«والفرقان»** هو القرآن[3].

وسُمي فرقاناً لأنه يفرق بين الحق والباطل، وفي هذا دلالة على أن هذه الكتب من كلام اللّه، أي صفة من صفاته، وهي صفة الكلام العظيمة، وهي صفة ذات، وفعل، ولهذا فرق جل وعلا في هذا الدعاء بينها، ففي المخلوقات قال: **«رب»** و**«فالق»**، وفي كلامه ووحيه قال: **«مُنزل»**، لأن كلامه تعالى غير مخلوق.[4]

ثم شرع بسؤال مطلوبه بعد ذكر لهذا الوسائل العظيمة، طمعاً في حصول الإجابة:

---

(١) فقه الأدعية (٤/٥٧)، وانظر تفسير الرازي (٣١/٣٩) فله كلام نفيس جداً.

(٢) الفتوحات الربانية (١/٧٢٨).

(٣) كما في رواية ابن ماجه (والقرآن العظيم) (٣٨٣١).

(٤) فقه الأدعية والأذكار (٣/٧٥ - ٧٦) بتصرف.

قوله: «**أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته**»: شملت هذه الاستعاذة على كل الشرور، فإن «كل» من صيغ العموم «شيء» أعم العمومات، فما من شر إلا وقد استعيذ منه.

قوله: «**أعوذ**» : أي: ألتجئ، وأعتصم بك، وأحتمي بجانبك، فمن استعاذ بك عذته، قوله: «**ومن شر كل دابة**» الدابة: هي كل ما يدب على الأرض، وهو يشمل الذي يمشي على بطنه، أو على رجلين، أو على أربع، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ (النور).

قوله: «**أنت آخذ بناصيتها**» والناصية هي مقدم الرأس، فيه دلالة على أن المخلوقات داخلة تحت قهره، وسلطانه، وتصرفه، قادر عليها، يتصرف فيها كيف يشاء، ويحكم فيها ما يريد عز شأنه.

والمعنى: احتمى بك من شرّ كل شيء من المخلوقات ما علمتها، وما لم أعلمها، لأنها كلها في سلطانه وملكه، فهذه استعاذة شاملة تامة من كل الشرور الظاهرة، والباطنة.

ثم شرع في التوسل ببعض أسمائه الحسنى المشتقة من صفاته العظيمة العُلا، فقال: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء**»، أي: يا الله أنت الأول بلا بداية، فلم يكن شيء قبلك ولا معك، فهو سبحانه سابق الأشياء كلها في الوجود، وكمال الصفات والنعوت،

قوله: «**وأنت الآخر فليس بعدك شيء**»: أي: وأنت الآخر الباقي بلا نهاية، بعد فناء كل الخليقة، ناطقه وصامته.

قوله: «**وأنت الظاهر فليس فوقك شيء**»: أي: أنت العالي فوق كل شيء، فلا شيء أعلى منك، بعلو الذات، والفوقية، وعلو الغلبة والقهرية، وعلو الشأن، وانتفاء الشبيه والمثلية.

قوله: «وأنت الباطن فليس دونك شيء»: أي: أنت المطلع على السرائر والضمائر، والخبايا والخفايا، وأنت المحتجب عن الخلق، فلا يقدر أحد على إدراك كنه ذاتك، وكيفية صفاتك، مع كمال ظهورك، ومدار هذه الأسماء الأربعة على بيان إحاطة الرب سبحانه وتعالى، وهي إحاطتان: زمانية، ومكانية، أما الزمانية: فقد دل عليها اسمه الأول والآخر، والمكانية: فقد دل عليها اسمه الظاهر والباطن. وهذا مقتضى تفسير النبي ﷺ، ولا تفسير أكمل من تفسيره.(١)

قوله: «اقض عنا الدين: بعد تلك التوسلات الجليلة من أسمائه السنية، المتضمنة للصفات الجليلة، شرع في السؤال والطلب: والمراد بالدّين هنا: حقوق الحق سبحانه، وحقوق الخلق، أي: أدِّ عنا الحقوق التي بيننا وبينك، والحقوق التي بيننا وبين عبادك، وهي حقوق العباد كلها من جميع أنواعها، وفي هذا تبري العبد من الحول والقوة، وأنه لا حول له ولا قوة له إلا بالله العظيم.

قوله: «أغننا من الفقر»: الغنى: هو عدم الحاجة لوجود الكفاية، والفقر: خلو ذات اليد، والفقير من وجد بعد كفايته، أو لم يجد شيئاً، والدّين والفقر همهما عظيم، يصيب العبد بسببهما الهم والحزن، وقد يوقعان الضرر في الدين والدنيا، من ذل السؤال، والاحتياج إلى الخلق، والوقوع في المحذورات الشرعية، من الكذب والإخلاف في الوعد، والتثاقل عن الطاعات، وغير ذلك الكثير من المذمومات.(٢)

فإذا لجأ العبد إلى الله تعالى، وطلب منه سبحانه، مدَّه وعونه متوسلاً إليه بتلك التوسلات العظيمة، فإن النفس عندئذ تسكن، وتطمئن، وقلبه يرتاح، ويهدأ، لأنه وكل أمره إلى من بيده أزمّة الأمور، ومقاليد السموات والأرض.(٣)

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(١) انظر: تفسير ابن جرير (١١/٦٧٠)، (٢٧/١٢٤)، ومدارج السالكين (١/١٣)، وطريق الهجرتين (٢٤)، والحق الواضح (٢٥)، وتوضيح الكافية الشافية (١١٧)، وأسماء الله الحسنى، د. الرضواني (٢٩٩، ٣٠٨، ٣١٢).

(٢) الفتوحات الربانية (١/٧٢٧)، والعلم الهيب (١٨٠)، فقه الأدعية (٤/٧٤ – ٨٧).

(٣) فقه الأدعية (٤/٧٨).

(٩٤) «اللهم اهدني فيمن هديت، و عافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي في ما أعطيت، وقني شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يُقضى عليك، وإنه لا يذلُّ من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، لا منجا منك إلا إليك».

عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر.........،
وجاء عن أنس رضي الله عنه أنه قال: «وكان يعلمنا هذا الدعاء»[1]:[2]

الشرح:

هذا الدعاء الجليل، عظيم القدر والشأن، لاشتماله على مقاصد ومطالب عظيمة، يتمناها البرية في الدين، والدنيا، وفي الدار الأخروية، وفيه توسلات جليلة بأسماء الله تعالى الحسنى، وصفاته العلية، وأفعاله الجليلة، وتوسل بآلائه وإنعامه، وفيه كذلك معان جلال في مسائل الإيمان، والتوحيد، والعقيدة، في إقرار وإثبات لصفاته تعالى الثبوتية والمنفية، والإيمان بالقضاء والقدر، والمشيئة، بأجمل المباني، وأوسع المعاني.

وقد ثبت هذا الدعاء المبارك في حالتين: في دعاء قنوت الوتر الذي علمه ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنه، وثبت عن أنس رضي الله عنه أنه قال: «كان يعلمنا هذا الدعاء...». مطلقاً غير مقيدٍ.

فبدأ بأول المطالب، وأجلها: «اللهم اهدني»: فيه سؤال الله تبارك وتعالى الهداية التامة النافعة، الجامعة لعلم العبد بالحق، والعمل به، والسير عليه، فليست الهداية أن يعلم العبد الحق بلا عمل به، وليست كذلك أن يعمل بلا علم نافع يهتدي به، فإن أصل الهداية كما سبق: الدلالة، وهي نوعان: هداية دلالة وإرشاد، وهداية توفيق وسداد وثبات، وهذه لا يملكها إلا هو عزَّ وجلَّ، فينبغي للعبد حين يسأل الله جل جلاله الهداية، أن يستحضر هاتين الدلالتين التي تجمع بين: العلم النافع، والعمل الصالح.

---

(١) دلت رواية أنس أن هذا الدعاء المبارك مطلق غير مقيد بالوتر.
(٢) رواه أحمد في المسند (١٧٢٣)، وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط (٣/٢٤٩)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (١٧٤٥)، وفي صحيح أبي داود (١٤٢٥)، وفي (أصل) صفة صلاة النبي (٣/٩٧٣).

وقوله: «فيمن هديت»: فيه فوائد:

أولاً: أن يدخله في جملة المهديين، مندرجاً في زمرتهم، ورفقتهم، وهم كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ (النساء).

ثانياً: أن فيه توسلاً إليه تعالى بإحسانه وإنعامه، وهو من التوسلات الجليلة المقتضية للإجابة كما سبق، كما في توسل زكريا عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾ (مريم)، أي: يا رب قد هديت من عبادك بشراً كثيراً فضلاً منك وإحساناً، فأنعم عليَّ بالهداية، كما أنعمت عليهم بها.

ثالثاً: أن ما حصل لأولئك من الهدى لم يكن منهم، ولا بأنفسهم، وإنما كان بتوفيقك لهم، فأنت الذي هديتهم.

قوله: «**عافني**»: فيه سؤال الله تبارك وتعالى العافية المطلقة الظاهرة، والباطنة، الدنيوية، والدينية، والمعادية، والعافية كما تقدم مراراً هي السلامة، من الأمراض بكل أقسامها، وهيئاتها، من أمراض القلوب، وأمراض الأبدان، فيدخل في ذلك العافية من الكفر، والشرك، والفسوق، والغفلة، والأسقام الحسية والمعنوية، وكل الخزايا، والبلايا، وفعل ما لا يحبه، وترك ما يحبه، فهذه هي حقيقة العافية.

ولهذا ما سئل الرب عز وجل شيئاً أحب إليه من العافية، لأنها كلمة جامعة للتخلص من الشر كله، وأسبابه، ونتائجه، وتبعاته[1]، واعلم رحمني الله وإياك أن أشد الأمراض هي أمراض القلوب، لأنها المصيبة الكبرى التي تضيع الدنيا والأخرى، فلتكن على بالك عند دعائك.

(١) انظر «دروس وفتاوى الحرم المكي» للعلامة ابن عثيمين (١٣١ - ١٣٧)، ومن فتاويه رحمه الله (١/ ٣٨٤ - ٣٩١)، وكذلك شرح دعاء القنوت له»، وفقه الأدعية والأذكار، (٣٤٨ . ٣٩١) و«دعاء القنوت، أحكام ومعان»، للشيخ محمد السحيباتي (٣٧ - ٣٩)، والفتوحات الربانية (١/ ٥٤٤ - ٥٤٥)، (٢/ ١٧٥ - ١٧٦) بتصرف.

قوله: «**فيمن هديت**» أي: مع من عافيت، أي في جملة من عافيته، وهو توسل كذلك بنعمه وإحسانه على من أنعم عليهم بالعافية.

قوله: «**وتولني**»: فيه توسل إلى اللّه تبارك وتعالى بفعل الولاية وهو مشتق من اسمين من أسمائه سبحانه وتعالى، وهما «الولي، والمولى»، أن للّه تبارك وتعالى الولاية العامة: وهي الولاية الشاملة التامة لكل الخليقة، بالخلق، والتدبير، وتصريف الأمور، والمقادير، قال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ٦٢﴾ (الأنعام)، وقوله عز شأنه: ﴿ما لكم من دونه من ولي﴾ (السجدة: ٤).

والولاية الخاصة: وهي ولاية اللّه تعالى للمؤمنين، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾ (البقرة).

وهذه الولاية المقصودة في هذا الدعاء المبارك، وهو التولي الكامل، التي يقتضي التوفيق، والنصرة، والعناية، والطاعة، وإخراج أوليائه من الظلمات الجهل والكفر، إلى نور العلم، والإيمان، واليقين، فهي ولاية تقتضي الرأفة، والإصلاح، والرحمة[1].

ويدل على هذا قوله في أواخر الدعاء «**إنه لا يذل من واليت**»، أي: أنه منصور عزيز، غالب، بسبب توليك له ، وفي هذا تنبيه على أن من حصل له ذل في الناس، فهو بنقصان ما فاته من تولي اللّه تعالى، وإلا فمع الولاية الكاملة ينتفي الذل كله، ولو سُلّط عليه من في أقطار الأرض.

قوله: «**فيمن توليت**»: كسابقه، توسل إلى اللّه تعالى على من أنعم عليهم بالولاية الخاصة، أي: تولِّ أمري، ولا تكلني إلى نفسي، وذلك في جملة من تفضلت عليهم، وكن لي حافظاً، ونصيراً، ومعيناً كما توليت غيري.

قوله: «**وبارك لي فيما أعطيت**»: البركة هي: النماء، والخير الكثير الثابت، وتكون

(١) الحق الواضح (١٢)، وفتح الرحيم الملك (٥١)، والجواب الكافي (٣٣٢).

حسية: كالمال، وولد، والمسكن، ومعنوية: كالعلم، والهدى، والإيمان، والبركة هي: من برك البعير: إذا برك في مبركه، ومنه: بركة الماء، لثبوت الماء فيها[1].

قوله: «فيما أعطيت»: فيه ثناء وتوسل بصيغة الوصف المشتق من اسمه الكريم «المعطي»: وعطاؤه سبحانه نوعان: عطاء عام في الدنيا من الخيرات، والأرزاق لكل أحد، وعطاء خاص في الدنيا، وفي الجنة، لأوليائه فقط.[2]

قوله: «وقني شر ما قضيت»: أي: شرّ الذي قضيته، فإن الله جل شأنه قد يقضي بالخير، ويقضي بالشر لحكمته البالغة، التي لا تحيط بها كل الخليقة، أما قضاؤه بالخير، فهو خير محض في القضاء، والمقضي: أي: في الفعل، والمفعول (أي المخلوق)، مثل القضاء للناس بالرزق الواسع، والأمن، والهداية، والنصر، ونحو ذلك، أما قضاؤه بالشر فهو خير في القضاء، لأنه فعله، وشرّ في المقضي، وهو المفعول، أي: المخلوق: مثل «القحط»، فهو خير من ناحية تذكير الناس بربهم، ولجوئهم إليه، كما قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ (الروم).[3]

فظاهر هذه الأمور من المصائب شر، ولكنها في حقيقة الأمر خير من وجه آخر، ولهذا ينبغي أن يُعلم أن الله تبارك وتعالى لا يخلق شراً محضاً لا خير فيه ألبتة، فكل شر مهما عظم وكبر فلا بد فيه من الخير، فالشر واقع في بعض مخلوقاته، لا في خلقه، ولا في فعله، ولا في أسمائه الحسنى، وصفاته العلا، ولا في قضائه، وقدره، شر مطلق أبداً.[4]

فلا يوجد في ذلك كله، كما قال أعلم الخلق بالله عز وجل: «والخير بيديك، والشر ليس إليك».[5]

---

(١) عمدة الحفاظ (١/١٨٣).

(٢) الجامع أسماء الله الحسنى جلالها ولطائف اقترانها (٤٩٢).

(٣) انظر: «دروس وفتاوى الحرم الملكي» (١/٣٩٠)، والفتوحات الربانية (١/٥٤٥)، و«دعاء القنوت أحكام ومعان» (٣٧ – ٣٩)، وشرح صحيح مسلم لابن عثيمين (١/٨٢ – ٨٣).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٩٤ – ٩٦)، وبدائع الفوائد (١/١٤٨)، وشفاء العليل (٣/٩٧٥ – ٩٨٥).

(٥) صحيح مسلم برقم (١٨٠٩).

وهذا الدعاء يتضمن سؤال اللّه تعالى الوقاية من الشرور، والسلامة من الآفات، والحفظ من البلايا والفتن.[1]

قوله: «**قني**»: توسل بصفة من صفاته تعالى الفعلية، التي تتعلق وتقوم بمشيئته، المقترنة بحكمته.

وفي قوله: «**إنك تقضي**» وقع كالتعليل لسؤال ما قبله، أي: لا يعطي تلك الأمور المهمة، إلا من كملت فيه حقائق القدرة، ولم يوجد منها شيء في غيره.[2]

قوله: «**إنك تقضي**»: فيه توسل إلى اللّه عز وجل بأنه يقضي على كل شيء، لأن له الحكم التام، والمشيئة النافذة، والقدرة الشاملة، فهو سبحانه وتعالى يقضي في عباده بما يشاء، ويحكم فيهم بما يريد، لا رادا لحكمه، ولا معقب لقضائه.

قوله: «**ولا يقضى عليك**»: أي: لا يقضي عليك أحد كائناً من كان، فالعباد لا يحكمون على اللّه عز وجلّ بشيء، بل هو الذي يحكم عليهم بما شاء، ويقضي فيهم فيما يريد، فهم ضعفاء، وفقراء، واللّه تعالى هو القوي الغني، والعباد يسألون عمّا عملوا، واللّه تعالى لا يسأل عما يفعل، قال سبحانه: ﴿**لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾ (الأنبياء: ٢٣).

«ويدخل في هذا حكمه الشرعي، والقدري، والجزائي».[3]

قوله: «**إنه لا يذل من واليت**»: هذا كالتعليل لما سبق في قوله «**وتولني فيمن توليت**»: يذل، بفتح فكسر، وكذا يعز.[4]

أي: لا يصير ذليلاً حقيقة من واليته، فإن اللّه سبحانه وتعالى إذا تولى العبد، فلا يذل، ولا يلحقه هوان في الدنيا، ولا في الآخرة.

---

(١) فقه الأدعية (٣/١٧٧ - ١٧٨).
(٢) الفتوحات الربانية (١/٥٤٥).
(٣) تفسير السعدي (٣٧٤).
(٤) الفتوحات الربانية (١/٥٤٥).

قوله: «**ولا يعز من عاديت**»: يعني: إذا عادى اللّه تبارك وتعالى العبد فإنه، لا يعز أبداً، ولو اجتمع أهل الأرض والسموات معه، بل حاله الذل والخسران، فمن أراد العز فليطلبه من اللّه عز وجل، ومن أراد السلامة والوقاية من الذل فليكن مع اللّه جل ثناؤه، كما قال عز شأنه ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ (فاطر: ١٠).

ودل قوله: «**عاديت**»: على «إثبات صفة العداوة من اللّه تعالى، أي: إن اللّه سبحانه يعادي، وهي صفة فعلية كالرضا، والغضب والسخط، والكراهة، و«المعاداة»، ضدها الموالاة الثابتة للمؤمنين»[١]، وهذه الصفة من الصفات المقيدة الفعلية على وجه المقابلة، فهو سبحانه يعادى من عادى دينه، وأصفيائه.

قوله: «**تباركت ربنا**»: تباركت: أي: تعاظمت يا اللّه، فلك العظمة الكاملة، والكبرياء التام من كل الوجوه والاعتبارات، ومن ذلك: كثرة بركاتك، وعمت خيراتك، وإحسانك، التي يتقلب بها أهل أرضك وسمواتك .

«والحكمة في إتيان بضمير الجمع هنا، دون ماتقدم من قوله: اهدني، وعافني... إلخ، لأن ذلك مقام سؤال، وهو مناسب للذل والانكسار، وهذا مقام ثناء على المولى، فناسب الإتيان فيه بضمير الجمع المذكور، إما إشارة إلى العجز عن القيام المرء بمفرده بادعاء حق ثنائه، وإما إشارة إلى أن جميع أجزائه مربوبة للباري، وإما تعاظماً بهذه الإضافة الشريفة، إلى الربوبية المنيفة».[٢]

ومعنى «تعاليت»: أي: أن لك العلو المطلق من كل الوجوه من الكمال، وهو: علو الذات، وعلو القدر والصفات، وعلو الغلبة والقهر لكل المخلوقات، وعلو النزاهة عن كل العيوب، والنقائص والآفات، **الأول**: علو الذات: فهو سبحانه وتعالى عليّ بذاته، فوق كل خلقه، مستو على عرشه كما يليق بجلاله.

الثاني: علو الصفات، فله تعالى علو الكمال والشأن في صفاته، التي لا أكمل،

(١) تفسير سورة البقرة، لابن عثيمين (٣١٨/١).

(٢) الفتوحات الربانية (٣٥٦ - ٣٥٧).

ولا أرفع ولا أعلى منها، التي لا تحيط الخلائق كلها ببعض معاني صفة من صفاته تعالى العلا، فكيف بكلها.

الثالث: علو الغلبة والقهر: فهو الغالب والقاهر لكل شيء، فلا ينازعه منازع، ولا يغالبه مغالب، فدانت له كل الكائنات، وخضعت تحت سلطانه كل المخلوقات.

الرابع: وعلو النزاهة عن كل العيوب، والنقائص والآفات، لكماله من كل الوجوه والاعتبارات.[1]

الخامس: التعالي عن الشريك، والنظير، والمثيل، والأنداد، والأضداد.

(٩٥) «اللهم اغفر لي[2] وللمؤمنين والمؤمنات».

عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات، كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة».[3]

الشرح:

إن من أعظم مقاصد الدين الذي جاء به الشارع الحكيم، التواد والتراحم والتآخي بين الإخوة المؤمنين، وإن تباعدت أجسادهم، قال ﷺ: **«مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**[4]، وقال ﷺ: **«المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله»**[5] وإن من أعظم الأسباب المقتضية لهذه الأخوة الدعاء والاستغفار لهم، ولهذا ذكر لنا ربنا عز شأنه في كتابه دعوات من الأنبياء والرسل

---

(١) انظر: التفسير الكبير لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٣٥/٦)، وشفاء العليل (٥١٠/٢)، وتفسير السعدي (٤٨٧/٥)، والحق الواضح (٢٥).

(٢) كما في دعوات الأنبياء ومنهم نبينا محمد ﷺ.

(٣) رواه أبو يعلي (٣٤٦/٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٠/١٠)، إسناده جيد، وحسن إسناده الألباني في صحيح الجامع (٦٠٢٦).

(٤) صحيح البخاري (٦٠١١)، مسلم (٢٥٨٦).

(٥) مسلم (٢٥٨٦).

والمؤمنين، لهذا المطلب الجليل، فمن دعاء خليل الرحمن: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ (إبراهيم).

ونوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ (نوح).

وأمر ربنا تبارك وتعالى رسوله ﷺ بالدعاء لهم، فقال: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ (محمد).

وقال سبحانه وتعالى في سياق الثناء على عباده المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ (الحشر).

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ﴾: بصغية المضارع الذي يدل على الاستمرارية والتجدد أي: أنهم يلازمون هذه الدعوة في كل أحوالهم، وهذا «بسبب المشاركة في الإيمان المقتضي لعقد الأخوة بين المؤمنين التي من فروعها، أن يدعو بعضهم لبعض وأن يحب بعضهم بعضاً».[1]

وتأمَّل رعاك الله تعالى عظم هذا الأجر المترتب على هذا الدعاء العظيم وجزالة ثوابه، فلك أن تتصور أن الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعاف مضاعفة كثيرة، في بلايين المؤمنين من لدن أبي البشر إلى يوم الحشر، وهذا يدل على عظم فضل الله تعالى وسعة كرمه وجوده.

ولهذا فهم السلف عظم حق المؤمنين في الاستغفار لهم، فقد جاء عن ابن جريج أنه قال: «قلت لعطاء: أستغفر للمؤمنين والمؤمنت؟ قال: نعم، قد أُمر النبي ﷺ بذلك، فإن ذلك الواجب على الناس، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: «استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات»، قلت: أفتدعو بذلك في المكتوبة أبداً؟ قال: لا، قلت: فبمن

(١) تفسير ابن السعدي (٨٥٢).

تبدأ، بنفسك أم بالمؤمنين»؟ قال: بل بنفسي، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾.[1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فالأمر الذي كان معروفاً بين المسلمين في القرون المفضلة أنهم كانوا يعبدون الله بأنواع العبادات المشروعة فرضها ونفلها من الصلاة والصيام والقراءة والذكر وغير ذلك، وكانوا يدعون للمؤمنين والمؤمنات كما أمرهم الله بذلك لأحيائهم وأمواتهم....».[2]

الفوائد:

عظم شأن الدعاء وأهله، وكثرة ثمراته الدنيوية، والدينية، والأخروية، التي منها:

أ) حصول المودة والتآلف وزيادة المحبة بين المؤمنين.

ب) أنه تعالى يجازي به من جنس ما دعي به الداعي، أضعافاً مضاعفة إلى يوم الدين.

ج) أنه من سنن الاقتداء بالأنبياء والمرسلين.

د) أن نفعه يعود على المؤمن حتى بعد مماته إلى يوم القيامة.

أن من أعظم المطالب في الدعوات التي يسأل الله تعالى بها العبد له ولإخوانه (المغفرة)، التي من مقتضياتها تكفير السيئات، وتوالي الحسنات، والفوز بالجنات الخالدات.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(٩٦) «اللهم إني أعوذ بك من الجوع، فإنه بئس الضَّجيع، وأعوذ بك من الخيانة، فإنها بئس البطانة».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول:..............[3]

---

(١) مصنف عبدالرزاق (٢/٢١٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٤/٣٢٢).

(٣) صححه الألباني في صحيح أبي داود (١٥٤٧)، وصحيح ابن ماجه (٣٣٥٤)، وصحيح النسائي (٥٤٦٨).

الشرح:

قوله: «**اللهم إني أعوذ بك من الجوع**»: فيه استعاذة من ألم الجوع وشدة مصابرته، فإن الجوع يضعف القوى، ويشوش الدماغ، فيثير أفكاراً رديئة وخيالات فاسدة، فيخل بوظائف العبادات، والمراقبات، ويمنع صاحبه من راحة الجسد والقلب، فيثير الغضب، وسوء الخُلُق. فيؤدي إلى أن ينفر منه الخَلْق.

قوله: «**فإنه بئس الضجيع**»: أي: المضاجع، أي النائم معي في الفراش الواحد، تعليل للاستعاذة، فلما كان يلازم صاحبه في المضجع سُمي ضجيعاً، وخُص الضجيع بالجوع لينبه على أن المراد الجوع الذي يلازم الليل والنهار. لأن الجوع يمنع استراحة البدن، وراحة النفس، لأنه يحلل المواد المحمودة، بلا بدل، خاصة إذا كان الجوع قوياً فإنه يثير أفكاراً رديئة، كما تقدم.

قوله: «**وأعوذ بك من الخيانة**»: وهي مخالفة الحق بنقض العهد في السر، وهي تشمل الخيانة بين العبد والعبد، وتشمل بين العبد والرب جل جلاله، وهي التكاليف الشرعية التي أمر الله عزوجل بها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٧﴾ (الأنفال).

قوله: «**فإنها بئس البطانة**»: هي خلاف الظهارة، واستعيرت لمن يخصه الرجل بالاطلاع على باطن أمره، فلما كانت الخيانة أمراً يبطنه الإنسان ويُسرُّه ولا يُظهره سُميت بطانة.[١]

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

(٩٧) «اللهم لا تخزني يوم القيامة، ولا تخزني يوم البأس، فإن من تخزه يوم البأس فقد أخزيته».

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يدعو بهذه الدعوات كلما سلم:........[٢]

---

(١) انظر: شرح مصابيح السنة للبيضاوي (١١٢/٢)، وفيض القدير (١٢٣/٢، ١٥٠)، والفتوحات الربانية (٦٤٤/٣)، والتنوير (٨٢١/٣)، ودليل الفاتحين (٣١٨/٧).

(٢) رواه أحمد في المسند (١٨٠٥٦)، وقال محقق المسند: «إسناده صحيح» (٥٩٦/٢٩)، وأخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة، (١٢٩) وقال محققه سليم الهلالي «إسناده صحيح». (١٨٢/١)

المفردات:

الخزي: الذل والهوان، يقال: خزي الرجل: لحقه انكسار، إما من نفسه، أو من غيره.[1]

البأس: الشدة، والمكروه والعذاب، ويطلق كذلك على الشدة في الحرب.[2]

الشرح:

قول الصحابي إن رسول الله ﷺ كان يدعو بهذه الدعوات، يدل على أهميتها وشدة عنايته بها ﷺ وملازمته لها، وأكد ذلك بقوله: «كلما سلم» أي: من الصلاة، يحتمل أنه قبل السلام، أو بعده. وكلا الموطنين من المواطن العظيمة في الإجابة، كما سبق بيانه في آداب الدعاء، وهذه الدعوة المباركة شبيهة بدعوة خليل الرحمن في قوله: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾ (الشعراء)، وهذا يدل دلالة أخرى على أهميتها.

قوله: **«اللهم لا تخزني يوم القيامة»:** يا الله بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا أسألك أن لا تذلني وتهينني، يوم تبعث الخلائق، لمحاسبتهم بميزان الحق المبين في هذا اليوم العظيم، فتضمنت هذه الدعوة سؤال الله تعالى السلامة، والنجاة، والعصمة من الفضيحة بالتوبيخ على الذنوب، والعقوبة عليها التي هي علة الخزي المهين، يوم الدين.

قوله: **«ولا تخزني يوم البأس»:** أي: ولا تذلني يوم وقوع الشدائد، والمكاره والعذاب، وشدة الحاجة، والافتقار، وهذا يعم جميع أنواع الشدة سواء كانت في الحرب وغيره، وكذلك يوم القيامة، فتضمنت هذه الدعوة السلامة من المكاره، وأنواع العذاب، في الدنيا والآخرة، فهي من عطف العام على الخاص.

ثم علل سبب دعوته: **«فإن من تُخزه يوم البأس فقد أخزيته»**.. أي: أنك من تذله وتهينه في يوم الشدة والذلة، فقد أهنته ولحقت به الذل والهوان، الذي ليس فوقه من العذاب المهان، أمام الأنام والعياذ بالله.

---

(١) المفردات (٢٨١)، والنهاية (٢٦٣).

(٢) عمدة الحفاظ (١/١٥٣)، والصحاح (٧١).

(٩٨) «اللهم جملني وأدم جمالي».

عن أبو زيد أخطب الأنصاري رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: (ادن مني)، قال: فمسح يده على رأسه، ولحيته، ثم قال: (اللهم جمله وأدم جماله).

وفي رواية: أن رسول الله استسقى ماء فأتيته بقدح فيه ماء، فكانت فيه شعرة، فرفعتها ثم ناولته، فقال: أي الدعاء قال أبو نهيك الأزدي: «فرأيته وهو ابن أربع وتسعين ليس في رأسه، ولحيته شعرة بيضاء».

وعن عزرة بن ثابت أنه قال: «فلقد بلغ بضعاً ومائة سنة، أسود الرأس واللحية، إلا نُبذ شعر بيضٍ في رأسه، فكان شيخاً كبيراً جميلاً، منبسط الوجه، ولم ينقبض وجهه حتى مات».(١)

المفردات:

جملني: الجمال هو ضد القبح، وهو الحسن الكثير، والبهاء، ويكون في الفعل، والخلق.(٢)

الشرح:

قوله: «اللهم جملني»: يا الله بأسمائك الحسنى، وصفاتك العلا زيّن وحسّن خلقتي، وخلقي، فأكون في أجمل صورة، وأبهى نضرة، في ظاهري وباطني، ففي هذا الدعاء توسل بصيغة الوصف المشتق من اسمه سبحانه الجليل (الجميل)، فربنا تعالى هو الجميل: الذي لا أجمل منه على الإطلاق، ويكفي في كمال جماله، (وحسنه، وجلاله): إن كل جمال ظاهر وباطن في الدنيا والآخرة فمن آثار صنعته وجماله، فما الظن بمن صدر عنه هذا الجمال؟ وجماله سبحانه على (خمسة) مراتب: جمال الذات، وجمال الأسماء، وجمال الصفات، وجمال الأفعال».(٣)

وجمال الملك والسلطان، المنفرد بالأكوان.

سأل الله تعالى أن يجمّله، ويزينه، لأن النفوس جبلت على حب كل شيء حسن، وجميل، وبهي، فإنه أسر للنفس، وأدعى للقبول في الحديث، والإرشاد، والوعظ.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٠٧٣٢)، (٢٨٨١)، وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط (٣٣٢/٣٤) (٥٢١/٣٧)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٦٢٩) وفي صحيح الموارد (١٩٣٢) وفي التعليقات الحسان (٧١٢٧) وصححه العلامة مقبل الوادعي في «الصحيح المسند» (٧٨/٢) (١٠٠٠).

(٢) المفردات (٢٠٢)، وكتاب العين (٢٦٠/١).

(٣) انظر: الفوائد (٢٠٢)، وبدائع الفوائد (٣٠٠/١)، وروضة المجيبن (٦٨٣).

قوله: «**وأدم جمالي**» أي: وأسألك أن تديم حسن صورتي، وهيئتي، فلا أرد إلى أرذل الخلقة، والهيئة، وهذا والله أعلم مثل قوله ﷺ: «**اللهم متعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني**».

الفوائد:

فيه إثبات صفة الجمال لربنا الذاتية، والفعلية المشتقة من اسمه (الجميل)[1] وفيه مشروعية سؤال الله الجمال، والحسن، فهو من كمال الخليقة، والتي تتشوف إليه جميع البرية، وفيه أهمية الإحتراس، وهو من حسن البلاغة فكما في قوله: (وأدم جمالي) بعد أن نسأل الله تعالى الجمال، لأنه قد يكون الحسن والنضرة في حال دون حال، لما يطرأ من التغير على مر السنين والأعوام، ففي الاحتراس: سؤال الله دوام وثبات على جمال الصورة، والخلقة في كل حال.

(٩٩) (اللهم اغفر لي، واهدني، وارزقني، وعافني، أعوذ بالله من ضيق الدنيا، وضيق المقام يوم القيامة).

عن عاصم بن حميد أنه سأل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بما كان رسول الله ﷺ يفتتح إذا هبَّ من الليل؟ فقالت: «لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحدٌ قبلك، كان إذا هب من الليل: كبَّر عشراً، وحمد الله عشراً، وقال سبحانه الله وبحمده عشراً، وقال سبحان الملك القدوس عشراً، واستغفر عشراً، وهلل عشراً ثم قال: اللهم اغفر لي إلى آخر الدعاء».

وفي لفظ: أنه يدعو عشراً، ثم يفتتح الصلاة.[٢]

الشرح:

قولها رضي الله عنها: «كان يكبر عشراً ثم يفتتح الصلاة» مع تكبيرة الإحرام، أو بعده، وأما أنه كان يقول قبل الشروع في الصلاة فبعيد.[٣]

هذه الدعوة الجليلة متضمنة لمجامع الخيرات المعاشية، والشرعية، والأخروية، والإستعاذة من مجامع الشر فيها، وقولها: «كان إذا هب من الليل: كبر عشراً إلى

---

(١) انظر: «الجامع» اسماء الله جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها (١٤٢).

(٢) صححه الألباني في صحيح أبي داود (٦٦٧، ٥٨٠٥) وصحيح ابن ماجة (٦٥٣١)، وصحيح النسائي (٧١٦١).

(٣) إنجاز الحاجة في شرح سنن ابن ماجة (٤/١٥٢).

أخر الحديث». فهذا من الأدب الجميل في سؤال رب العالمين، أن يقدم العبد ما استطاع من الثناءات الجليلة، والتمجيدات العظيمة، فإن ذلك أنجع في إعطاء نواله، وقولها أنه ﷺ كان يقول: (سبحان الملك القدوس...): في اقتران التسبيح والتقديس مع الملك في الابتداء، والانتهاء: فيه بيان على كمال ملكه تعالى في الأزل، والآباد، إذ أن التسبيح هو: التنزيه وإبعاد السوء والنقص، والعيب.[1]

والتقديس هو: التطهير، والتعظيم، والكمال، والتبريك.[2]

وهذا يدل على غاية الكمال في الملك، ونزاهته عن المذام، والمعايب، والتي تكون في ملوك الخليقة من الظلم، والجور، والعجز، والإحتياح إلى الجند في العون، والنصرة.

قوله: «اللهم اغفر لي» أي: استر يا الله وتجاوز عن ذنوبي كلها، قدم طلب المغفرة على غيره لأنه منوط بالسلامة والنجاة من آثار وتبعات الذنوب والسيئات، والتي هي سبب الشرور والهلكات في الدارين.

وقوله: «واهدني»: فيه سؤال الله تعالى الهداية الكاملة، وهي: الدلالة، والمعرفة إلى طريق الحق، والتوفيق والثبات على هذا الطريق المستقيم، بأن لا يزيغ عنه إلى أن يلقى الله تعالى يوم الدين، ولهذا ينبغي للداعي أن يستحضر هذه المعاني حال دعاته.

وقوله: «وارزقني»: أي: الرزق النافع الطيب الحلال، الذي يعود على العبد بالبركة، والخير، والنماء، والرزق هنا يعم: الرزق الحسي، والرزق المعنوي، وهو رزق الأرواح، وتغذيتها بالعلوم، والمعارف الإيمانية، وهو ما خصه تعالى لأهل الإيمان وهو أفضل من رزق الأبدان، الذي عليه القوام، أما المعنوي: فعليه الفلاح في الدنيا، وحتى دخول الجنان.

وقوله: «وعافني»، أي: سلمني من جميع البلايا، والشرور الحسية: كالأمراض والأوصاب، والمعنوية: كالكفر، والشرك، والنفاق، فهي كلمة جامعة للسلامة من كل الشرور والمحن في الدنيا، وفي البرزخ، وفي الصراط، وفي المعاد.

---

(١) انظر: لسان العرب (٢/٤١٧)، وغريب القرآن لابن قتيبة (٨).

(٢) النهاية (٥/٢٣)، واللسان (٥/٣٥٤٩).



ثم استعاذ من «ضيق المقام يوم القيامة»: فإنه مقام عظيم في يوم عصيب، وقد حشرت كل الخلائق من الإنس والجن أجمعين، فيه من الشدائد ما اللّه تعالى بها عليم، من الحر الشديد، والبلاء الكبير، والازدحام الرهيب، فلك أن تتصور في ضيق ذلك اليوم العظيم، فتضمنت هذه الاستعاذة من النجاة والسلامة من شر هذا اليوم الموعود.

وفي قوله كما في الرواية الأخرى: «اللهم إني أعوذ بك من ضيق الدنيا»: لأن ضيقها: يشتت العقل، ويذبل البدن، ويشغل القلب بالهم، وضيق النفس والحزن، فنشغل عن العبادة، والمصالح المهمة النافعة، وتضمن هذه الاستعاذة سؤال اللّه تعالى الراحة النفسية، والبدنية، وطيب الحياة والنفس.

وهذا يدلنا على أهمية التمسك والعناية بالأدعية الشرعية، فهي كاملة في ألفاظها، شاملة كاملة في معانيها، ومدلولاتها، ومقاصدها الصالحة، في جميع أمور الدنيا، والآخرة.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١٠٠) «اللهم وفقني».

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: أتى النبي ﷺ كتابُ رجل، فقال لعبدالله بن الأرقم: «أجب عني»، فكتب جوابه، ثم قرأ عليه، فقال: «أصبت وأحسنت، اللهم وفقه».[(١)]

المفردات:

وفقني: الوفاق: المطابقة وعدم المنافرة، ووفقه اللّه توفيقاً: سدَّده، ووفق أمره يفقُ بكسترين من التوفيق.[(٢)]

الشرح:

التوفيق من اللّه جل جلاله هو من أجل النعم، وأتمها، وأكملها، ولهذا دعى نبي

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣/٣٣٥) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وجوّد الألباني إسناده في السلسلة الصحيحة (٢٨٣٢) (٦/٨١٨).

(٢) عمدة الحفاظ (٤/٣٢٧)، والمصباح المنير (٣٨٧).

الرحمة، والهدى لكل الورى، لعبدالله بن الأرقم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بقوله: **(اللهم وفقه)**: أي: سدده، وثبته، في الأقوال، والأفعال، والأخلاق، في أن تستعمل في مرضاتك، ومحابك.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وقد أجمع العارفون على أن كُلَّ خير فأصله توفيق الله للعبد، وكل شر فأصله خذلانه لعبده، وأجمعوا أن التوفيق أن لا يكلك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يُخلى بينك وبين نفسك، فإذا كان كلُّ خير فأصله التوفيق - وهو بيد الله تعالى لا بيد العبد، فمتاحه الدعاء، والإفتقار، وصدق اللجأ، والرغبة، والرهبة إليه.

فمتى أعطى العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضله عن المفتاح بقي باب الخير مُرتجاً[1] دونه، وعلى قدر نيّة العبد وهمته، ومراده، ورغبته في ذلك، يكون توفيقه سبحانه وإعانته، فالمعونة من الله تنزل على العباد على قدر هممهم، وثباتهم ورغبتهم، ورهبتهم، والخذلان ينزل عليهم على حسب ذلك، فالله سبحانه أحكم الحاكمين، وأعلم العالمين، يصنع توفيقه في مواضعه اللائقة به، والخذلان في مواضعه اللائقة به، وهو العليم الحليم».[2]

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١٠١) «اللهم اسقني من سلسبيل الجنة».

عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان يقول: (إن أمركن لِما يهمني بعدي، ولن يصبر عليكم إلا الصابرون) ثم يقول: «سقى الله أباك من سلسلبيل الجنة (أي: عبدالرحمن بن عوف)».[3]

المفردات:

السلسبيل: اسم عين في الجنة تسمى (سلسبيلا)، أي: سهلاً لذيذاً سلساً[4]،

(١) أي: معلقاً.

(٢) الفوائد: (٩٠ . ٩١).

(٣) أخرجه ابن أبي العاصم في السنة (١٤٥٠) وحسنه محقق الكتاب ا. د باسم فيصل الجوابره، (٢/٩٣٨)، وصححه الألباني في صحيح موارد الظمآن (١٨٥٩) (٢/٣٥٧)، وفي السلسلة الصحيحة (٣٣١٨) (٧/٩٣٩).

(٤) المفردات (٤١٨).

وصفت بالسلاسة في: الحلق، وفي حال الجري، وانقيادها لأهل الجنة، يُصرفونها حيث شاؤوا.[1]

الشرح:

قوله: «اللهم اسقني من سلسبيل الجنة»: تضمن هذا المطلب على سؤال الله تعالى المنازل العلا في الجنة، وهي سكنى المقربون.

وذلك: أن الله سبحانه قد ذكر أن الأبرار يشربون في الجنة بأكواب الخمر تمزج لهم تارة بشراب الكافور وهو بارد، وتارة بالزنجبيل، وهو حار، ليعتدل الأمر، فهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة، ومن هذا تارة، وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صرفاً[2]، كما صح عن قتاده رحمه الله أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾، أي: «رقيقه، يشربها المقربون صرفاً، وتمزج لسائر أهل الجنة»[3] وقال عن وصفها رحمه الله «عيناً سلسلة مستقيدا ماؤها».[4]

الفوائد:

فيه مشروعية سؤال الله تعالى أكمل الأوصاف في الجنان، وأنه ليس من باب التعدي في الدعاء، ولا يعكر ما جاء عن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه أنه سمع ابنه تقول: «اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها، فقال: أي بني سل الله الجنة وتعوذ به من النار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء).[5]

«قد يحتمل أنه إنما نهاه لأنه سأل شيئاً معيناً، ويمكن أنه نهاه لكونه من تكثير

(١) تفسير الطبري (٧/٤٢٤).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٦٠٨ - ٦٠٩).
(٣) التفسير الصحيح (٤/٥٧٤).
(٤) المصدر السابق.
(٥) صحيح أبي داود (٩٦).

الكلام بدون فائدة».[1] غير ذلك أنه لم يعظم الرغبة في سؤاله، كما أمر رسولنا ﷺ وأما هنا فهو من باب سؤال الله تعالى منازل العلا الذي لا يسكنها إلا المقربون، وهذا من باب تعظيم الرغبة مما لا يخفى.

وتضمن هذا الدعاء التوفيق إلى الأعمال الظاهرة والباطنة لأعمال المقربين.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١٠٢) «اللهم مالك الملك تُؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء، وتعزُّ من تشاء، وتُذلُّ من تشاء، بيدك الخير، إنك على كل شيء قدير، رحمن الدنيا والآخرة، ورحيمهما، تُعطيهما من تشاء، وتمنع منهما من تشاء، ارحمني رحمة تُغنيني بهما عن رحمة من سواك».

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ: «ألا أعلمك دعاء تدعو به لو كان عليك مثل جبل أحد ديناً لأدَّاهُ الله عنك؟ قل يا معاذ:..............»[2]

المفردات:

«مالك الملك»: من أسماء الله تعالى المضافة و«الملك» هو: احتواء الشيء والقدرة على الاستبدادية به.[3]

الشرح:

هذا الدعاء المبارك فيه كلمات عظيمة في الإيمان والتوحيد، وتوسلات جليلة من أسماء حسنى وصفات عليّة، جدير بالعبد أن يتأمل ويتدبر معانيه، ويفهم مضامينه، ومقاصده، فإن الثمرات المرجوة من الأذكار والدعوات منوطة بذلك، وفيه بيان أن أعظم الأسباب في تفريج ما يهم العبد في أمور معاشه، سواء كانت المالية، أو البدنية، أو المعنوية، ومعاده: ترديد كلمات التوحيد، والإيمان، والتمجيد، والثناء على الله

(١) انظر: الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية (١/١٧٤ - ١٧٥).

(٢) رواه الطبراني في الصغير (٥٥٨)، وقال المنذري: إسناده جيد كما في الترغيب والترهيب (٢/٣٦٠)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨٢١).

(٣) اللسان (٦/٤٢٦٦)، وتفسير أسماء الله للزجاج (٣٠).

تعالى بما له من الكمال، مع اليقين في الجنان، وهذا الدعاء جاء شطره في الكتاب في أمره تعالى لنبيه ﷺ، بقوله: «قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك».[1]

قوله: «اللهم مالك الملك»: فيه توسل باسم من أسماء الله تعالى المضافة، ومعناه: النافذ الأمر في ملكه، المتصرف فيه كيف يشاء بلا ممانعة، ولا مدافعة، فهو سبحانه مالك الأشياء كلها، ومصرفها على إرادته، فمن ذلك أنه سبحانه مالك الملوك والملاك يصرفهم تحت أمره ونهيه، فالملك بيده يؤتيه من يشاء، وينزعه ممن يشاء، فلا مانع لما أعطى، ولا معطى لما منع.[2]

ثم ذكر بعض تصاريف انفراده تعالى بالملك فقال: «تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء وتذل من تشاء».

وقوله: «وتعز من تشاء»: فيه توسل إلى الله بالثناء بصفة العزة، المشتقة من اسمه تعالى «العزيز»، الذي من معانيه، القوة، والقهر، والغلبة، والمنعة، وكذلك أنه تعالى يهب العزة لمن يشاء من عباده، فيعز أهل الإيمان، ويذل أهل العصيان. فهذا الاسم جامع لصفات الذات، وصفات الفعل.[3]

قوله: «بيدك الخير»: أي: إن الخير كله في يديك، فهما مبسوطتان بالخير على الدوام، كما قال سبحانه: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ (المائدة:٤٦).

قال ﷺ: «يد الله تعالى ملأى، لا يغيضها[4] نفقة، سحَّاء[5] الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغض ما في يده».[6]

قوله: «إنك على كل شيء قدير»: تعليل لما سبق، وأكده بعدة مؤكدات لفظية

(١) آل عمران (٢٦).
(٢) شأن الدعاء (٤٠) وتفسير أسماء الله (٣٠) وتفسير ابن كثير (١٠٥/٨).
(٣) انظر: «أسماء الله الحسنى جلالها وثمراتها في ضوء الكتاب والسنة»، فقد فصلت في معانيه (١٢٤).
(٤) أي: لا ينقصها.
(٥) أي كثيرة العطاء تصب الخير صباً.
(٦) صحيح البخاري (٦٩٧٦).

بـ«**إنَّ**» المؤكدة الثقيلة، و«على» حرف الاستعلاء، و«**شيء**» بالتنكير، أعم العمومات واسمه «**القدير**» على وزن «فعيل»، مبالغة، وتعظيماً، وتحقيقاً، وتأكيداً بما ذكر.

قوله: «**رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها**»: أي: إن رحمتك وسعت كل شيء في الدارين، ففي الدنيا، لكل الخلائق، إنسهم وجنهم، ومؤمنهم وكافرهم، حتى الدواب. أما في الآخرة فهي تختص بأوليائه المؤمنين فقط، فإن اللَّه سبحانه كما في الصحيح «خلق مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة... وأخر اللَّه تعالى تسعة وتسعين رحمة يرحم عبادة يوم القيامة».[1]

قوله: «**تعطيهما من تشاء**»: أي إنك تتفضل بإعطاء سعة رحمتك لمن تشاء من عبادك، «وتمنع منهما من تشاء»: أي وتمنع بحكمتك وقدرتك من تشاء، كما في قوله ﷺ: «**اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت**».

قوله: «**ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك**»: ختم دعوته بسؤال رحمة عظيمة تغنيه عن كل العباد، كما أفاد التنكير في قوله: «رحمة».

وهذا يدل على فقه الرجاء، وكمال حسن الظن واليقين، والاستغناء به سبحانه عن كل العالمين، وهذا أعلى الغنى، وهو الغنى باللَّه سبحانه وتعالى وحده، وفي الإسهاب في التوسل يصف «الرحمة» يدل على عظم شأنها، وجلالة التوسل بها، فإن من مقتضاها حصول الخيرات والمنافع من جميع الأنواع، وصرف السوء، والمكاره من جميع الجهات، في كل الأوقات.

الفوائد:

أنه كما يتوسل بأسمائه تعالى الحسنى المطلقة، كذلك يتوسل بأسمائه المضافة. إن أسماءه تعالى المضافة من أعظم التوسلات والثناءات التي يرجى معها إجابة الدعوات. وأن الدعاء من أعظم أسباب تفريج الهموم، وكشف الغموم، والتي منها: سد الديون. وأن ذكر بعض أفراد آثار الأسماء أو الصفات حال الدعاء، من آكد الأسباب القبول والعطاء.

---

(١) مسلم (٢٧٥٢).



(١٠٣) «اللهمَّ صلِّ على محمد، وعلى آل محمد».

عن زيد بن خارجة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «صلوا عليَّ، واجتهدوا في الدعاء، وقولوا:........»[١]

المفردات:

الصلاة: أصل الصلاة الدعاء، والتبريك، والتمجيد، يقال صليت عليه، أي: دعوت له وزكيت، ومنه قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ (التوبة).[٢]

اجتهدوا: الاجتهاد: بذل الوسع في طلب الأمر، وهو افتعال من الجهد: الطاقة والمشقة، يقال: جهد الرجل في الشيء، أي: جدَّ فيه وبالغ.[٣]

الشرح:

أمر نبينا محمد ﷺ، أن نصلي عليه، كما أمر سبحانه وتعالى في كتابه عز شأنه المؤمنين في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ (الأحزاب).

بل أمر ﷺ، أن نبذل ما في وسعنا من الجد والسعي الحثيث في ملازمة الصلاة عليه لعظم شأنه ﷺ، ولعظم الأجر المرتب على الصلاة عليه في الدنيا والآخرة.

وقد اختلف أهل العلم على معنى الصلاة من الله تعالى عليه، بعد إجماعهم على أصل المعنى اللغوي كما سبق وهو الدعاء، وأصح ما قيل في معنى صلاة الله تعالى، ما ذكره البخاري رحمه الله في صحيحه عن كبير التابعين، أبي العالية رحمه الله أنه قال: «صلاة الله على رسوله ثناؤه عليه، عند الملائكة الأعلى».[٤]

قال الإمام الجليل ابن القيم رحمه الله تعالى: «إن صلاة الله تبارك وتعالى على عبده نوعان: عامة، وخاصة، أما العامة: فهي صلاته على عبادة المؤمنين، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ

---

(١) صححه الألباني في صحيح النسائي (١٢٩٢)، وصحيح الجامع (٣٨٧٣).

(٢) المفردات (٤٩٠).

(٣) النهاية (١٧٥)، المفردات (٢٠٨).

(٤) رواه البخاري معلقاً، انظر: الفتح (٨/٥٣٢)، وحسنه الألباني «في فضل الصلاة على النبي» (٩٥).

وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ (الأحزاب).

ومنه دعاء النبي ﷺ بالصلاة على آحاد المؤمنين، كقوله: «اللهم صلِّ على آل أبي أوفى»[١]، النوع الثاني: صلاته الخاصة على أنبيائه ورسله، خصوصاً على خاتمهم وخيرهم محمد ﷺ».[٢]

فهذا الأمر من الشارع الحكيم بالصلاة عليه فيه أولاً: «اقتداء بالله تعالى وملائكته». وثانياً: «جزاء له بعض حقوقه علينا». ثالثاً: «تكميلاً لإيماننا».[٣]

فقولنا: «اللهم صل على محمد»: فمعناه: عظمة في الدنيا بإعلاء ذكره، وإظهار دعوته، وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته، وتضعيف آخره ومثوبته.

فصلاة العبد على الرسول هي ثناء على الرسول، وإرادة من الله تعالى أن يُعلي ذكره، ويزيده تعظيماً، وتشريفاً، والجزاء من جنس العمل، فمن أثنى على رسوله جازاه الله سبحانه من جنس عمله، بأن يثني عليه ويزيد تشريفه وتكريمه».[٤]

وقوله: «وعلى آل محمد»: فالصحيح أن معنى «الآل»:

١ ـ من تحرم عليهم الصدقة. أنهم ذريته وأزواجه خاصة.[٥]

وقد جاءت صيغ كثيرة في كيفية الصلاة عليه، منها: الصلاة الإبراهيمية: «اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»[٦]، وقوله: «وبارك على محمد»: البركة هي: الثبوت واللزوم، ومنه قول: «برك البعير يبرك بروكاً»، أي النماء والزيادة.[٧]

---

(١) البخاري (٤٩٧)، مسلم (١٠٧٨).

(٢) جلاء الأفهام (١٢١).

(٣) تفسير ابن السعدي (٧٨٨).

(٤) جلاء الأفهام (١٢٧).

(٥) انظر: المصدر السابق: (١٦٦: ١٧٣).

(٦) البخاري (٣٣٧)، (٦٣٦٠)، مسلم (٤٠٥)، (٤٠٧).

(٧) معجم مقاييس اللغة (٤/٣٥٢).

والتبريك: الدعاء بذلك، فهذا الدعاء يتضمن إعطاءه من الخير ما أعطاه لآل إبراهيم، وإدامته وثبوته له، ومضاعفته له وزيادته، هذا حقيقة البركة».[1]

فضل الصلاة على النبي ﷺ

(١) عظم الأجر والثواب، لأنه امتثال لأمر الله تعالى ولرسوله.

(٢) حصول الأجر المضاعف في الدنيا والآخرة من الثناء الحسن وتكفير السيئات، ورفع الدرجات، كما جاء عنه ﷺ: «**من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشراً**»[2]. وقال ﷺ: «**من صلى عليَّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحُطَّت عنه عشر خطيئات، ورُفعت له عشر درجات**».[3]

(٣) أنه أدعى لاستجابة الدعاء: قال ﷺ: «**كل دعاء محجوب حتى يصلي على النبي ﷺ**».[4]

(٤) أنها سبب لشفاعته ﷺ[5]، قال ﷺ: «**من صلَّى عليَّ حين يصبح عشراً، وحين يُمسي عشراً، أدركته شفاعتي يوم القيامة**».[6]

(٥) كثرة الصلاة عليه من أعظم الأسباب في القرب منه ﷺ يوم القيامة، قال ﷺ: «**إن أولى الناس بي يوم القيامة، أكثرهم عليَّ صلاة**».[7]

وغيرها الكثير من الفضائل التي لا تحصى.[8]

---

(١) جلاء الأفهام (٢٣٧).
(٢) صحيح مسلم (٤٠٨).
(٣) صحيح النسائي (١٢٩٦).
(٤) صحيح الجامع (٤٥٢٣)، والسلسلة الصحيحة (٥٣٠٢).
(٥) كما في دعاء الوسيلة في البخاري (٤٧١٩).
(٦) صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٢).
(٧) المصدر السابق (١٦٦٨).
(٨) للاستزادة يرجع إلى «جلاء الأفهام» لابن القيم رحمه الله.

الحِكَمُ من تأخر إجابة الدعاء.[1]

من البلاء للمؤمن أن يدعو فلا يُجاب، فيكرر الدعاء ويُبالغ فيه، وتطول المدة، فلا يرى أثراً للإجابة، ومن هنا يجد الشيطان فرصته، فيبدأ بالوسوسة له وإساءة الظن بربه الكريم، وإيقاعه بالاعتراض على حكمته، فينبغي لمن وقعت له هذه الحال ألا يختلج في قلبه أدنى شك مما يلقيه الشيطان في رَوْعه، وليعلم المؤمن أن تأخر الإجابة مع المبالغة في الدعاء يحمل في طياته حكماً باهرة، وأسراراً بديعة لا تعد ولا تحصى، وذلك أنه يدعو رباً كريماً رحيماً سميعاً بصيراً لا يخيب من سأله ولاذ ببابه، ونحن نسرد لك بعض الحكم والأسرار من تأخر إجابة الدعاء، يَحسنُ بك أن تتدبرها وتستحضرها لتكون على يقين وإيمان راسخ لترد ما يرد عليك من الوساوس والأوهام.

(١) إن تأخر الإجابة من البلاء الذي يحتاج إلى صبر:

فتأخر الإجابة من الابتلاء، كما أن سرعة الإجابة من الابتلاء، قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (الأنبياء).

فالابتلاء بالخير يحتاج إلى شكر، والابتلاء بالشر يحتاج إلى صبر، فإياك أن تستطيل زمان البلاء، وتضجر من كثرة الدعاء، فإنك ممتحن بالبلاء، متعبدٌ بالصبر والدعاء.

(٢) الدخول في زمرة المحبوبين لله عز وجل:

فالذين يدعون ربهم آناء الليل وأطراف النهار، ولا يرون أثراً للإجابة، ومع هذا لا يتغير أملهم ورجاؤهم، يدخلون في زمرة المحبوبين المكرمين عند رب العالمين، لصدق إيمانهم بربهم الكريم، فهو سبحانه وتعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، ليكمل درجات إيمانهم في الدنيا ويعلي درجاتهم في الآخرة، قال عليه الصلاة والسلام:

---

(١) انظر: صيد الخاطر (١٠٧، ١٧٨، ١٢٢، ٢٩٣، ٥٧٨)، والفوائد: (١٣٧، ١٧٨، ٢٠٠)، وفيض القدير (١/٣٤٤)، (٦/٣٦٧٩) ، والدعاء: محمد بن الحمد (٩٣ ، ١٠٧).

«إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط».[1]

(٣) تأخر الإجابة سبب عظيم لتفقد العبد لنفسه:

فقد يكون سبب تأخر الإجابة لآفة في الداعي، فربما كان في مطعمه شبهة، أو في قلبه وقت الدعاء غفلة، أو كان متلبساً بذنوب مانعة وغير ذلك، فتأخر الإجابة قد يبعث الداعي على محاسبة نفسه والتوبة والأوبة، فلو عجلت له دعوته لفاتته هذه الحكمة الجليلة.

(٤) قد تكون الدعوة مستجابة دون علم الداعي:

فقد تقدم في فضائل الدعاء رقم (٥) أن دعوة العبد المسلم لا ترد، إلا أنها تتنوع: فإما أن يعطى مطلوبه عاجلاً، أو يعطى آجلاً، أو بعوض بما هو خير له كذلك وأفضل عاجلاً أم آجلاً، بجلب خير، أو دفع شر، أو أن يدخرها له في الآخرة، فثمرة الدعاء مضمونة آتية لا محالة، فهلا ظن العبد بربه العظيم ويقول: لعله استجيب لي من حيث لا أدري.

(٥) تأخر إجابة الدعاء سبب لتدبر العبد لأسماء الله تعالى وصفاته التي هي أشرف العلوم:

فمن أسماء الله تعالى وصفاته أنه عليم حكيم، سميع بصير، كريم جواد، رحيم، ودود، المعطي، فهو يعطي سبحانه وتعالى من شاء بحكمته وعلمه وكرمه، ويمنع كذلك لحكمته وعلمه وعدله. فيرى العبد آثار وأحكام هذه الأسماء والصفات في العباد، وأنه تعالى حكيم مالك مدبر، أسماؤه تعالى حسنى، وصفاته عُلا، فهو لا يمنع عن بخل ولا يعطي عن جهل، فإن خفيت على العبد حكمته وفعله تعالى، نسب الجهل إلى نفسه وسلم للحكيم المالك، فإن تدبر معاني أسمائه تعالى الحسنى وآثارها وأحكامها هو أفضل العلوم وأهم الأمور.

(٦) قد يكون الدعاء ضعيفاً لا يقاوم البلاء:

(١) صحيح الترمذي: (٢٣٩٦).

وذلك أن الدعاء بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه لا بحده فقط، فمتى كان السلاح سلاحاً تاماً لا آفة فيه، والساعد ساعداً قوياً، حصلت النكاية بالعدو، ومتى تخلف شيء من ذلك تخلف الأثر، فإن كان الدعاء غير صالح، والداعي لم يجمع بين القلب واللسان، في حال الدعاء أو كان ثم مانع من الإجابة لم يحصل الأثر وهو الاستجابة.

فالدعاء له مع البلاء ثلاثة مقامات:

أحدها: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه ويصرعه.

الثاني: أن يكون أضعف من البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه.

الثالث: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه.[١]

(٧) في تأخر إجابة الدعاء تكميل مراتب العبودية للأولياء:

فالله عز وجل يحب أولياءه، ويريد أن يكمل لهم مراتب العبودية، فيبتليهم بأنواع من البلاء، ومنها تأخر إجابة الدعاء، كي يترقوا في مدارج الكمال والتمام ومراتب العبودية، فمن تلك العبوديات:

أ. انتظار الفرج: فإن انتظار الفرج من أجَلِّ العبوديات وأعظمها، فكلما اشتد انتظار الفرج، زادت ثقة العبد بربه، فيزداد بذلك قرباً وتعلقاً وأنساً به جل وعلا، قال ﷺ: «**سلوا الله من فضله، فإن الله يُحب أن يسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج**».[٢]

ب. حصول الاضطرار: فالافتقار إلى الله: هو لب العبادة ومقصودها الأعظم، فالافتقار إلى الله دون سواه هو عين الغنى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ (فاطر).

ج. حصول عبودية الرضا: فعبودية الرضا هي جنة الدنيا وبستان العارفين الموصلة إلى منازل المقربين في أعلى جنات النعيم، قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ (المجادلة:٢٢)، وقال جل شأنه: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ

(١) انظر في فضائل الدعاء حديث رقم (٦).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٧١) وحسنه عبدالقادر الأرنؤوط في جامع الأصول (١٦٦/٤).

ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ (التوبة). فإن المؤمن تنزل به النازلة فيدعو ويبالغ فلا يرى أثراً في الإجابة، فإذا قارب اليأس نُظر حينئذ في قلبه، فإن كان راضياً بالأقدار، غير قنوط من فضل الله فالغالب تعجيل الإجابة، فهناك يصلح الإيمان، ويُهزم الشيطان وتتبين مقادير إيمان الرجال، وقد أشير إلى هذا في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ (البقرة).

د. التمتع بطول المناجاة: فإن العبد يقوم لمناجاة ربه، وإنزال حاجاته ببابه، فيفتح على قلبه حال السؤال والدعاء، من محبة الله تعالى، ومعرفته، والخضوع له، والتذلل بين يديه واستحضار عظمته وجلاله ما يكون أحبّ إليه من قضاء حاجته التي سألها، ويُحب أن تطول هذه اللذة التي لا تعدلها أي لذة، فإنها جنة الدنيا الموصلة إلى جنة الآخرة الخالدة، وعلى هذا كلما تأخرت الإجابة طالت المناجاة، وزادت اللذة والقرب من الله تعالى، فلو عجلت له الإجابة لربما فاتته تلك النعمة والثمرة، والتي لا يعدلها أي شيء، وهذه الحكمة من أعظم الحكم والنعم، وعاجل بشرى الإجابة للعبد.

هـ. الانكسار والتذلل بين يدي رب العالمين: فالله عز وجل يحب المنكسرين بين يديه، يعينهم ويقترب منهم، فهو مقام ذليل بين يدي ملك عزيز رحيم، فهذا المقام الجليل يقربك ويدخلك إلى باب الله الأعظم الذي لا يغلق أمام المنكسرة قلوبهم بين يديه، لأن الانكسار من أعظم أسباب إجابة الدعاء فربما كان تأخر الإجابة سبباً لإطالة الوقوف على باب الله العظيم. وهذا من النعم في طي البلاء، وإنما البلاء المحض ما يشغلك عن ربك، وأما ما يقيمك بين يديه جل وعلا ففيه جمالك وكمالك وعزك وفلاحك.

و. مجاهدة الشيطان ومراغمته: فالشيطان عدو مبين متربص بالعبد، يجري مجرى الدم في عروقه، يتربص به الدوائر، ويصده عن صراط الله المستقيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ

﴿٦﴾ (فاطر)، فإذا جاهده العبد امتثالاً لأمر اللّه تعالى وراغمه، وأغاظه بكثرة الدعاء والسؤال، وإحسان الظن بربه الكريم حصل على أجر عظيم، وفضل كبير، لأن مجاهدة الشيطان من أجل العبوديات والقربات.

فلو لم يأت العبد من تأخر إجابة الدعاء إلا هذه الفائدة لكان حرياً به ألا ينزعج من تأخرها.

فهذه بعض الحكم المتلمسة جراء تأخر الدعاء، فينبغي للعبد أن يستحضرها حال دعائه بين الحين والآخر ليكون على حسن ظن عظيم بربه الكريم.

الفهرس

